دراسات إسلامية

— ١٥ —

الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام

الجزء الأول

حققه وقدم له

عبد الرحمن بدوي

الناشر : مكتبة النهضة المصرية ٩ عدلى ، القاهرة

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٥٤

تصدير عام

— ١ —

تطور النظريات السياسية فى الإسلام

اتجه نظام الحكم فى الاسلام على عهد أبى جعفر المنصور فى مستهل الخلافة العباسية إلى صورة الملكية المطلقة ، بعد الصورة الأولية « الأبوية » patriarcale التى كانت على عهد الخلفاء الراشدين الأربعة ، وبعد المحاولة المخفقة التى بذلها الأمويون فى دمشق ، خصوصاً ابتداءً من حكم الوليد ، لايجاد نظام إسلامى على غرار نظام الدولة البيزنطية ، تلك الجارة التى لم يكن بد من التأثر بها : أولا بحكم الجوار ، وثانياً بسبب التراث الإدارى والتشريعى الذى خلفته وهى تولى هاربة أمام الجحافل العربية الإسلامية الظافرة فى البلاد التى كانت تبسط من قبل سلطانها عليها . وكان أمام أبى جعفر المنصور ومن خلفه من الخلفاء حتى عصر المأمون نموذجان بارزان للملكية المطلقة على أنقاضهما قامت الدولة الإسلامية ، وهما : النظام البيزنطى ، والنظام الساسانى والإيرانى عامة . وكان طبيعياً أن تتجه الأنظار أول الأمر إلى النظام الإيرانى : أولا لأن الذين قاموا بالثورة من أجل إيجاد الدولة العباسية كانوا من الفرس ، فكان طبيعياً أن يكون للنفوذ الفارسى المكانة الأولى فى التأثيرات الأجنبية فى ذلك الحين ؛ وثانيــاً لأن الخلافــة العباسية قامت فى نفس البقعة التى كانت حاضرة الإمبراطورية الفارسية العظيمة . ومن هنا اتجه المثقفون والمفكرون السياسيون إلى التراث السياسى الإيرانى يستلهمونه أو ينقلون عنه « مرايا الأمراء » Fürstenspiegel على حد التعبير الألمانى ، أى المؤلفات

التى يسترشد بها أولى الأمر فى سياسة الملك وتدبير أمر الرعية . فقام ابن المقفع يترجم « كليلة ودمنة » ، و« سير ملوك العجم » (« خداى نامه » فى الفهلويه) و« كتاب الآيين » (فى الفهوية : « آيين نامه ») و« كتاب التاج » الذى ذكره ابن قتيبة اثنتى عشرة مرة ونقل عنه فى «عيون الأخبار» ، و« رسالة تنسر » التى بقيت لنا فى ترجمة فارسية حديثة فى تاريخ طبرستان لاسفنديار ، وترجمها ج . درمستتر (فى « المجلة الأسيوية » سنة ١٨٩٤ J A) ؛ فضلا عما ألفه ابن المقفع نفسه من رسائل مثل « الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » وما إليهما . وكذلك أمثال ابن المقفع ، كاسحق بن يزيد الذى نقل كتاب « سيرة الفرس » المعروف بـ « اختيار نامه » ، والحسن بن سهل الذى ترجم « جاويدان خرد » وعشرات غيرهم من الذين عنوا بنقل التراث الفارسى السياسى إلى اللغة العربية فى أوائل عهد الخلافة العباسية (*) . وكان هدفهم من هذا كله تقرير قواعد نظام الحكم الجديد وبناء فلسفته السياسية على أسس إيرانية . ويلوح أن الاتجاه إلى النظرية الإيرانية فى الحكم قد سيطر إلى حد أنسى الناس أنه يوجد لغير الفرس فلسفة سياسية ، فأصبح الكتاب حينما يعددون خصائص الأجناس ومفاخر الشعوب ، إبان خصومة « الشعوبية » المشهورة فى القرنين الثانى والثالث يخصون الفرس بالتفوق فى السياسة ، حتى قالوا فى هذا المعرض : « للفرس السياسة والآداب والحدود والرسوم ؛ وللروم العلم والحكمة ؛ وللهند الفكر والروية والخفة

(*) راجع فى هذا : (١) « الحكمة الخالدة » ، التصدير ، وقد نشرناه بالقاهرة سنة ١٩٥٢ ؛

(٢) G. Richter : Studien zur Geschichte der älteren arabischen Fürstenspiegel .

(٣) F. Gabrieli : "L'Opera di Ibn al-Muqaffa'", in RSO, XIII, 197-247 .

(٤) عبد الرحمن بدوى : « من تاريخ الإلحاد فى الإسلام » ، ص ٤٠ — ٧١ . القاهرة ١٩٤٥

(٥) Nöldeke : Geschichte der Araber und Perser, S. 361-82 .

(٦) Brockelmann : Geschichte der Arabischen Literatur, SI 234 .

والسحر والأناة ؛ وللترك الشجاعة والإقدام ... »[1] . واستقر آنذاك عند الناس أن الفرس هم أصحاب السياسة ، والروم أصحاب الحكمة . والسبب فى هذا كما قلنا راجع إلى اتجاه الكتاب العاملين بالفارسية ، وهم المقربون عند الخلفاء العباسيين الأول حتى عهد الرشيد ، إلى التراث الفارسى وحده .

ويلوح أن الكتاب الذى ننشره الآن ، « العهود اليونانية » إنما ألفه أو ترجمه صاحبه لينحاز فى هذه المعركة إلى صف اليونانيين ، ليبين أن لهم فى السياسة مؤلفات لا تقل قيمة عن مؤلفات الفرس . ومن هنا كان غرضه من هذا الكتاب بيان ما لليونانيين من فضل فى النظريات السياسية ، ولهذا يقول فى مستهله : «قد تأملت – أيدك الله – ما عددته الفرس من حسن السيرة ورجاحة الآراء وملك الأهواء . ورأيت ما صدر عنك من ذلك غير مجانب للحق ولا بعيد عن الصدق . ولو اقتصرت عليه ، دون ما قادك إليه جماح التعصب ، وحداك عليه زلل التسلط : من الطعن على من بان فضله ورجح وزنه من اليونانيين – لوجدت مقالا رحباً ومستعرضاً فسيحاً ... فأما تكريرك تقصير اليونانيين فى السياسة ، فقد أنفذت إليك ثلاثة عهود لهم ... فقابل بها ما نمىٰ إليك من غيرهم لترى محلهم من حسن السيرة وفضلهم على غيرهم فى السياسة » (ص ٣ من هذا الكتاب) . وواضح من هذا الكلام أن المعركة بين أنصار الفرس وأنصار اليونانيين كانت عنيفة ، وأن هذا الكتاب إذن ثمرة من ثمار ما أنبتت الشعوبية فى العالم الإسلامى فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . فكان فريق يتعصب للثقافة الفارسية ، وفريق يتعصب للثقافة اليونانية ؛ وهو أمر يشبه بعض الشبه ما يثور فى مصر فى العصر الحالى من خصومات حول التعصب للثقافة اللاتينية ، والثقافة السكسونية ، والثقافة الجرمانية ، وأخيراً الثقافة السلافية التى دخلت أخيراً عنصراً فى معركة التنافس

(١) راجع « الإمتاع والمؤانسة » للتوحيدى ، جـ ١ ص ٧٤ . القاهرة سنة ١٩٣٩ . وراجع هذا الفصل كله ، فهو فى مناقشة آراء الشعوبيين .

الثقافى الحضارى . وهذه « الشعوبية الثقافية » التى كانت مشبوبة الأوار فى القرون الثانى والثالث والرابع للهجرة كانت ذات شعبتين : شعبة تدور معركتها بين معسكر العرب ، ومعسكر غير العرب ؛ وشعبة يحتدم النضال فيها بين فريق المناصرين للثقافة أو الحضارة الإيرانية ، وفريق المناصرين للثقافة أو الحضارة اليونانية . ومعركة الشعبة الأولى لم تكن معركة عقيلة فكرية خالصة ، بل كانت مزيجاً من الدوافع : العنصرية الجنسية ، والسياسية الإدارية النازعة إلى بسط النفوذ والاستئثار بالسلطان فى مرافق الدولة ، والثقافة الأدبية والدينية أحياناً . أما معركة الشعبة الثانية بين أنصار الفرس وأنصار يونان فكانت معركة عقلية روحية خالصة ، لم يشبها من جانب أنصار يونان شائبة من عنصرية جنسية ؛ وإن كنا لا نخليها من دوافع دينية ، وذلك لأن معظم أنصار يونان كانوا من المسيحيين أو من النصارى الذين اعتنقوا الإسلام أو دخلوا الإسلام فى الجيل الثانى أو الثالث من أسرتهم ، بينما كان معظم أو كل أنصار فارس ممن انحدروا من أصلاب زردشتية أو مانوية أو مزدكية . ومن هنا كانت معركة الشعبة الثانية أخلق بانتباه الباحث فى التاريخ الحضارى والفكرى .

وكان على أصحاب هذه المعركة أن يبرزوا مناقب الثقافة التى يتعصب كل فريق لها . وقد عمدوا — من أجل هذا — إلى ترجمة آثارها إلى العربية كلما وجدوها ؛ كما اضطروا أحياناً إلى اختراع الكتب ونسبتها إلى من يتوهمون من أبناء الفرس أو أبناء يونان إبرازاً لفضلهم وتمجيداً لهم . ومن هنا أخرجوا إلى الناس طائفة هائلة من المؤلفات المنحولة ، نسبوها إلى أشخاص بارزين فى التاريخ القومى للفرس أو اليونان ، أو إلى كبار رجال الفكر عند هؤلاء أو هؤلاء : فنحلوا أفلاطون وأرسطو مؤلفات ، كما نحلوا هوشنج وتنسر وزرادشت آثاراً تكشف عن مدى تقدم الفرس فى الآداب والسياسة . وأبرز الفريق اليونانى شخصيات تاريخية

يونانية ورومانية بارزة ، وعلى رأسها جميعاً : الإسكندر المقدونى ، وهادريانوس ؛ كما تغنى الفريق الإيرانى بأبرز رجال التاريخ القومى ، وعلى رأسهم جميعاً هوشنج وكسرى أنو شروان .

وفى كتابنا « الحكمة الخالدة » قدمنا أثراً فذاً من آثار الفريق المناصر للفرس ؛ وها نحن أولاء فى هذا الكتاب نقدم أثرين من آثار الفريق المناصر ليونان .

وصاحب كتابنا الأول هنا ، وهو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، كان من أشد أنصار الفريق اليونانى حماسة . لم يشأ أن يدخل فى معركة مفاضلة بين اليونان والفرس فيعدد ما لليونانيين من آثار رائعة فى السياسة ، بل أراد أن يقدم الحجة العملية ، وذلك بأن يورد لصاحبه المناصر للنزعة الإيرانية نماذج حية من نظريات يونان فى السياسة . ولقد كان فى وسعه أن يذكر له مؤلفات أفلاطون السياسية :

١ — « السياسة » المعروف اليوم باسم « الجمهورية » (وهى ترجمة لا تتفق مطلقاً مع الأصل اليونانى πολιτεία ولا تدل على المقصود ، بل تؤدى إلى الخلط بينها وبين المعنى الحديث لهذا اللفظ) فقد ترجم إلى العربية ، ترجمه حنين بن إسحاق ، وناهيك بترجمة حنين !

٢ — « النواميس » وقد ترجمه حنين أيضاً ويحيى بن عدى ؛ ووضع له الفارابى « جوامع » منها نسخة خطية فى مكتبة ليدن (هولنده — برقم ١٤٢٩) بعنوان « تلخيص نواميس أفلاطون » ، وقد نشره فرنشسكو جبرييلى (ضمن مجموعة « أفلاطون عند العرب » التى ينشرها معهد ڤاربرج فى لندن ، سنة ١٩٥٢) نشرة ممتازة .

كما كان فى وسعه كذلك أن يسرد ويحلل كتب أرسطو فى السياسة ، وإن كنا لا نعثر فى « الفهرست » لابن النديم أو « إخبار العلماء » أو « طبقات الأطباء »

لابن أبى أصيبعة إشارة إلى ترجمات لها ؛ كما أنه لم يبق لدينا من هذه الترجمات شىء ، وإلا لآثرناه بالنشر على هذه الكتب المنحولة . فأحمد بن يوسف إذن قد أراد أن يضيف إلى العربية ثروة جديدة بتأليفه لهذا الكتاب ، كما فعل يوحنا بن البطريق فى تأليفه للكتاب الآخر الذى ننشره هنا . على أن خاو مقدمة أحمد ابن يوسف من الإشارة إلى مؤلفات أفلاطون وأرسطو لا يخلو من دلالة ؛ ولعله قصد إلى هذا قصداً ليخفى عمله هو فى وضع هذا الكتاب ، « كتاب العهود اليونانية » ، إذ قد تأثر فيه من غير شك كتاب « السياسة » وكتاب « النواميس » لأفلاطون . وأغرب ما فى الأمر أنه نسب الكتاب إلى أفلاطون ، ثم أورد ذكر أفلاطون فى ثنايا الكتاب ؟!

— ٢ —

كتاب « العهود اليونانية » ؛ أدريانوس عند العرب

فقد ذكر عنوان الكتاب هكذا فى المخطوط : « كتاب العهود اليونانية المستخرجة من رموز كتاب « السياسة » لأفلاطون ، وما انضاف إليه — تأليف أحمد بن يوسف بن إبراهيم » . وهذا العنوان لو أخذناه على ظاهره لكان معناه :

١ — أن هذا الكتاب مستخلص من « رموز » كتاب « السياسة » (« الجمهورية ») لأفلاطون ؛ .

٢ — أنه أضاف إليه ما أخذه من مصادر يونانية أخرى ؛

٣ — أنه من « تأليف » أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، وليس من « ترجمته » أو « تفسيره » الخ . ولكننا لا نقرأ الكتاب حتى نجد :

١ — أن هذا الكتاب يتضمن ثلاثة عهود ، العهد الأول منها منسوب إلى أدريانوس ؛ وأدريانوس — على زعمه — من ملوك اليونانيين ، وأنه « قد جمع إلى سعة ملكه جلالة المحل فى الحكمة وحسن السيرة لمن يرعاه ... » ؛ والعهد الثانى

من وزير إلى ابنه ؛ والعهد الثالث من أحد رجال الطبقة الثالثة le tiers état وهو تاجر كبير إلى ابنه ؛

٢ ـ أنه إنما تأثر روح كتاب « جمهورية أفلاطون » دون أن ينقل منه نصوصاً بحروفها ؛ ولكنه يتجاوزه ويتجاوز غيره من كتب السياسة التي ألفها الفلاسفة اليونانيون ، مما يجعله غير ممكن أن يرد إلى أصل يوناني معروف لدينا الآن ؛

٣ ـ أنه ملىء بالأخطاء التاريخية مثل ذكره أن « أدريانوس » من ملوك اليونانيين ، وأنه كان قبل بعثة موسى ؛ وأنه كان لأفلاطون ابن وزير !

وهذه أمور تحتاج إلى تفصيل :

أما أدريانوس فنحسب أنه يقصد به الإمبراطور الروماني المشهور P. Aelius Hadrianus الذي ولد في ٢٤ يناير سنة ٧٦ م في إيتالكا باقليم بوتيقا Boetica (أحد أقاليم أسبانيا القديمة الثلاثة ، ويسمى بهذا الاسم نسبت إلى نهر بوتيس Boetis الذي يخترقه من الشرق إلى الغرب ؛ ويشمل اليوم الأندلس) ؛ وكانت جدته أخت والد تريان الإمبراطور المشهور ؛ وأسرته ، وأصلها من أدريا في ابيكينم Picenum (منطقة قديمة في وسط إيطاليا بين جبال الأبنين ناحية الغرب ، ومن الشرق يحدها البحر الأدرياتي ، وتشمل اليوم منطقة أنكونا وماتشراتا وأسكولي وشمال ترمو) قد استقرت منذ عهد طويل في أسبانيا ؛ أما أمه فكانت من قادس ، ويبدو أنها كانت أسبانية الأصل . ولكنه نشأ في روما ؛ واتجه في البدء إلى الدراسات اليونانية ، فدرس في اسكورس Scaurus . فكان لهذه التربية اليونانية أثرها الكبير طوال حياته ، حتى لقد لقبه بعضهم « اليوناني الصغير » Graeculus ازدراءً له . فدرس الآداب اليونانية واللاتينية والحساب والهندسة والفلسفة والرسم والغناء والرقص ؛ كما شارك في الألعاب الرياضية مثل الصيد والمسابقة والمصارعة . يضاف إلى هذا أنه كان موهوباً بالفطرة : فكان قوى الذاكرة والحافظة إلى درجة

أنه كان يروى الكتاب بنصه بعد قراءة واحدة ؛ وكان شاعراً [1] ، شأن غالبية القياصرة الرومان ، يعالج الشعر على قلة بضاعته فيه ، وأكثره فى الغزل وبعضه مدائح فى بلوتينا ، وتنسب إليه «الأنثولوجيا (المختارات) اللاتينية» بعض الأهاجى [2] . ولكن لم يبق لنا من آثاره الأدبية إلا القليل جداً ، أورد بعضه فليجون Phlegon وورد البعض الآخر فى «المختارات» . وبالجملة فقد كان امبراطوراً واسع الثقافة ، موهوباً من الناحية العقلية الروحية ، وكان على حد تعبير ترتليانوس [3] «رائداً يكتشف كل مجال للاستطلاع» omnium curiositatum explorator وفى هذا يقول ل . هومو : « فى ميدان الروح كان أدريانوس رجلا عالمى الثقافة ؛ وكانت معارفه الانسكلوبيدية ورغبته فى استطلاع كل شىء ، ومعرفته بالآداب والعلوم والفنون ، كل هذا كان مضرب الأمثال فى روما . وكان يتقن اليونانية واللاتينية بدرجة متساوية كتابةً وقراءة ؛ وكان فصيحاً باللغتين ، ويلذ له مطارحة أهل الأدب والفلسفة واللغة . وكان شاعراً يؤلف منظومه باليونانية واللاتينية أهاجِىَ وغير أهاج . وكان مؤرخاً ، فألف عن نفسه تاريخاً . وأحب الفلسفة وقرّبَ ابكتيتوس . وكان ناقداً ذواقةً يفضل اللغة العتيقة ويشوقه ما فيها من غرابة وحوشية تثيران بطعمها الحِرِّيف ذوقَه المنعَّم ، لذا كان يفضل كاتون على شيشرون واينوس على فرجيل ، وكاليوس على سالوست ، ويحكم على أفلاطون حكم العارف الواثق ينقد فى استعلاء ، ويضحى بهوميروس أمام منافس له مغمور ظل مجهولا . وأدريانوس الأديب هو فى الوقت نفسه عالم وفنان : فكان يعرف كل العلوم الشائعة فى عصره : الهندسة والفلك والحساب والطب ؛ وكان رساماً ومهندساً معمارياً ، ونحاتاً وموسيقاراً [4] » .

---

(١) راجع اسبارتيانوس : « حياة أدريانوس وأقواله » ف ١٤ .

(٢) «الأنثولوجيا اللاتينية» برقم ٢٠٦ — ٢١١ — نشرة ماير .

(٣) Tertullien : Apologia. 8 .

(٤) L. Homo : Les Empereurs et le Christianisme, Paris 1931, p. 23 .

وكان رحالة مولعاً بالأسفار الطويلة ، حتى قضى شطراً وافراً من ملكه وهو يذرع دولته الواسعة . عمَّ كان يبحث فى هذه الأسفار؟ كان يرضى حب استطلاعه لكل شيء ؛ وكان ينشر الإصلاحات الإدارية فى كل إقليم ، ويبث التنظيمات الدستورية الخصبة ، وينشىء المدن ، ويعيد بناء ما تداعى منها مما كان له ماضٍ عريق ، يعينه على هذا ويدفعه إليه علمه الغزير بتاريخ الحضارات الدارسة وبالآثار القديمة : فزاد فى عمارة قرطاجة وأضاف إليها حياً جديداً ، وكذلك فعل فى زاما (فى نوميديا) ؛ ولا تزال آثاره الرائعة فى سلع (بترا) فى المملكة الأردنية ، وفى عمان العاصمة الحالية تشهد بنزعته الغامرة إلى التشييد فى كل مكان . أما آثاره العمرانية فى إيطاليا فلا تزال أطلالها الباقية فى تيبور المعروفة بـ « ڤلا أدريانا » على مقربة من تڤولى فى إقليم روما أبلغ شاهد على مكانة الآمر بانشائها . فهناك على عشرين كيلومتراً من روما عند قرار جبل تيبور تقوم « ڤلا أدريانا » التى كانت على حد تعبير رينان ، بمثابة « ألبوم »(1) لصور أسفاره ومجمعاً لأشهر ما فى الدنيا : فكان فيها الطراز المصرى واليونانى ، وكان فيها اللوقيون والأكاديمية ، والمعابد ، والمسارح المتعددة ، والجمنازيوم والحمامات وحلبات المصارعة البرية والبحرية وميادين سباق الخيل ؛ وكان فيها من الشرق ذخائر ونفحات وطُرَزٌ وأسواق . وبالجملة كانت « صندوق الدنيا » . وكان فى كل مكان يحل به يأمر بتشييد الطرق وإقامة الأبنية واختطاط الخطط وتنفيذ المشروعات الاقتصادية وتكوين الشركات المساهمة التى تتولّى التنفيذ . كما كان يجمع المجامع ويستمع إلى الشكاوى ويفصل فى الخصومات ، ويحقق العدالة ، ويفتش أعمال الإداريين ، ويأمر بالإصلاح الإدارى . — لم يكد يبلغه نبأ انتهاء الملك إليه بوصية من ترايان (طريانوس كما فى نص ابن خلدون ، « تاريخ ابن خلدون » ج ١ — ٣٠٩ . القاهرة سنة ١٩٣٦ م) حتى رحل إلى

---

(١) راجع : رينان : « الكنيسة المسيحية » ص ٢٩١ (« أصول المسيحية » ج ٦) . باريس سنة ١٩٣٥ Renan : L' Eglise chrétienne.

سلوقية ليتزود من الامبراطور الراحل بالنظرة الأخـيرة ، ومنها إلى أنطاكية حيث جمع فيلقه الاشكانى (البارتى) ، وسار فى رفقته يذرع هضبة الأناضول ماراً بطوانة وأنقرة حتى بلغ نيقوميديا حيث قضى الشتاء . ومن ثم رحـل إلى أوربا عن طريق البوسفور فزار المناطق الشرقيـة وقام بتفتيش الجيوش الرومانيـــة التى كانت تحارب الروكسولان والسرمات Roxolans et Sarmates ؛ مما أدى به إلى بلوغ الدانوب وداقيا ، ومنها انحـــدر إلى إيطاليا عن طريق أكولا Aquila ، وبلغ روما فى يوليو سنة ١١٨ . وفى السنتين التاليتين جاس خلال إيطاليا نفسها فزار أقاليم كمبانيا وأنتيوم ونابلى وسورنته . وفى سنة ١٢١ رحل إلى وادى نهر الرون ومنه إلى ألمانيا ، فزار ماينتس وبنى مدينـة آرنزبرج ؛ وعلى طول الدانوب أمر بانشاء المـدن العسكرية : ڤينا ، أبوديا كم Abudiacum ، كلتوم Celtum الخ . ومن هنا سافر إلى هولنده ومنها عبر البحر إلى بريطانيا فى ربيع سـنة ١٢٢ ؛ وفى الخريف رحل إلى بلاد الغال (فرنسا) ؛ وفى الشتاء كان فى أسبانيا حيث أقام خصوصاً فى طرغونه ؛ ونجا من عبـــد مجنون حاول اغتياله . وفى خريف سنة ١٢٣ عبر أعمدة هرقل (جبل طارق) وزار مراكش ومن مراكش ركب البحر صوب الشرق ، ولم يرسُ قلاعه إلا فى ليبيا . ومن هناك ذهب إلى أنطاكية من جـــديد . واستأنف رحلته الأولى والتقى بملك الاشكانيين (ملوك الطوائف ، كما يسمون فى التواريخ العربيـــة) فى إقليم أفاميا ثم مر بالرها وميتيلين (ماردين) وقيسارية الجـديدة وبنطش وبثونيا ؛ وفى مدينة كاوديوس (كلوديوبولس) التقى بمعشوقه الجميل ، أنطينوس Antinoüs الذى سيقوم بينه وبينه عشق يونانى (نواسى) أثيم . وهنا طوف بالبـلاد اليونانية الحبيبة إلى نفسـه فزارها زيارة الأثرى الحريص على مشاهـــدة عجائبها المعمارية . وتوقف فى آثينيـة فى سبتمبر سنة ١٢٤ حيث أقام حتى مارس سنة ١٢٥ وأبدى نشاطاً رائعاً ، «وبنى

Bernard d'Orgeval : L'Empereur Hadrien : Son Oeuvre législative et administrative, Paris 1950.

أدريانوس بمدينة أثينوس بيتاً ، ورتب فيه جماعة من الحكماء لدراسة العلوم » كما يقول ابن خلدون (١ / ٣١١) نقلا عن ابن العميد عن المسبحي . وفي دلف استشار الوحي المشهور ؛ وفي دوراخيوم التقى بالفيلسوف الرواقي ابكتيتوس ؛ ثم أبحر إلى صقلية وصعد قمة الأَتِنا . ومنها إلى روما ، ومن ثمَّ إلى مدينته « ڤلا أدريانا » . وأقام في إيطاليا حتى ربيع سنة ١٢٨ حين رحل إلى أفريقية ، ومنها إلى آسيا . وفي ربيع سنة ١٣٠ نزل سوريا وفينيقيا ، ومنها إلى فلسطين فصعد جبل كسيوس ليرى مشرق الشمس ؛ واخترق إقليم اللاذقية ، وزار تَدْمُر ودمشق وبُصْرَى وجَرَش وعَمَّان وأورشليم وسَلْع وغَزَّة . ومنها انتقل إلى مصر فدخلها من الفرما (منطقة بورسعيد الآن) فأقام فيها قبراً لبومبايوس العظيم (ولد سنة ١٠٧ ق . م ، وتوفي سنة ٤٨ ق . م) . فزار الاسكندرية ولم يُطِلْ ، وصعد النيل إلى أن وصل طيبة فحيا تمثالي ممنون في ٢١ نوفمبر سنة ١٣٠ . وفي أثناء هذه الرحلة النيلية غرق معشوقه أنطينوس فحزن عليه حزناً بالغاً ، ولا يزال أمر غرق معشوقه هذا سراً يحيط به الغموض .

أما تنظيماته التشريعية والإدارية فأغلى ما يرشحه للمجد . فهو الذي نظم الإدراة أدق تنظيم ؛ وهو الذي زود القانون الروماني بنصيب وفير ؛ ولم ينس القانون العام وهو يصلح القانون الخاص ؛ وإن اتجه تنظيمه إلى زيادة سلطة الأمير (الامبراطور) على حساب سلطة السناتو (مجلس الشيوخ) ، أي أنه اتجه بنظام الحكم من الشورى إلى الملكية المطلقة ، وهو بعينه الاتجاه الذي اتجهته الخلافة العباسية ؛ ومن هنا كان اختيار أحمد بن يوسف لاسم أدريانوس عن وعى حقيقي . وكانت الملكية التي يرمى إليها أدريانوس ملكية مطلقة شاملة ، أعني مركزة السلطة في القيصر ، مما من شأنه تحديد حرية الأفراد . ولكنها مع ذلك ، بفضل نزعة أدريانوس الإنسانية ، اتجهت إلى حماية الأبناء من الآباء ، والعبيد من السادة .

أما فى القانون الخاص والمدنى منه بوجه أخص فقد سادت إصلاحاته فكرةُ العدالة والمساواة إلى حد غير قليل . وقد استوفى هذا الجانب من نشاط أدريانوس كتاب برنار دورجيڤال بعنوان : « الامبراطور أدريانوس : عمله التشريعى والإدارى » ؛ فنكتفى بالإحالة إليه ، وقد أفدنا منه هاهنا كثيراً .

وهناك جانب آخر لا بد من الإشارة إليه ها هنا ، لأنه أمسّ بموضوعنا ، وذلك هو صورة أدريانوس فى ضمير اليهود والنصارى . فقد لقوا مر العذاب : تنكيلا وتقتيلا على أيدى أسلافه خصوصاً نيرون ثم طيطوس الذى هدم بيت المقدس وإيوان سليمان ، ثم سلفه وقريبه طرايانوس (ترايان) فكانوا يفزعون أشد الفزع من ذكرى هؤلاء القياصرة . أما أدريانوس فقد استهل عهده بالسلام والمهادنة للجميع ، لا على حدود الامبراطورية وحدها ، بل وأيضاً فى داخلها . لهذا سالم اليهود وأعاد بناء مدينة القدس « ورجع إليها اليهود » (ابن خلدون ١ / ٣١١) . وإن كان لم يستطع أن يستمر على سياسة المهادنة مع اليهود لأنهم لم ينسوا ثأرهم السالف ، إذ « بلغه أنهم يرومون الانتقاض ، وأنهم ملكوا عليهم زكريا ، من أبناء الملوك ، فبعث إليهم العساكر ، وتتبعهم بالقتل ، وخرّب المدينة حتى عادت صحراء ، وأمر أن لا يسكنها يهودى ، وأسكن اليونان بيت المقدس . وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين سنة من خراب طيطس الذى هو الجَلْوة الكبرى . وامتلا القدس من اليونان . وكان النصارى يترددون إلى موضع القاب والصليب يصلون فيه ؛ وكانت اليهود يرمون عليه الزبل والكناس ، فنعهم اليونان من الصلاة فيه ، وبنوا هناك هيكلا على اسم الزُّهرة » (ابن خلدون جـ ١ / ٣١١) . وهذا النص يدل على أن موقف اليهود كان غير موقف النصارى ؛ ولهذا أهميته فيما يتصل بنسبة بعض كتابنا هذا إلى أدريانوس . والمهم هنا أن أدريانوس قد بدا فى أول الأمر عند اليهود والنصارى رجُلَ سلامٍ ؛ ولعل اليهود قد فكروا فى الإفادة من

هذا الموقف الجديد واستعادة مجد دولتهم التى هدمها أسلافه ، تدل على هذا قصيدة سبيليه sibyllin ، مؤلفها يهودى أو نصرانى من الإسكندرية ، قال فيها بعد أن سرد الأباطرة من يوليوس قيصر حتى طرايانوس : إن العرافة (السبيلة sibylle) ترى بعد طرايانوس على العرش « رجلاً ذا جمجمة من الفضة ، سيكون اسمه اسم بحر . لن يبلغ مرتبته فى الكمال أحد . ويكون عليما بكل شىء . وفى عهدك ، أيها العظيم ، أيها السلطان الجليل ، وفى عهد أبنائك ، ستقع الأمور التى أرويها » (١) .

ومن هنا كان طبيعياً أن تتكون عن هذا الإمبراطور الإنسانى صورة جميلة ، سجلها لنا على هذا النحو لأول مرة اسبارتيانوس Spartianus فى كتابه « حياة أدريانوس وأقواله » ؛ فسجل الصورة التقليدية السائدة فى أواخر القرن الثالث الميلادى وأوائل الرابع . صوّره اسبارتيانوس شخصية شعبية محبوبة من الجمهور إلى حد غير قليل ، مألوف الطلعة للناس ، ذلك لأنه كان يغشى الحمامات العامة ويستحم مع الناس (١٧ : ٥) ؛ وكان قوىّ الذاكرة ، يخاطب أكثر الناس بأسمائهم دون الاستعانة بمذكرة (٢٠ : ١٩ — ١٠) ؛ محباً لجنوده يشاركهم حياتهم ويؤاكلهم كفرد منهم (١٠ : ٢) . ولم يكن حرصه على محبة الشعب بمقصور على الشعب الرومانى ، بل جميع الشعوب التى تتألف منهم الإمبراطورية المترامية الأطراف . وفى آثينية دخل فى أسرار اليوسيس وأتم معبد زيوس الأولبى ، وارتدى زى اليونان . وكان شديد الإعجاب بالثقافة اليونانية (١ : ٥) ، حاضر البديهة ، فروى من نوادرها الكثير (١٦ : ٣ — ٤ ؛ ٢٠ : ٨ ؛ ٢١ : ٣) . وكان على صلة متصلة بعلماء عصره وفنانيه . وحاور العلماء فى متحف الإسكندرية (٢٠ : ١ — ٢) ، لأنه كان ولوعاً بالحوار معهم وإحراجهم بأسئلته المحيرة ؛

(١) القصيدة الواردة فى الكتاب الخامس من « الأشعار السبيلية » ، أبيات ٤٩ — ٥١ . أوردها رينان فى كتابه : « الكنيسة المسيحية » ص ١٣ — ١٤ . باريس سنة ١٩٣٥ ؛

ولكن على الرغم من شغفه بمعاياة الموسيقيين والممثلين والنحويين والخطباء بأسئلته فقد كان كريماً يجزل لهم العطاء ، ومن بينهم : ابكتيتوس الفيلسوف وهليودورس ، وهو الآخر فيلسوف ، وفافورينوس Favorinus الخطيب ، وكان أخلص خاصائه المقربين إليه . — ثم يروى اسبارتيانوس حكايات شعبية كثيرة حول أدريانوس ويذكر نقد ماريوس مكسيموس Marius Maximus لهذه الأقاصيص ؛ كما يشير إلى أن المؤرخين فى نهاية القرن الثانى أو أوائل القرن الثالث قد أحسوا بأن من واجبهم أن ينقدوها .

تلك هى الصورة التى يقدمها اسبارتيانوس عن أدريانوس . فهل من عجب بعد هذا أن يعنى الكتاب ، فى العصر السكندرى بخاصة ، بنحل المولفات إليه ، وتصويره فى محاورات مع علماء عصره الذين قربهم ؟ وهل من عجب أن تكثر القصص حول عدله وذكائه ومهارته فى السياسة وعلمه الغزير بفنونها ؟

لهذا رأينا طائفة من المؤلفات المنحولة تصوره فى حوار مع الفلاسفة والحكماء ، ومن بينها حوار مشهور بينه وبين ابكتيتوس عنوانه Altercatio Hadriani Augusti et Epicteti Philosophi ، لدينا من نصه اللاتينى أحد عشر مخطوطاً ، وصفها ثم نشر النص فلتر سوخر (وظهر فى منشورات جامعة الينويس بأمريكا فى سلسلة « دراسات جامعة الينويس فى اللغة والأدب » ، المجلد ٢٤ برقمى ١ ، ٢ (١)) سنة ١٩٣٩ . وقدم للنص لويد وليم دالى Lloyd William Daly بدراسة ممتازة عن هذا الحوار وعن « فن الحوار » عند اليونان والرومان .

ومن هذه المؤلفات المنحولة كذلك كتاب غريب بعنوان « حياة سكندس » ، الفيلسوف الصامت الذى اعتصم بالصمت بعد تجربة أليمة له : ذلك أنه سمع عن

(١) Die Altercatio Hadriani Augusti et Epicteti Philosophi; nebst einigen verwandten Texten — herausgegeben von Walter Suchier, in: Illinois Studies in Language and Literature, vol. XXIV, No. 1—2

حكيم أنه قال إنه لاتوجد امرأة عفيفة ! فراح يمتحن صحة هذا القول ، ومن غريب الأمر أن التجربة وقعت له مع أمه بعـــد أن فر وانقطع عنها ثم جاء متنكراً فى زى تاجر غريب غنى أغراها بالمال بواسطة خادمتها إلى أن وافقت على أن ينام معها ! فأثر هذا الأمر فى نفسه أبلغ تأثير ، وعاهد نفسه على الصمت التام مهما كلفه ذلك من عذاب . وهذه القصة الشعبية تصور أمره مع الامبراطور أدريانوس الذى أراد حمله على الكلام .

وهــذه القصة انتشرت فى بلاد الشرق الأدنى انتشاراً عجيباً ، فترجمت إلى السريانية والحبشية والعربية . ولدينا الآن أربع ترجمات حبشية (1) ، وبعض شذرات من ترجمة سريانية . أما الترجمة العربية فيوجد لدينا منهــا مخطوطات مسيحية بلغة عامية أو شبه عامية تشبه لغة الموارنة من رجال الدين فى لبنان فى القرن السابع عشر أو قبــله بقليل . ومنها فى المكتبة الأهليــة بباريس المخطوطة رقم ١٥٠ (كتبت سنة ١٦٠٦ م — ورقة ٣٠٠ ا — ٣٣٣ ب)، ورقم ٢٧٥ (كتبت سنة ١٦٨٥ م — ورقة ٣١ — ٣٤ ب)؛ وفى مكتبة لينبجراد فى روسيا، برقم ٣١ (ورقة ٢٠٢ ب — ٢٣٠ ب)؛ وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٧٧ (مخطوط من القرن التاسع عشر) ، وفى المتحف القبطى بالقاهره برقم ١٢٥ : ١٢ (من القرن التاسع عشر) (2)

ويرى رِفيــو (3) أن :

١ — هذا الكتاب ، « حياة سكندس » شرقى الأصل ، كُتِب فى بيئة سورية فينيقية ؛

٢ — أن مؤلفه كان غنوصياً يهودياً أو مسيحياً ؛

---

(١) فى المكتبة الأهلية بباريس برقم ١٤٦ حبشى .

(٢) راجع جورج جراف : « تاريخ الأدب العربى المسيحى » ج ١ ص ٣٨٨ . مدينــة الفاتيكان سنة ١٩٤٤ .

(٣) E. Revillout, in: Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Comptes Rendus, 13 (1872), 256 -354.

٣ – أن الترجمة اليونانية الباقية لنا هى ترجمة وليست أصلا ، وأنها ناقصة وفيها حشو وانتحال ، وترجمت عن نص متأخر اعتمد فى الأصل على لغة سامية ؛

٤ – أن الصورة العربية هى أقرب الصُّوَر إلى الأصل .

لكن جاء ى . بخمن (١) فأورد حججاً للدفاع عن النص اليونانى ، وأنه الأصل وليس ترجمة . وقال : لو صح أن الكتاب فى نصه اليونانى مترجم عن لغة شرقية ، لكان فى النص آثار تدل على أفكار مسيحية ؛ والواقع أن الكتاب خالٍ من أثر المسيحية .

وإذن فقد أضحت شخصية أدريانوس شخصية شعبية تمثل فى الضمير الشعبي الحكمة ؛ فهل من عجب بعد هذا فى أن ينحله الكتاب هذا العهد الذى ألفه أحمد بن يوسف ؟! لقد صارت شخصية أدريانوس فى العربية كشخصية الإسكندر الأكبر المقدونى : شخصية أسطورية مؤمنة موحدة ، ولو قدر لأدريانوس أن يجد أمثال نظامى كنجوى لكان لدينا : « أدريانوس نامه » مثل ما لدينا « إسكندر نامه » .

تلك نقطة أولى ، فسرنا بها العلة فى اختيار أحمد بن يوسف لشخصية أدريانوس

والنقطة الثانية هى أن نتساءل : هل أحمد بن يوسف هو الذى « ألف » هذا العهد وبقية العهود الواردة هنا ؟ أو أن لها أصلا يونانياً عنه نقل ؟

قلنا إنه يقول (أو عنوان الكتاب يقول) إنه مستخرج من رموز كتاب « السياسة » لأفلاطون ؛ فمن الذى استخرجه ؟ أيكون الكتاب كله من وضع العهد السكندرى المتأخر ، وضع فى اليونانية ، ولم يفعل أحمد بن يوسف أكثر من أن

---

(١) فى كتابين : Johann Bachmann : Das Leben und die Sentenzen des Philosophen Secundus des Schweigsamen. Nach dem Aethiopischen und Arabischen (Dissertation), Halle, 1887 ;

——— ——— Die Philosophie des Neuphythagoreers Secundus. Berlin 1888

نقله من اليونانية إلى العربيـــة ؟ ولكن قوله : « ألفه أحمد بن يوسف بن ابراهيم » يدعونا إلى التردد فى القطع برأى فى هذه المسألة .

ذلك أننا لا نعرف له فى الآداب اليونانية أو اللاتينية التى وصلت إلينا أصلاً يمكن أن يُردّ إليـه على أنه ترجمة له ؛ وإن كان وجود أحمد بن يوسف فى مصر قد يؤيد افتراض وجود هذا النوع من الكتب فى بعض الأديرة مما خلفه العهد السابق على الإسلام .

وهذا الفرض يؤيده أو يزكيه جملة اعتبارات :

الأول : أن أحمد بن يوسف كان واسع الثقافة اليونانية ، يعرف العلوم اليونانية التى ترجمت إلى العربيـــة . ورد فى ياقوت (« معجم الأدباء » ٥ / ١٦٠ طبـع مصر) نقلا عن ابن زولاق (أورولان) : « كان أبو جعفر (أحمد بن يوسف) رحمه الله فى غاية الافتنان ، أحد وجوه الكتاب الفصحاء والحُسّاب المنجمين ، مجسطى أوقليدسى ، حسن المجالسة ، حسن الشعر » ، كما ذكر له ياقوت من بين مؤلفاته : كتاب أخبار الأطباء ، كتاب مختصر المنطق ألفه للوزير على بن عيسى ، كتاب ترجمته كتاب الثمرة ، كتاب أخبـار المنجمين . كما أبرز القفطى (طبع مصر ص ٥٦) جانب الفلك عند أحمد بن يوسف فقال : « أحمد بن يوسف المنجم : رجل مشهور فى العــلم بهذا الشأن (أى علم النجوم) . فمن تصانيفه : كتاب النســبة والتناسب . وله فى أحكام النجوم : « كتاب شرح الثمرة لبطلميوس » . وكذلك قال ابن النديم فى « الفهرست » فى الكلام عن بطلميوس (الطبعة المصرية ص ٣٧٥ س ٦) : « كتاب الثمرة ، فسره أحمد بن يوسف المصرى المهندس » . كذلك قال من بعـده صاعد بن أحمـد الأندلسى فى « طبقات الأمم » : « ومنهم أحمد بن يوسف صاحب الكتاب المؤلف فى « النسبة والتناسب » وصاحب « شرح الثمرة لبطلميوس » (طبع مصر ص ٩٠) . وكتاب الثمرة هو Centiloquium . وهذا

كله يرجح أن يكون أحمد بن يوسف عارفاً باليونانية ، فلا يستبعد أن يكون وجد للكتاب أصلا باليونانية .

الثانى : أن أحمد بن يوسف كان مصرياً ، ومن هنا سماه ابن النديم « المصرى المهندس » ، وقال ياقوت (« معجم الأدباء » ٥ — ١٥٤) : « وكان من جِلّة الكتاب بمصر » ؛ وقد خدم أحمد بن طولون (تولى حكم مصر سنة ٢٥٤ هـ وأعلن استقلاله عن بغداد سنة ٢٦٦ هـ ، وتوفى فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٢٧٠ هـ) ، وكتب سيرته . وليس بمستبعد أن يكون فى مصر بعض الآثار اليونانية فى السياسة والحكمة مما لم تعرفه بغداد ولم يذكره ابن النديم مؤرخ الترجمة فى المشرق ، وذلك مما بقى من المكتبات اليونانية وتفرق عند الخاصة وفى الأديرة وفى البيئات المسيحية المصرية بخاصة .

ولكن يضعف من هذا الفرض :

أولا : أننا لانجد للكتاب — فيما وصلنا وبلغ إليه علمنا — أصلا يونانياً أشارت إليه المصادر أو عرف بنصه ؛ وإن كانت هذه حجة غير قاطعة لكثرة ما فقد من الكتب اليونانية ، خصوصاً الكتب المتأخرة التى من عهد مدرسة الإسكندرية والكتب المنحولة ، وكتابنا من هذا النوع .

ثانياً : أنه لايتصور من مؤلف يونانى أن يجهل تاريخ أدريانوس وأن يقول إنه كان قبل مبعث موسى ؛ أو أن يقول عن أفلاطون إنه كان له ابن وزير . فمثل هذه الأخطاء التاريخية الفاحشة لايقع فيها يونانى يكتب هذا الكتاب .

ثالثا : ما ذكر فى عنوان الكتاب من أنه مستخرج من رموز كتاب « السياسة لأفلاطون » فهذا يستغرب صدوره عن مؤلف يونانى ، لأن نص كتاب « السياسة» (« الجمهورية ») اليونانى أشهر من أن يَدّعِىَ عليه هذه الدعوى يونانىٌ يكتب باليونانية .

رابعاً : ولغة الكتاب عالية جداً ، ليس فيها عجمة الترجمة ، بل فيها بيان عربيٌّ فصيح متقن الأسلوب أنيق اختيار الألفاظ ؛ وفيها من الصفاء ما يقطع بأنها لم تصدر عن مترجم يترجم عن اليونانية ، بل عن مؤلف عربي يؤلف تأليفاً مباشراً .

لهذه الأسباب كلها نرى أن الكتاب ، كتاب « العهود اليونانية » ، كتاب وضعه أحمد بن يوسف وضعاً ، واستلهم فى تأليفه كتاب « السياسة » لأفلاطون وكتباً أخرى يونانية الأصل لعله قرأها فى أصلها اليوناني ، إذ يلوح أنه كان يعرف اليونانية . وأراد أن يصبغه بصبغة يونانية فزعم صدور العهد الأول عن أدريانوس ؛ وكان اختياره لأدريانوس نظراً لما يتمتع به هذا القيصر فى الضمير الشعبي من مكانة تظهره بمظهر الحكيم الخبير بأمور السياسة والإدارة على النحو الذى فصلناه من قبل . يضاف إلى هذا أن أحمد بن يوسف لابد أن يكون قد عرف اسم أدريانوس معرفة جيدة ، بسبب اهتمامه ببطلميوس الجغرافى ، وبطلميوس الجغرافى (قلوديوس بطلميوس) عاش وعمل على عهد أدريانوس وأنطونينوس ، إذ ترجع أولى أرصاده إلى سنة ١٢٨ م ؛ وهذا أمر عرفه العرب ، إذ ذكر ابن النديم فى « الفهرست » : « بطلميوس : صاحب كتاب المجسطى ، فى أيام أدريانوس وانطونينوس ، وفى زمانهما رصد الكواكب ، ولأحدهما عمل كتاب المجسطى » (طبع مصر ص ٣٧٤) . وذكر ذلك أيضاً ابن أبي أصيبعة والقفطى ، كما ذكر ابن خلدون (١ / ٣١١) أن « بطلميوس صاحب المجسطى رصد الاعتدال الخريفى فى ثالثة ملك أنطونينوس » . فاذا كان أحمد بن يوسف قد عنى بكتاب « الثمرة » (ويسمى أيضاً « الفصول المائة ») ، لبطلميوس ، فلا عجب أن يعرف أدريانوس جيد المعرفة وقد أورد بطلميوس ذكره مراراً .

ولسنا نستشف من خلال كلامه من هو الذى يتجه إليه بهذا الكتاب : فلا يمكن أن يكون أحمد بن طولون أو خمارويه أو أحد ولاة مصر أو غير مصر ، لأن

اللهجة التى يستخدمها فى الخطاب لا يمكن أن تصدر من مثله إلى والٍ. فهو يتهمه «بالجنوح إلى ما قاده إليه جماح التعصب وحداه عليه زلل التساط — من الطعن على من بان فضله ورجح وزنه من اليونانيين» وهو «يسأل الله له هداية تقف به على ما له وعليه» — وهذه عبارات لا يمكن أن يستخدمها كاتب مع حاكم ذى شأن مثل أحمد بن طولون أو خمارويه أو من تلاهما. يضاف إلى هذا أن أحمد بن طولون كان تركياً وليس فارسياً، قال ابن خلكان فى «وفيات الأعيان»: «وطولون... اسم تركى» (١ / ١٥٦. القاهرة سنة ١٩٤٨)، وكان أبوه مملوكاً أهداه نوح ابن أسد السامانى عامل بخارى إلى المأمون فى جملة رقيق حمله إليه فى سنة مائتين، وبخارى فى إقليم الصغد، وهو إقليم تركى العنصر؛ وإن كان هذا لا يقطع فى أمر عنصره لاختلاط العناصر فى الأقاليم. وإذن فلم يكن هناك ما يدعو أحمد بن طولون أو خمارويه إلى التعصب العنصرى للفرس. — لهذا نرجح أن يكون كتابه هذا موجهاً إلى أحد المتشيعين للفرس من عامة الناس أو الكتاب دون أن نستطيع تحديده بأكثر من هذا.

— ٣ —

أحمد بن يوسف

أما المؤلف نفسه فهو أحمد بن أبى يعقوب يوسف بن إبراهيم. وكنيته أبو جعفر وكان أبوه ولد داية ابن المهدى؛ ولهذا نرجح أن يكون المشهور بابن الداية هو أبوه يوسف بن إبراهيم، كما رجّح ذلك ياقوت («معجم الأدباء» ٥ / ١٥٤)، وإن كان الأمر مختلطاً منذ زمان بعيد ولا يزال بين الكتاب اليوم من يطلق الشهرة: «ابن الداية» على أحمد صاحب كتاب «المكافأة» وغيره. وكان أبوه يوسف فى خدمة إبراهيم ابن المهدى، أخى هارون الرشيد، الذى بويع له بالخلافة ببغداد بعد المائتين والمأمون يومئذ بخراسان ... وأقام خليفة بها مقدار سنتين، وذكر الطبرى

فى « تاريخه » أن أيام إبراهيم بن المهدى كانت سنة وأحد عشر شهراً واثنى عشر يوماً » (١ / ٢٠) ولمبايعته قصة شائعة فصلها الطبرى . وكان أيضاً يجيد الغناء والضرب بالملاهى — وهو أمر فصله أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب «الأغانى» (ج٩). وكانت ولادته ، أى إبراهيم بن المهدى ، فى غرة ذى القعدة سنة ١٦٢هـ وتوفى فى ٩ رمضان سنة ٢٢٤ بسُرَّ مَنْ رَأَى . ومن هنا ومن كون أحمد بن طولون ولد فى سُرَّ من رأى (سامرّا) نستطيع أن نستخلص أن يوسف بن إبراهيم كان فى خدمة إبراهيم بن المهدى فى سر من رأى، وأنه تعرف إلى أحمد بن طولون فى سر من رأى . فلما تولى أحمد بن طولون حكم مصر مِنْ قِبَل المعتز بالله أخذه معه إلى مصر . على أن ياقوت يذكر (١٥٥/٥) أن يوسف بن إبراهيم قدم دمشق سنة خمس وعشرين ومائتين ، أى بعد وفاة إبراهيم بن المهدى بعام واحد ، ولعله قدم دمشق ليدرس الطب على يدى عيسى بن حكم الدمشقى ، الطبيب النسطورى. بيد أنه وقعت له محنة مع أحمد بن طولون رواها ياقوت تفصيلا ؛ وما لبث — وقد توفى يوسف بن إبراهيم فى غمرة هذه المحنة — أن تبين طيب معدن يوسف بن إبراهيم ؛ ومن هذا يتبين أنه لا بد أن يكون يوسف بن إبراهيم قد مات فى خلافة أحمد بن طولون أى بين سنة ٢٥٤ هـ وسنة ٢٧٠ هـ .

أما أحمد فلا نعرف عن حياته شيئاً واضحاً[1] . وإذا صح ما يقوله ياقوت (١٥٩/٥) من أنه توفى فى « سنة نيف وثلاثين وثلثمائة ، وأظنها سنة أربعين وثلثمائة » فالأرجح أن يكون قد ولد بمصر ، وإذا صح هذا يكون والده قد توفى فى أواخر سنى ولاية أحمد بن طولون ما دام قد حضر جنازة والده وقبض عليه عندما

---

(١) راجع عنه : ياقوت : « معجم الأدباء » جـ ٥ ص ١٥٤ — ١٦٠ ، طبع مصر ؛ صاعد بن أحمد الأندلسى : « طبقات الأمم » ص ٩٠ ، طبع مصر ؛ ابن النديم : « الفهرست » ص ٣٧٥ س ٦ طبع مصر ؛ القفطى : « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص ٥٦ ، طبع مصر (وهو ينقل ما قاله صاعد) ؛ ابن أبى أصيبعة : « طبقات الأطباء » جـ ١ صفحات ١١٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٧ .

أرسل ابن طولون من هاجموا دار أبيه . ونرجح أن تكون ولادته بين سـنة ٢٥٥ ﻫ وسنة ٢٦٠ﻫ . أما وفاته فنفضل أن تكون فى أوائل العقد الرابع من القرن الرابع ، أى حوالى سـنة ٣٣١ﻫ ، اللهم إلا إذا افترضنا أن سنه تقدمت وامتد به العمر طويلا حتى جاوز الثمانين ، فيصح ما ظنه ياقوت من أن وفاته سنة ٣٤٠ﻫ .

ولأحمد بن يوسف نشاط فكرى متعدد الجوانب : فكان أديباً ممتازاً فى النثر ويقرض الشـعر وقد "خرج من شعره أجزاء" ؛ وكان عالماً بالطب والنجوم والحساب ؛ وكان مؤرخاً . وله من الكتب :

١ — « سيرة أحمد بن طولون » وقد نقل عنها كثيراً ابنُ سـعيد فى كتاب « المغْرِب » (القسم الخاص بمصر ، وقد نشره الدكتور شـوقى ضيف وآخرون ، مطبعة جامعة فواد ؛ القاهرة سنة ١٩٥٤) ، وكان فولرز C. Vollers قد نشر بعض فقرات من « المغرب » فى « دراسات سامية » (كراسة ملحقة بـ « مجلة الأشوريات) ج ١ ، برلين سـنة ١٨٩٤ . وقد رد عليـه المدنى فى « كتاب سيرة آل طولون » (مخطوط برقم ٢٤٢ تاريخ فى المكتبة الظاهرية بدمشق) .

٢ — « سيرة أبى الجيش خمارويه» — نقل عنه ابن سعيد فى «المُغْرِب» أيضاً.

٣ — « سيرة هارون بن أبى الجيش » .

٤ — « سيرة غلمان بنى طولون » .

٥ — كتاب « المكافأة » طبعه أمين عبد العزيز بالقاهرة سنة ١٣٣٢ﻫ (سنة ١٩١٤) عن مخطوطة لا ندرى أين الآن مصيرها ! وقد طبع فى مصر بعد ذلك مرتين : طبعه الأستاذ محمود شاكر وطبعته لجنة من وزارة المعارف ، وكان اعتمادهما على طبعة أمين عبد العزيز الخانجى السالفة . وفى الكتاب ٧١ حكاية . وذكره ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١٤٠) ونقل عنه .

٦ — كتاب « حسن العُقْبى » — وقد نقـل عنه ابن أبى أصيبعة فى « طبقات الأطباء » (جـ ١ ص ٢٠٧ فى ترجمة الكندى) حكايةً طويلة .

٧ — « أخبار الأطباء » — ذكره الصفدى فى « الوافى بالوفيات » جـ ١ ص ٥٤ س ١٨ .

٨ — كتاب « أخبار المنجمين » .

٩ — « مختصر المنطق » — ألفه للوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح الذى وزر للمقتدر أول مرة فى محرم سنة ٣٠١ ، وثانى مرة فى ١١ ذى القعدة سنة ٣١٤ ، وتوفى فى ذى الحجة سنة ٣٣٤ . — وهذا يدلنا على أنه لا بد أن يكون قد ارتحل إلى بغداد ولحق بخدمة الوزير على بن عيسى ؛ ولعـل ذلك بعد زوال دولة الطولونيين .

١٠ — شرح كتاب « الثمرة » لبطلميوس . ذكره ياقوت (١٦٠/٥) وابن النـديم (ص ٣٧٥ س ٦) والقفطى (ص ٥٦) وصاعد (ص ٩٠) . «والثمرة» هو «الفصول (= الأقوال) المائة» لبطلميوس الجغرافى Centiloquium وهوكتاب فى التنجيم حاول بعض المؤرخين المحدثين إثبات أنه منحول على بطلميوس بسبب ما فيه من تنجيم وخرافات لا يليق صدورها عن عالم دقيق مثل بطلميوس (عاش بين سنة ١٠٠ وسنة ١٧٨م) . ولذا يقول كرست فى « تاريخ الأدب اليونانى » (طبعة سادسة سـنة ١٩٢٤ جـ ٢ ق ٢) : « من المؤكد أن كتاب « الفصول المائة » غير صحيح النسبة إلى بطلميوس » (ص ٨٩٩ — ص ٩٠٠) . وقد استخلصه مؤلفـه « ثمرةً » من « كتاب الأربعـة » Tetrabiblos الذى يتضمن التنبؤ عن طريق أحكام النجوم ؛ وهذا الأخير ، كتاب « الأربعة » ، نقله إلى العربيـة إبراهيم بن الصلت ، « وأصلحه حنين بن إسحٰق ، وفسر المقالة الأولى أوطوقيوس ، وجمـع المقالة الأولى ثابت ، وأخرج معانيها وفسره عمر بن الفرخان

وإبراهيم بن الصلت والنيريزى والبتانى » (« الفهرست » لابن النديم ، ص ٣٧٤ — ص ٣٧٥) . فاسمه : « الثمرة »، نشأ من كونه ثمرة كتابه « الأربعة » ، وباليونانية Καρπός . وشرح أحمد بن يوسف لهذا الكتاب يدل على سعة إطلاعه على علم النجوم . ويوجد منه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال (الفهرست الثانى، برقم ١٨٢٩ : ٢) وفى باريس برقم ٥٨٧٤، وفى الفاتيكان (فاتيكانى) برقم ٩٥٥ : ٢ ، وفى اللورنسانية (فى فيرنتسه) شرقى برقم ٩٤ (راجع نلّينو، « البتانى » ٢ ص XIII — XII) ، وفى الأمبروزية بميلانو (سلسلة جديدة ٢٩ / ٢ ، ٣٤٢ / ٤) وفى بطرسبرج (فهرست روزه برقم ١٩١) وفى استانبول (نورى عثمانيه برقم ٢٨٠) . وأحياناً يرد مع النص العربى لكتاب الثمرة شروح فارسية ، كما فى مخطوطتى مكتبة بودلى باكسفورد برقمى ٩٣١، ١١٧٢ ، يذكر أنها للطوسى[1] . ويوجد بعض «شرح الثمرة» لأحمد ابن يوسف أيضاً فى مكتبة تيمور بدار الكتب المصرية برقم ٢٩٠ أخلاق، وفى بتنا (الفهرست جـ ١ ص ٢٣٨ ، رقم ٢٠٦٤) . والقطعة الواردة فى مخطوط تيمور رقم ٢٩٠ أخلاق تقع من ص ٣٠٢ — ص ٣٠٣ ، مخرومة فى آخرها لسقوط بعض أوراق من النسخة نفسها .

---

(١) راجع فى هذا : اشتينشنيدر : « الترجمات العربية عن اليونانية » § ١١٨ (ص ٢١١ — ٢١٢) ؛ بروكلمن GAL الملحق جـ ١ ص ٢٢٩ . ومخطوط الاسكوريال رقم ١٨٢٩ يتضمن : (١) « كتاب الأربع مقالات لبطلميوس فى القضاء بالنجوم على الحوادث » بشرح محمد بن جابر البتانى (المتوفى سنة ٣١٧ هـ — ٩٢٩ م) ، ويبدأ : « الباب الأول : إن الأمور التى بها يكون تمام مقدمة المعرفة المأخوذة من علم النجوم » ؛ (٢) (ورقة ١١٨ ب — ١٢٩) : « كتاب الثمرة لبطلميوس » . ويبدأ هكذا : « قال بطلميوس : قد قدمنا لك يا سورس كتباً فيما تؤثره الكواكب فى عالم التركيب كثيرة المنفعة فى تقدمة المعرفة . وهذا الكتاب "ثمرة" ما اشتملت عليه تلك الكتب ... » . ويقع المخطوط فى ١٢٩ ورقة ، مسطرته ١٨ سطراً ، مقاس ٢٠ × ١٣٫٥ سم .

١١ – فى «النسبة والتناسب» – ذكره صاعد فى «طبقات الأمم» (ص ٩٠) وعنه نقل القفطى فى «إخبار العلماء» (ص٥٦)، ومنه نسخة فى الجزائر برقم ١٤٤٦ (٢)؛ ودار الكتب المصرية (فهرست الدار، طبعة أولى ج ٥ : ١٦٨).

١٢ – أخبار إبراهيم بن المهدى – ذكره ياقوت (٥ / ١٦٠).

١٣ – كتاب «الطبيخ» – ذكره ياقوت.

١٤، ١٥ – ذكر له بروكلمن GAL ج ١ (طبعة ثانية ص ١٥٥) رسالتين إحداهما فى الأقواس المتشابهة، والثانية فى خطوط العرض، ومنهما نسخة خطية فى مكتبة بودلى بأوكسفورد (١ : ٩٤١).

١٦ – «العهود اليونانية»؛ لم يذكره أحد ممن ترجموا له. ونحن ننشره عن المخطوطة رقم ٢٤١٦ عربى بالمكتبة الأهلية بباريس[١]. وهاك وصفها:

— ٤ —

وصف المخطوط رقم ٢٤١٦ عربى بالمكتبة الأهلية بباريس[٢]

١ – كتب على الورقة الأولى: volume de 56 feuillets. Le feuillet : 1 est mutilé. 24 juillet 1874

---

(١) فى مكتبة الإسكوريال (فهرست دارنبورسنة ١٩٠٣، باريس ج ٢ ص ٩) برقم ٧١٩ كتاب بعنوان: «كتاب فيه سياسة الأمراء ولاة الجنود المتضمن لثلاثة عهود»؛ ويتضمن: (١) عهد ملك إلى ابنه؛ (٢) عهد وزير إلى ولده؛ (٣) عهد رجل من أرفع طبقات العامة إلى ابنه. – وهذا بعينه ما ورد فى كتابنا: «العهود اليونانية». ومؤلفه هو إبراهيم بن عبد الواحد بن أبى النور، ألفه للمؤيد بنصر الله أمير المؤمنين أبى يحى أبى بكر. – وهذا الأمير هو المتوكل على الله، وكانت حاضرة ملكه تونس وحكم إفريقية بين سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) وسنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦ م). وهو بخط مغربى فى ٩٧ ورقة، مسطرته ١٤ سطراً.

(٢) عن هذا المخطوط نفسه نشر جميل بك العزيز فى بيروت (بغير تاريخ) هذا الكتاب بعنوان: «كتاب السياسة لأفلاطون، استخراج أحمد بن يوسف. نقل من أصل منقول عن نسخة فى متحف باريز. قصد بوضع هذا الكتاب واستخراجه من كتاب السياسة لأفلاطون الرد على رجل متعصب للفرس يفضلهم على اليونانيين»، وقد سبقه الناشر بمقدمة فى «ترجمة صاحب الكتاب» أى أحمد بن يوسف، وقال: «وقف على أصل هذا الكتاب أحد الأفاضل المعاصرين فى متحف باريز فاستنسخه. فنقلت هذه النسخة عنها وعنيت بتحريرها وضبطها؛ والله الموفق وهو يهدى السبيل» (ص٣)؛ وتقع هذه الطبعة فى ٧٤ صفحة.

أى : مجلد فى ٥٦ ورقــة والورقة الأولى بها تمزُّق . كتب فى ٢٤ يوليوسنة ١٨٧٤ . والرقم القديم هو Arab. 588 . ثم أصبح ٩٢١ عربى . ثم أصبح الآن ٢٤١٦ ثم ورد فى الأوراق المضافة بأول المجلد :

Kétab al 'ohoud al Iounaniah. Liber quo axiomata Graecanica ex libris politicis Platonis excerpta continentur, authore Ahmed ben Joseph ben Ibrahim.

Fingitur in hoc opere Rex quidam nomine Adhrianous, qui apud Graecos veteres Dei vertitatem profitententes, ante Mosaica tempora, imperitaverit, et moriens filio suo de regius administratione mandata dederit.

Posso in hac fabula duo faedissimi Anachronismi occurrunt 1us quo Platonem Moyse antiquiororem statuit, 2us quo Adhrianum sive Hadrianum Romanorum Imperatorem (quem inter Sapientissimos Reges Moslemii commemorant) apud Graecos vetressissimos reynasse asserit.

Autem hic, Hadrianus Antoninus cognomento Philosophus censeri debet. Vide Soiar al Hokama

وترجمته :

" كتاب « العهود اليونانية » ، وهو كتاب يتضمن كلمات اليونانيين المستخرجه من كتب أفلاطون فى السياسة ، تأليف أحمد بن يوسف بن ابراهيم .

وفى هــذا الكتاب يزعم المـؤلف أن أحــد الملوك واسمه ادريانوس حكم بين اليونانيين القــدماء المعتقدين لتوحيــد الله قبــل مبعث موسى . ولمــا حضرته الوفاة أوصى ابنــه مستخلفاً إياه بعهــدٍ لإدارة ملكه . وإنى لأجد فى هــذه الأسطورة خطأين تاريخيين ظاهرين جداً : الأول : أن أفلاطون كان قبل موسى ؛ والثانى : أن أدريانوس أو هادريانوس ، امبراطور الرومان (وكان المسلمون يرون فيــه ملكاً من بين الملوك الجليلى المحل فى الحكمة) ، كان يحكم بين اليونانيين القدماء .

ولهذا إذن يجب أن نلقب أدريانوس أنطونينوس هذا بلقب الفيلسوف .

راجع « صور الحكماء » ".

٢ — فى الورقة الأولى : وجه :

العنوان : « كتاب العهود اليونانيــة المستخرجة من رموز كتاب « السياسة » لأفلاطن وما انضاف إليه ، تأليف أحمد بن يوسف بن ابراهيم رحمة الله عليه » .

ثم تحته بيتان من الشعر هما :

جميـل الدُّعاء فى معـاليك يُرْفَـع ورب البرايا يستجيب ويسمع
تكون لك الزلفـاء والحظ فى الورى ويدٌ لهـا بطشٌ على الحق توضع

ثم عدة تملكات : منها :

محمد بن ابراهيم الحنفى عفا الله عنه .

من كتب العبد الفقير إلى الله تعالى عبد التواب سليمان بن عمر فى نوب [... ...] محمد بن [... ... ...] القدسى الدمشقى عفا الله عنه بكرمه .

مالكه العبد الفقير إلى الله بـ [... ... ...] الشيخ محمد 974xI (! !) .

وهـذه الورقة بها تمزيق يشمل قسما كبيراً من الزاوية العليا إلى اليسار بسبب تآكل فى الورق .

٣ ــ فى الصفحة ١٥ سطراً وطول السطر فى المتوسط ٢ و١١ سم ، وطول الصفحة فى المكتوب ١٧ سم فى المتوسط . والخط نسخى كبير . والورق غليظ قديم ، والكتابة مضبوطة بالشكل ، لكن الشكل ليس بصحيح دائماً . والخط واضح جيد .

٤ ــ ليس فى الخاتمة تاريخ نسخ ، بل اسم الناسخ فقط هكذا :

« كتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه ابو الحسن بن أبى طالب بن الدقاق . حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد وآله وصحبه » .

لكن فى ظهر الورقة الأخيرة (رقم ٥٦) وصفات طبية لعسر البول . ثم أبيات من القصيدة المشهورة فى رثاء معن بن زائدة ، للحسين بن مطير الأسدى :

أَلِمَّـا عـلى مَعْنٍ وقُـولا لقَبْره سَـقَتْك الغوادى مَرْبَعاً ثم مربعـا
أيا قـبر مَعْنٍ كيف واريت جُـودَه وقد كان منه البر والبحر مترعاً ؟ !

ويا قبرَ معْنٍ أنت أولُ حفرةٍ من الأرض خُطَّتْ للسماحة مضجعاً
بلى ! قد وَسِعْتَ الجودَ والجودُ ميتٌ ولوكان حياً ضِقْتَ حتى تصدعا
فتًى عِيشَ فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مَرْتعا
ولما مضى مَعْنٌ مضى الجود وانقضى وأصبح عِرْنِينُ المكارم أجدعا

راجعها فى « الحماسة » بشرح المرزوقى ص ٩٣٤ نشرة عبد السلام هارون، القاهرة .

ثم وصفة لدواء وجع الأضراس؛ وفيها :

نسخة دواء لوجع الأضراس ، نقل من المهدى الجند ابن الموصلى بأرض ميَّا فارقين يوم الإثنين عن حكيم أفرنجى : يؤخذ شراب أحمر وعيدان الزفت ، أوزفت وقليل كمون مغلى جيداً ويتمضمض به . نافع إن شاء الله تعالى < كتب > فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة » .

وهذا هو التاريخ الوحيد الذى نجده فى المخطوطة ويسمح لنا بتأريخها قبل ذلك أى أن هذا المخطوط كتب قبل سنة ٦٧٢ (ستماية واثنتين وسبعين هجرية) .

— ٥ —

« سر الأسرار »

وهذا كتاب آخر منحول ، نحله صاحبه لأرسطوطاليس ، وزعم مترجمه، يوحنا ابن البطريق ، أنه عثر عليه بعد التنقيب وإعمال الحيلة فى هيكل الشمس، قال: « فلم أدع هيكلا من الهياكل التى أودعت الفلاسفةُ فيها أسرارها إلا أتيته ، ولا عظيما من عظماء الرهبان الذين لطفوا بمعرفتها وظننت مطاوبى عنده إلا قصدته ، حتى وصلت إلى الهيكل الذى كان بناه اسقلابيوس بنفسه ؛ فظفرت فيه بناسك متعبد مترهب ذى فهم بارع وعلم ثاقب . فتلطفت له واستنزلته وأعملت الحيلة حتى أباح لى مصاحف الهيكل المودعة فيه ، فوجدت فى جملتها المطاوب الذى نحوه

قصدت ، وإياه ابتغيت . فصدرت إلى الحضرة المنصورة ظافراً بالمطلوب والمراد ؛ وشرعت — بعون الله وتأييده ، وسعد أمير المومنين وجَدّه — فى ترجمتـه . ونقلته من اللسان اليونانى إلى اللسان الرومى، ثم من اللسان الرومى إلى اللسان العربى » .

وهذا نحو من التهويل نجد له نظائر فى « الفهرست » لابن النديم تؤيده وتزكيه فقد ورد فيه (ص ٣٣٩) أولا أن المأمون أرسل ابن البطريق وغيره إلى بلاد الروم ليختاروا بعض الكتب اليونانية القديمة فى الفلسفة والعلوم ، وعادوا به ؛ وأمرهم بنقله فنقل . وذكر كذلك (ص ٣٤٠) خبراً عن « هيكل » ببلاد الروم « قديم البناء ، عليه باب لم يُرَ قطُّ أعظمُ منه ، بمصراعين حديد ، كان اليونانيون فى القديم ، وعند عبادتهم الكواكب والأصنام ، يعظمونه ويدعون ويذبحون فيـه ... وفى هـذا الهيكل من الكتب القـديمة ما يحمل على عدة أجمال ... بعض ذلك قد أُخْلِقَ ، وبعضه على حاله ، وبعضه قد أكلته الأرض » وهو يروى هـذا عن شاهد عيان عاش فى أيام سيف الدولة الحمدانى (تولى من سنة ٣٣٣ إلى سنة ٣٥٦) . وإذن فقصة الهيكل قد انتشرت عند مؤرخى نفوذ العلوم اليونانية من بلاد الروم إلى بلاد الإسلام ، وصارت عنصراً من عناصر الإخراج المسرحى للتهويل والاجتذاب .

لكن ليس من شك فى أن ابن البطريق قد اخترع هذه القصة كلها اختراعاً تمويهاً على أمير المؤمنين وتضليلا للقراء ، مبالغة فى إطراء هـذا الكنز العظيم الذى عثر عليه وأحضره من بلاد الروم إلى « الحضرة المنصورة » .

و « الحضرة المنصورة » يقصد بها حضرة المأمون ، الخليفـة العباسى (تولى الخلافة سنة ١٩٨ وتوفى سنة ٢١٨ هـ) ؛ قال القفطى (طبع مصر ص ٢٤٨) : « يوحنا بن البطريق : الترجمان ، مولى المأمون ؛ كان أميناً على الترجمة حسن التأدية للمعانى ، ألكن اللسان فى العربية . وكانت الفلسفة أغلب عليـه من الطب . وهو تولى ترجمة كتب أرسطوطاليس خاصة ، وترجم من كتب بقراط مثل حنين وغيره »

(٢)*

كما ذكر ابن النديم (« الفهرست ، طبع مصر ص ٣٣٩ س ٤ من أسفل) أن المأمون كتب إلى ملك الروم يسأله الإذن فى استحضار بعض الكتب فى العلوم القديمة « المخزونة المدخرة ببلاد الروم ؛ فأجاب إلى ذلك بعد امتناع . فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق ، وسَلْم صاحب بيت الحكمة وغيرهم ؛ فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنُقل » وكان يحيى بن البطريق أيضاً « فى جملة الحسن بن سهل » (« الفهرست » ص٣٤١ س ١) ؛ والحسن بن سهل هو (١) الذى تزوج المأمون ابنته بوران ، وصار وزيراً للمأمون بعد وفاة أخيه الفضل بن سهل الملقب بـ « ذى الرياستين » فى ٢ شعبان سنة ٢٠٢ ؛ أما الحسن فقد استمر فى الوزارة حتى سنة ٢٠٥ هـ تقريباً ، وتوفى فى مستهل ذى الحجة سنة ٢٣٦ هـ . أما أبوه ، البطريق ، فهو الذى كان فى خدمة أبي جعفر المنصور » وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة » (« الفهرست » لابن النديم ، ص ٣٤٠ السطر الأخير) . ولهذا نرى وجوب تأخير تاريخ وفاة يوحنا بن البطريق إلى ما بعد سنة ٢٠٠ هـ ، وليكن بين سنة ٢٠٥ هـ — سنة ٢١٠ هـ حتى يكون له نشاط ملحوظ خلال خلافة المأمون ، بدلا من أن نصنع صنيع بروكلمن (GAL الملحق جـ ١ ص ٣٦٤ ، جـ ١ ، ط ٢ ص ٢٢١) فنجعله حوالى سنة ٢٠٠ هـ .

وليحيي بن البطريق الترجمات التالية :

١ — « الآثار العلوية » لأرسطو ؛ ويوجد منه نسختان : إحداهما فى الفاتيكان بخط عبرى ، برقم ٣٧٨ عبرى ؛ والثانية فى استانبول فى مكتبة يني جامع برقم ١١٧٩ — وسننشرها قريباً ؛

٢ — « كتاب الأربعة » لبطلميوس — وقد ذكرناه آنفاً — ؛ ومنه نسخة مع شرح عمر بن الفرخان الطبرى فى مكتبة جامعة أبسالا (السويد) ٢ : ٢٠٣ .

(١) راجع عنه مقدمة كتابنا « الحكمة الخالدة » (ص ٢٩) - (ص ٣٠) .

٣ — رسالة لبقراط « فى الموت » توجد منها نسخة فى المكتبة الأهلية بباريس برقم ٢٩٤٦ (ورقة ١٤٥ ب — ١٤٧ ا) .

٤ — «السماء والعالم» لأرسطوطاليس — ذكر ذلك ابن النديم (ص٣٥١ س٣— س ٤) وذكر أن حنين أصلحه . وتوجد لهذا الكتاب ترجمة مخطوطة فى المتحف البريطانى (الفهرست ص ٢٠٣) ، كما توجد مع شرح ابن رشد (غير كاملة) فى مخطوط رقم ٢٢٨١ بالمكتبة الأهلية بباريس (ورقة ٦٣ — ١٢٤) ؛ ولكن لم يتهيأ لنا بعدُ دراستها للتحقق من شخصية المترجم ؛ وفى عزمنا أن نشرع فى ذلك قريباً توطئة لنشره .

٥ — كتاب « الحيوان » لأرسطو — ذكر ذلك « الفهرست » (ص ٣٥٢ س٧) دون أن يحدد أى «حيوان» لأرسطو يقصد : « طبائع الحيوان » أو « كون الحيوان » أو « حركة الحيوان وتشريحها » ؛ لكن يغلب على الظن أنه الأول المسمى باسم Historia Amimalium ، وهو الذى اعتمد عليه الجاحظ وغيره . ولم نعثر له على أثر حتى الآن فيما بقى من ترجمات لمؤلفات أرسطو ؛ ولكن بقى لنا شذرات فى مخطوط ليدن رقم ١٢٧٦ ؛ ويوجد فى المتحف البريطانى برقم ٤٣٧ (« فهرست مخطوطات المتحف البريطانى ») ص ٢١٥ ترجمة لهذا الكتاب فى ١٩ مقالة ؛ كما يشير هوتسما (« فهرست مجموعة مخطوطات عربية » ، ليدن سنة ١٨٨٠) إلى « فصول » من كتاب الحيوان لأرسطو (ص ٥٨١ من الفهرست المذكور) وردت فى ثنايا رسالة لعبيد الله القرطبى الإسرائيلى (موسى بن ميمون) اعتمد فيها على إصلاح حنين بن اسحق لترجمة ابن البطريق .

٦ — ولابن البطريق « جوامع » كتاب النفس لأرسطو — ذكر ذلك القفطى (ص ٣١ س ٢) .

أما كتاب « سر الأسرار » الذى ندرسه الآن فلم يذكره ابن النديم .

وأول من ذكره هو أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (راجع عنه : ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٤٦ – ص ٤٨) ، وذلك فى كتابه فى « طبقات الأطباء » [1] الذى « ألفه فى أيام المؤيد بالله » [2] والمؤيد بالله هو هشام بن الحكم ، أبو الوليد هشام (الثانى) المؤيد بن الحَكَم وقد تولى إمارة الأندلس فى صفر سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) واستمر إلى ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) ؛ ثم من ٤٠٠ هـ (١٠١٠ م) إلى ٤٠٣ هـ (١٠١٣ م) . ولما كان ابن جلجل [3] قد توفى قبل هذه الولاية الثانية ، فان كتابه ألف فى الولاية الأولى ؛ ويذكر اشتينشنيدر [4] أن ابن جلجل توفى فى قرطبة حوالى سنة ٩٨٠ م (سنة ٣٧٠ هـ) ولم يذكر لهذا مصدراً . على أنه إن لم يصح هذا تاريخاً لوفاته بالدقة ، فلن يتعدى حدود سنة ٣٨٠ هـ (سنة ٩٩٠ م) ؛ والمصادر التى أشرنا إليها لا تذكر تاريخاً لوفاته ، بل كل ماتشير إليه أنه « كان فى أيام هشام ، المؤيد بالله ، وخدمه بالطب » [5] كما تنقل من كلامه

---

(١) سماه ابن أبي أصيبعة : « كتاب يتضمن ذكر شيء عن أخبار الأطباء والفلاسفة » (٢/ ٤٨) وسماه حاجى خليفة (جـ ٤ ص ١٣٣ تحت رقم ٧٨٨٣ ، جـ ٧ ص ٧٨٣) « طبقات الأطباء » ؛ وقال عنه القفطى : « وله تصنيف صغير فى تاريخ الحكماء لم يشف فيه غليلا ، وكيف ! وقد أورد من الكثير قليلا . ومع هذا فقد كان حسن الإيراد » (ص ١٣٠ س ٤ – ٥) . ويقول هر (٥ : ٣٤٨) إنه أول كتاب فى تاريخ الأطباء عند العرب ؛ وقد لاحظ اشتينشنيدر أنه كان عليه أن يقول : « فى الأندلس » .

(٢) ابن أبي أصيبعة : « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » جـ ٢ ص ٤٨ س ١٦ . – والغريب أن هذه العبارة قد أساء فهمها لوكلير (جـ ١ ص ٤٣١) فظن أن المقصود هو أن كتاب ابن جلجل فى تاريخ الأطباء الذين عاشوا « فى أيام » هشام بن الحكم ! وقد نبه إلى هذا الوهم اشتينشنيدر فى كتابه : « الترجمات العربية عن اليونانية» ص ٢٣ من المقدمة . .

(٣) راجع عنه : لوكلير جـ ١ ص ٤٣٠ ؛ صاعد « طبقات الأمم » ص ١٢٥ ، ١٢٧ (طبع مصر) ؛ القفطى ص ١٣٠ (طبع مصر) ؛ ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٤٦ – ٤٨ .

(٤) « الترجمات اليونانية عن العربية » § ١٥ ص ٢٣ (من ترقيم المقدمة) .

(٥) ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٤٦ س ٥ من أسفل .

ما يدل على أنه أدرك نقولا الراهب فى أيام المستنصر الحكم ، وفى صدر دولته مات نقولا الراهب هذا ؛ ولما كان المستنصر (أبو المطرف الحكم الثانى المستنصر بن عبد الرحمن المتوفى فى صفر سنة ٣٦٦) قد تولى إمارة (خلافة) الأندلس فى رمضان سنة ٣٥٠ واستمر حتى صفر سنة ٣٦٦ حين تولى هشام بن الحكم ، فان نقولا الراهب لابد أن يكون قد توفى فى حدود سنة ٣٥٥ هـ . ولهذا يمكن أن نفترض أن ابن جلجل ازدهر بين سنة ٣٥٠ — ٣٧٠ تقريباً .

ذكر ابن جلجل فى « طبقات الأطباء » اسم كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » المعروف بـ « سر الأسرار » مرتين : الأولى فى خلال كلامه عن أرسطوطاليس ؛ والثانية فى أثناء ترجمته ليوحنا بن البطريق . قال فى ترجمته لأرسطوطاليس : « وله إليه (أى ولأرسطو إلى الإسكندر) رسالة فى ثمانى مقالات فى تدبير ملكه وجميع حاله وأمره ، وهو كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » المعروف بـ « سر الأسرار » ؛ لم يتقدمه أحد إلى مثله ، وفيه الثانى كلمات الجامعات (ص : جامعات) لجميع أمور المصلحة ، وهى هذه : "العالم بستان سياجه الدولة ، الدولة سلطان تحجبه السنة ، السنة سياسة يسوسها الملك ، الملك راع يعضده الجيش ، الجيش أعوان يكفلهم المال ، المال رزق تجمعه الرعية ، الرعية عبيد يتعبدهم العدل ، العدل مألوف وهو صلاح العالم » . وهى كلمات فلسفية سياسية ، كل كلمة منها متعلقة بما قبلها ويفسرها ما بعدها ، وكذلك آخرها متعلق بأولها . وأمر عند موته أن يدفن وتبنى عليه قُبَّةٌ مثمنة يكتب فى كل جانب منها كلمة من الكلمات الثمانية . واختُلِفَ فى موته : فقالت طائفةٌ إنه مات موتةً[(١)]، وله قبر معروف . وقالت طائفة أخرى إنه ارتفع إلى السماء فى عمود من نور . ولقد أتى فى

(١) فى نص مخطوط ابن جلجل : « موته » (بالهاء المضمومة) . وهذا النص قد حققه وزوده بالتعليقات الوفيرة الأستاذ فؤاد السيد ، وسيظهر ضمن « نشرات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة » سنة ١٩٥٤ .

تواريخ اليونانيين أن الله أوحى إليه أنه : إلى أنْ أسميك مَلَكاً أقربُ منك إلى أن أسميك إنساناً » (ص ٢٦ – ص ٢٥) . – وهذا النص بعينه نقله ابن جلجل من مقدمة كتاب « سر الأسرار » (ص ٦٧ – ص ٦٨ من هذا الكتاب) .

وقال ابن جلجل فى ترجمة يوحنا ابن البطريق : « يوحنا بن بطريق الترجمان : مولى المأمون أمير المؤمنين . كان أميناً على الترجمة ، حسن التأدية للمعانى ، بكئ اللسان فى العربية[1] . وترجم كثيراً من كتب الأوائل . وهو ترجم كتاب أرسطاطاليس إلى الإسكندر المعروف بـ « سر الأسرار » وهو كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » . ذكر يوحنا أنه مشى فى طلبه ، وقصد الهياكل فى البحث عنه حتى وصل إلى هيكل عبَدَة الشمس (أو عين الشمس – ص : عبد الشمس) الذى كان بناه هرمس الأكبر لنفسه يمجد الله تعالى فيه . قال : فظفرتُ براهب متنسك (ص : متناسك) ذى علم بارع وفهم ثاقب ، فتلطفت به وأعملتُ الحيلةَ عليه حتى أباح لى مصاحف الهيكل المودعة فيه ؛ فوجدت فى جملتها المطلوب الذى أمرنى[2] أمير المؤمنين بطلبه مكتوباً بالذهب . فرجعت إلى الحضرة المنصورة ظافراً بالمراد . – ولم يكن يوحنا هذا طبيباً < بل > كانت الفلسفة أغلب عليه ، ولم يخدم بالطب ملكاً ولا أميراً[3] » (ص ٦٧) . – وواضح من هذا أنه إنما ينقل هنا من مقدمة « سر الأسرار » نقلا حرفياً تقريباً .

ونص ابن جلجل هذا على جانب عظيم من الخطورة فى إثبات صحة نسبة ترجمة الكتاب إلى يوحنا بن البطريق . لأنه يرجع إلى النصف الثانى من القرن

(١) من قوله : « يوحنا ... » حتى قوله « .... العربية » نقله القفطى بحروفه (القفطى طبع مصر ص ٢٤٨ س ١٥ – ١٦) .

(٢) يظهر أن ابن جلجل تصرف هنا فى النص بعض التصرف ، وذلك فى قوله : « الذى أمرنى .. الحضرة » . وأغرب ما فيه قوله : « مكتوباً بالذهب » إذ لم نعثر على هذا فى مخطوطاتنا هنا . فهل هو من وضع ابن جلجل ؟ أو أنه فى مخطوط آخر ؟

(٣) قوله : « كانت الفلسفة أغلب عليه » نقله القفطى (ص ٢٤٨ س ١٦) .

الرابع ، مما يهدم نهائياً الفرض الذى ذهب إليه فيرستر[1] وردده بروكلمن[2] من أن كتاب « سر الأسرار » كتاب موضوع وضعه ونقحه مؤلف عربى ، فى القرن الرابع أو الخامس ، من مختلف المصادر . فان ذكر ابن جلجل له فى نص يرجع إلى سنة ٣٧٠ ﻫ ينفى أن يكون الكتاب قد ألف فى القرن الخامس ؛ بل لا بد أن يكون قد ترجم (أو ألف) قبل سنة ٣٧٠ ﻫ بعهد طويل .

وصمت ابن النديم عن ذكر هذا الكتاب ، « سر الأسرار » لا ينهض دليلا على شىء ، خصوصاً وابن النديم قد ألف « الفهرست » فى حدود سنة ٣٧٤ﻫ ، أى بعد ابن جلجل .

ومن المستبعد جداً أن يأتى مؤلف عربى فيصنع كتاباً ينسب ترجمته إلى يوحنا ابن البطريق — مؤلف من القرن الرابع ، بينما عاش ابن البطريق فى أوائل القرن الثالث . فمن هو ابن البطريق حتى يتستر وراءه مؤلف قريب العهد به؟ لم يكن من المكانة فى الترجمة بحيث يكون فى نسبة ترجمة إليه ما يعلى من شأنها كثيراً . فضلا عن أنه لو افترضنا أن الكتاب قد ألف فى النصف الأول من القرن الرابع ، أى بعد وفاة ابن البطريق بمائة سنة أو يزيد قليلا ، فان هذه المدة ، حوالى قرن ، لا تكفى لإمكان التمويه على الناس .

لهذا إذن نرى أن لابن البطريق صلة بهذا الكتاب . فما هى هذه الصلة ؟ . يميل الباحثون فى الأدب السريانى ، وعلى رأسهم روبنس دوفال[3] وبومشترك[4] ، إلى أن كتاب « سر الأسرار » له أصل سريانى مفقود ؛ وأنه وضع أول ما وضع

(١) راجع R. Förster : De Aristotelis Secretis secretorum commentatio. Kiel 1888, وكذلك Script. physiogn. I.p. CLXXIX : De Aristotelis quae feruntur secretis secretorum وقد ظهر فى كيل Kiel أيضاً سنة ١٨٨٨ .

(٢) بروكلمن « تاريخ الأدب العربى » GAL جـ ١ ط ٢ ص ٢٢١ .

(٣) راجع له Rubens Duval : La littérature syriaque. Paris, 1899 .

(٤) A. Baumstark : Geschichte der syrischen Literatur Bonn, 1922 .

باللغة السريانية . بيد أن هــذا الزعم ليس ثمت أدنى دليل يؤيده . فابن البطريق يذكر فى الاستهلال أنه نقـله « من اللسان اليـونانى إلى اللسان الرومى ، ثم من اللسان الرومى إلى اللسان العربى » (ص٦٩) . ولو وجده باللسان الرومى (السريانى) مباشرة لمـا كان ثمت ما يدعوه إلى هــذا القول . بقيت صعوبة هنـا هى فى كلمة « الرومى » . فالمفهوم عادة من « الرومى » اليونانى أو اللاتينى ؛ ولا يمكن أن تفسر هنا بمعنى اللاتينى ، فلا نعـرف أحداً قـد ترجم من اللاتينيـة فى المشرق ، على الأقل فى هــذا العهـد (القـرون الثانى والثـالث والرابع) ؛ بقى أن تفسر بمعنى « السريانى » . والمشكلة هى أننا لانجد كلمة « الرومى » فى جميع الكتب المترجمـة التى اطلعنا عليها ولا فى كتب التراجم والفهارس والطبقات — تدل على « السريانية » ولكن لعـل ابن البطريق هو الذى انفرد بهذه التسمية ، يزكيه فى ذلك أن اللغـة السريانية كانت منتشرة — قبـل الإسلام — فى المنطقة التى كانت تكوّن جزءاً من الامبراطورية الرومانيـة الشرقية ، أى بلاد الروم ، وذلك فى سوريا وشمال العراق ولبنان ، وإن كان هذا الدليل ليس بقاطع ولا كافى الدلالة — على أن معظم الباحثين[1] يميلون إلى هــذا الفرض ، أعنى أن المقصود بـ « الرومى » « السريانى » . ويؤيده من ناحيتنا أن المترجمين إلى العربيـة فى القرن الثانى كانوا يميلون عادة إلى ترجمـة الكتب من اليونانية إلى السريانية أولا ، ثم من هــذه الأخيرة إلى العربية ؛ وعادة يتركون أمر الترجمة من السريانية إلى العربية إلى مترجمين من الدرجة الثانيـة — هكذا كان يفعـــل حنين ابن اسحق فى غالب الأمر ، على الرغم من إتقانه للغة العربيـة . والسبب فى هــذه الظاهرة الغريبة — فيما يلوح — الرغبة فى الإسراع فى إنجاز أكبر عدد

(١) مثـل Fultou فى ترجمته للكتاب عن العربية فى مجمـوع مؤلفات روجر بيكون ؛ وردد ذلك لانجلوا فى « الحياة فى فرنسا فى العصر الوسيط » جـ ٣ ص ٧٢ . باريس سنة ١٩٢٧ ؛ Ch.-V. Langlois : La vie en France au Moyen Age : 3 vol. : La connaissance de la nature et du monde . وفى هــذا الكتاب دراسة واسعة (ص ٧١ — ١٢١) لكتاب « سر الأسرار » وأثره فى الحياة الفرنسـية فى القرون الوسطى ، مع تحليل لترجمة فرنسية قديمة له .

من الكتب ، وكان المصطلح العربى لم يتكون بعد بينما تكون فى السريانية منذ قرون فكان من الأيسر – خصوصاً فى الكتب الطبية – أن يقوم كبار المترجمين الذين يتقنون اليونانية – وهم قلة – بعبء الترجمة من اليونانية إلى السريانية ، وأن يتركوا لصغار المترجمين الذين يتكلمون السريانية ويعرفون العربية – وهم كثرة ، وجلهم أوكلهم لايعرف اليونانية – أن يقوموا بالعمل الثانى ، وهو الترجمة من السريانية إلى العربية . على أنه قد يقع للمترجم الواحد أحياناً أن يترجم الكتاب الواحد من اليونانية إلى السريانية ، ثم من السريانية إلى العربية[1] . فلا عجب بعد هذا إذن فى أن يفعل يوحنا بن البطريق على هذا النحو : فيترجم الكتاب من اليونانية إلى السريانية ، ثم من السريانية إلى العربية ، حتى يحقق الغرضين ، خصوصاً وهو من أوائل المترجمين . فاذا كان حنين (توفى سنة ٢٦٤ هـ – ٨٧٧ م) قد صنع هذا الصنيع وقد عاش بعد ابن البطريق بقرابة ستين سنة ، فهل يستبعد أن يكون ابن البطريق قد كان يترجم أولا من اليونانية إلى السريانية، ثم من هذه إلى العربية؟

نحن نرجح إذن أن يكون يحيى (يوحنا) بن البطريق قد ترجم كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » من اليونانية إلى السريانية ، ثم من السريانية إلى العربية ، وأن يكون قد أحضر هذا الكتاب فعلا معه من بعثته التى أرسله فيها الخليفة المأمون فى حدود العشر سنوات الأولى من القرن الثالث الهجرى . ونرجح كذلك أن الترجمة لم تكن عن أصل سريانى مزعوم ، بل عن أصل يونانى حقاً . لكن ماهو هذا الأصل اليونانى ؟

هذه هى المشكلة الحقيقية فى هذا البحث . والذين تعرضوا لها ، وبخاصة فيرستر Förster ، خير من توفر على دراسة كتاب « سر الأسرار » لم يوفقوا إلى شىء يقينى فى هذا الباب . وكل ما قيل هو أن كثيراً من القطع الواردة فى هذا الكتاب

---

(١) راجع كتابنا : « التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية » ص ٥٨ وما يتلوها . القاهرة ط ٢ سنة ١٩٤٦ .

ترجع فى نهاية الأمر إلى مؤلفات طبيب يونانى يسمى ديوقلس (سنة ٣٢٠ق . م) ومؤلفات أفليمون صاحب الفراسة ؛ وأن فى الكتاب إلى جانب هذا آثاراً لأفكار اسكندرية متأخرة وغنوصيـــة ، لم يستطيعوا أبــداً أن يدلونا على نصوص بعينها أو كتاب كامـــل يمكن — على الأقـــل — أن يكون أساساً للقسم الرئيسى من كتابنا هـــذا .

إنما الشىء البارز فى كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » هذا هو أنه مفكك الأجزاء ؛ ولهذا نرجح أن يكون للكتاب أصل صغير ، اقتصر على السياسة ؛ ثم نما وانتفخ بما أضيف إليه من أجزاء ، لا نظنها مطلقاً كانت فيه ؛ وظل ينمو على الزمان حتى جاوز أضعاف الأصل . والمشكلة الآن هى فى معرفة هذا الأصل .

إن أقدم مخطوط عربى رجعنا إليه هو مخطوط برلين برقم ٥٦٠٤ ، وتاريخ نسخه فى شهر ذى الحجة سنة ٧٤١هـ ، ويتلوه مخطوط كمبردج برقم ٨٩٩ بتاريخ منتصف رجب سنة ٩٥٣هـ ، ويتلوه باريس رقم ٢٤١٩ بتاريخ رابع شعبان سنة ٩٦٨ ، وسائر المخطوطات من القرن العاشر أو الحادى عشر وما بعدهما . ومعنى هذا إذن أن أقدم مخطوطاتنا يرجع إلى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) . ولمـــا كانت الترجمات اللاتينية يعود أقدمها إلى القـــرن الثانى عشر الميـــلادى (السادس الهجـــرى) فهى أوفى دلالة فى هـــذا الباب . لهـــذا يحسن بنا أن نستعرضها فى شىء من التفصيل .

جرى الباحثون على تقسيم الترجمات اللاتينيـــة إلى نوعين : نوع يمثـــل الرواية المغربية ، ونوع يمثل الرواية المشرقية .

والأولى تسمى المغربية لأنها كانت الشائعة عند اليهود فى أسبانيا . فان أحد اليهود وهو يوحنا الأسبانى ، أو الأشبيلى ، ويطلق عليه اسم Avendeath — وكان من معاونى دومينيكوس جونديسلفى شيخ المترجمين من العربية إلى اللاتينيـــة فى

أسبانيا فى القرن الثانى عشر — قد ترجم هذا الكتاب أو أعاد ترجمته إلى اللاتينية ، ترجمه للملكة لعلها تريزا بنت ألفونس السادس ملك قشتالة ، وزوجة هنرى كونت بورجونيا وأول ملوك البرتغال ؛ وقد توفيت فى نوفمبر سنة ١١٣٠ . كذلك ترجمه على هذه الصورة من العربية إلى العبرية يهودى آخر اسمه يوداس الحريزى الذى ازدهر بين سنة ١١٩٠ م وسنة ١٢١٨ م . ويغلب على الظن أن يوحنا الأسبانى لم يترجم إلا القسم الطبى من الكتاب [١] . والمخطوطات اللاتينية الباقية من ترجمة هذه الرواية المغربية قليلة [٢] .

والثانية هى التى تعتمد على الرواية المشرقية لهذا الكتاب ، وهى أكبر بكثير جداً من الأولى ، ومحشوة بالإضافات السحرية والعلمية والفوائد الطبية الغريبة ؛ ومع ذلك لا تمثل إلا مرحلة من مراحل الصورة النهائية التى قدمناها فى نشرتنا هذه. وهذه الترجمة لدينا منها مخطوطات عديدة جداً من القرن الثالث عشر ؛ وهى إما عملت فى أواخر القرن الثانى عشر أو أوائل القرن الثالث عشر ، عملها رجل يدعى فيليب كان فى خدمة مطران طرابلس ، ويدعى جويدو البلنسى Gui[de]Vere de Valence وأهداها إليه : « من أحقر كتابه إلى سيده ومولاه العظيم ، جويدو البلنسى ، مطران مدينة طرابلس الشهير » . ويذكر فى مقدمة ترجمته أنه وجد « هذه الدرة الفلسفية » « التى تتضمن كل مفيد فى كل علم » أثناء مقامهما معاً فى أنطاكية ، وأنه سر جويدو أن تترجم من العربية إلى اللاتينية .

---

(١) راجع P. Giacosa : Magistri Salernitani nondum editi, p. 386. 1901 وقد اعتمد فى هذا على المخطوط رقم ١٤٨١ فى المكتبة الانجليكية Angelica فى روما والمخطوط من القرن الثانى عشر ، ورقة ١٤٤ — ١٤٦ .

(٢) راجع Ed. H. Souchier : Denkmaeler provenzalischer Literatur und Sprache. Halle 1853 جـ ١ ص ٤٧٣ وما يتلوها .

من هو « فيليب » هذا ؟ لم يقرر الباحثون حتى الآن شيئاً يقينياً عنه[1] . فبعضهم يتسائل : هل هو فيليب ، الذى كان كاتباً فى فولنيو (إيطاليا) وقسيساً فى جبيل (لبنان) ثم فى طرابلس (لبنان) ، ويرد اسمه فى السجلات البابوية وغيرها بين سنة ١٢٢٧ و سنة ١٢٥٩ ؟ « لا شىء يدل على هذا » — بهذا يجيبون هم أنفسهم . ويقول ثورنديك[2] : لو كان فيليب هذا هو نفس الطبيب البابوى الذى اقترح الإسكندر الثالث فى سنة ١١١٧ إرساله فى بعثة إلى الخورى يوحنا Prester John ، فمن المحتمل أن يكون قد عمل ترجمته قبل ذلك التاريخ . ويميل ج . ود برون J. Wood Brown إلى القول بأنه هو فيليب السالرنى Philip of Salerno، كاتب السلطان الذى يظهر اسمه فى سنة ١٢٠٠ بمناسبة حوادث وقعت فى مملكة صقلية » .

أما حاميه جويدو البلنسى فيبدو من اسمه Gui أنه كان من أصل انجليزى ومن أسرة شهيرة كان منها حجاب للملوك كبار فى انجلترة ؛ ولكن لا ندرى شيئاً عنه ، بل إن لقبه « البلنسى » غريب لا نستطيع له تفسيراً . وقد ظن روجر بيكون أنه كان مطران نابولى ؛ وظن غيره أنه كان مطران صور ؛ وفى كثير من مخطوطات الترجمات إلى اللغات العامية (الأوروبية الحديثة فى مقابل اللاتينية) يدعى بلقب « مطران طرابلس » .

على أنه من المؤكد أن فيليب هذا قد عمل فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) ، لأن روجر بيكون استعان بترجمته فى شرح كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » ، وقد ألف هذا الشرح على أكثر تقدير

---

(١) لانجلوا « الحياة فى فرنسا فى العصر الوسيط » ج ٣ ص ٧٢ ، اعتماداً على ش . ه . هاسكنس ص ١٣٧ .

(٢) فى كتابه L. Thorndike : A History of magic and experimental science ج ٢ ص ٢٧٠ .

سنة ١٢٤٣ ، وعلى أى حال فهو أقدم من جميع المخطوطات العربية التى لدينا . وقد زعم فيليب فى استهلال ترجمته أن الكتاب لم يكن يعرفه اللاتينيون ، وكان نادر الوجود عند العرب . ويورد عنوانات الفصول كما فى الترجمة العربية التى ننشرها هنا ، ويقسمها إلى عشر مقالات ؛ ويختم هذه المقالات بالفصل الخاص بعلم الفراسة . ويقول فى ترجمته إنه أحياناً يترجم حرفياً ، وأخرى يترجم بتصرف « بسبب اختلاف اللسان العربى عن اللسان اللاتينى » ، على حد تعبيره .

وهذه الترجمة اللاتينية إذن لا تختلف كبير اختلاف عن النص العربى الذى نقدمه ؛ إذ الهيكل العام واحد ، والفصول تقريباً واحدة ، اللهم إلا فى الترتيب (١) (وهو أمر عرضى ليس بذى بال) ؛ إنما يقع الخلاف فى التفصيلات الجزئية فى داخل الفصول نفسها ؛ وهو أمر وجدناه بين المخطوطات العربية نفسها ، ونبهنا إليه فى كل موضع ، كما أشرنا إليه فى دراسة المخطوطات نفسها . ولن تتسع هذه المقدمة الفيلولوجية لاستخلاص الفروق أولاً بين المخطوطات العربية بعضها وبعض ، وثانياً بينها وبين ترجمة فيليب اللاتينية ؛ فلهذا العمل مكان آخر . أما الترجمة اللاتينية التى قام بها يوحنا الأسبانى فليست بين أيدينا ، وتقتصر كما قلنا على فصول قليلة من الكتاب لا تفيد أبداً فى الإجابة عن السؤال الذى وضعناه ، ألا وهو : ما هو الأصل الأول الذى ترجمه يوحنا بن البطريق ؟

لهذا سيظل هذا السؤال قائماً بغير جواب طالما لم نعثر على مخطوطات عربية لهذا الكتاب من القرن الرابع الهجرى أو قبله ، وما دامت مخطوطات القرن السادس (التى عنها كانت ترجمة فيليب إلى اللاتينية) تتفق فى جملتها مع الصورة الأخيرة التى بقيت لدينا من هذا الكتاب .

---

(١) على أنه يلاحظ أن مخطوط ى (٧٤٩ [٣] فارنر فى ليدن بهولنده) ينتهى أيضاً بـ « باب فى الفراسة » أى يتفق مع ترتيب الترجمة اللاتينية تماماً ؛ ثم يتلوه باب الغالب والمغلوب . غير أنه ينقسم إلى ثمانى مقالات .

ولقد ظفرت هـذه الترجمة اللاتينيـة الثانية فى أوربا بنجاح وانتشار منقطعى النظير. فتعـددت النسخ وبعضها يتمشى مع الأصل العـربى كما هو، فيما عدا بعض اختلافات جزئيـة ضئيلة الشأن أوحـذف بعض عباراتٍ ابتغاءَ الإيجاز؛ وبعضها الآخر مرتب بترتيب مخالف؛ ونوع ثالث جمع بين ترجمة يوحنا الأسبانى وترجمة فيليب الطرابلسى؛ ونوع رابع وقع له ما وقع لمخطوطات المشرق من إضافة فقرات وفصول مأخوذة عن كتب تناولت نفس الموضوعات. وقـد بحث ر. فيرستر (1) فى المخطوطات اللاتينيـة التى وصلتنا وعَـدَّ منها ٢٠٧ مخطوط، ليست طبعاً كل ما وصلنا من هذا الكتاب. فلا توجد مكتبة أوربية ذات شأن ليس فيها عدد وفير من مخطوطات الترجمة اللاتينية لهذا الكتاب الغريب الذى أصبح — على حد تعبير جاستر (2) — أوسع الكتب انتشاراً فى العصـور الوسطى، حتى لقـد ترجم إلى معظم اللغـات الأوربية الحديثة (فى لهجتها القـديمة)، وكثيراً ما نظمه الناظمون كما فعـل ليدجيت Lydgate وبرج Burgh فى ترجمتيهما بعنوان Secrees of old Philisoffres.

والسر فى هـذا النجاح الهائل لهذا الكتاب مفهـوم. فهو أولا كتاب لم يشك واحد من الكتاب فى أوربا والفلاسفة فى العصور الوسطى المسيحية (والإسلاميـة على السواء) فى أنه لأرسـطو، وناهيك بأرسطو فى نظر أوربا فى العصر الوسيط!

---

(١) R. Foerster : De Aristotelis quae feruntur secreta secretorum commentatio, Kiliae, 1888, - Handschriften und Ausgaben des pseudo-Aristotelischen Secretum secretorum, in Centralblatt f. Bibliothekswesen جـ ٦ (سنة ١٨٨٩) ص ١ — ٢٢، ٥٧ — ٦٧

(٢) Gaster فى مقـالة بعنـوان: «مقدمة إلى ترجمة عبرية لكتاب سر الأسرار» فى «مجـلة الجمعية الملكية الأسيوية» IRAS (سنة ١٩٠٨، ق ٢) ص ١٠٦٥ — ١٠٨٤؛ والترجمة العبرية مع ترجمة انجليزية لها منشورة فى نفس المجلة سنة ١٩٠٧ ص ٨٧٩ — ٩١٣، وسنة ١٩٠٨ (ق ١) ص ١١١ — ١٦٢.

لم يشك فى ذلك لاروجربيكون[1] الذى شرحه وأفاض، ولا ألبرتس الكبير[2] Albertus Magnus الذى ذكره صراحة على أنه لأرسطو، ولا يوحنا الليموجى Jean de Limoges[3]؛ واستمرت الحال على ذلك حتى أواخر القرن الرابع عشر حين بدأ الناس يشكون فى صحة نسبته إلى أرسطو، كما يشهد بذلك بطرس القندياني[4] (المتوفى سنة ١٤١٠م).

وهو ثانياً كتاب، على صغره، قد جمع فأوعى: وَضَع قواعد للسياسة تمتاز بنضوج التفكير ومهارة الاستنباط وتفتش عن تجربة عريقة فى الإدارة وممارسة أمور الحكم؛ ورَسَم للحاكم العادل الطريقَ التى لو سار عليها لما ضَلَّ ولما انهار ملكه أو انتقض عليه أحد؛ ودل السلطان الطالب للغزو على طريق الظفر فى الحرب والسلم على السواء؛ وقدم معلومات فى الطب لتقويم الأبدان وحفظ الصحة من اتبعها ضمن العافية والعمر المديد؛ وخاض فى علوم الأسرار، العلوم الخاصية ésoteriques، مثل علم الطلسمات وأسرار النجوم واستمالة النفوس — وهى أمور تستهوى الخيال الخصيب فى العصر الوسيط — ولهذا أثارت اهتمام الجميع ما ظلوا يؤمنون بِجِدّ هذه العلوم السرية؛ ورتب الناس فى مراتب خدمة السلطان ودل كُلًّا على مكانه ومنزلته فى هذا السلم التصاعدى الذى تتكون منه الدولة؛ وفوق هذا وذاك كشف لقادة الجيوش عن الحرب وعواقبها، وتوجيه لقاء الجيوش لتظفر بالنصر والأوقات المناسبة لإثارة الحرب وللسير إلى العدو، بل واسم القائد المتولى

(١) نشر هذا الشرح روبرت استيل Robert Steele ضمن «مؤلفات روجر بيكون غير المنشورة» ج ٥. أوكسفورد سنة ١٩٢٠ Opera hactenus inedita Rogeri Baconi ونشر Fulton معه ترجمة عن العربية للكتاب نفسه، «سر الأسرار».

(٢) ألبرتس الكبير: «فى النوم واليقظة» م ١ ف ٢ : ٧ De Somno et vigilia

(٣) فى Somnium Pharaonis («حلم فرعون»).

(٤) راجع فر. ابرله: «شرح الأقوال لبطرس القندياني»، مينستر سنة ١٩٢٥، ص ٦٧.
Fr. Ehrle: Der Sentenzenkommentar Petervon Candia. Münster.i. W. 1925

للجيـــوش والحروب ! وتوسـع فى بعض التفصيـــلات العسكرية فشرح ترتيب الجيـــوش وعدد الفـــرق اللازمة فى كل نوع من المعـــارك ، ودعا إلى الإكثار من استخدام الآلات الحربية المدمرة والمحرقة والمثيرة للرعب (وقد زاد على هـــذا بعض المخطـــوطات فدل على الآلة المثيرة للفزع فى صفوف الأعداء بصوتها الرهيب ، ورسمها) . يضاف إلى هـــذا كله فى ثنـــايا الكتاب معارِفُ تكوِّن صورةً إجماليـــة للنظرة فى الوجود وفى الحيـــاة التى يجب أن يعرفها رجل العصر الوسـيط ، وتفيـــد فى التنعم بالحيـــاة ، وتملأ الذهن بالمعارف الضرورية للمثقف فى ذلك الحين ، فيما يتصل بالأحجار والنبات والنجوم وما إليها ممـــا يكوِّن دائرة معارف موجزة لعـــلوم ذلك العصر .

أفلا تكفى هذه المناقب لكى تجعل من هـــذا الكتاب « أوسع الكتب انتشاراً فى أوربا فى العصر الوسيط » كما يقول جاستر ؟!

لهـــذا تعددت ترجماته من اللاتينية فى ترجمـــة فيليب الطرابلسى إلى اللغات الأوربية الحديثة نثراً ونظماً : فترجم إلى الفرنسية القديمة (١) ، والانجليزية (٢) ، والغالية ،

---

(١) نذكر منها

a) Le Secret des secretz Aristote qui enseigne à cognoistre la complexion des hommes et des fames. Bréhant - Loudéac (1484 ou 1485) in 4°

b) Le gouvernement des Princes, le Trésor de noblesse et les Fleurs de Valère le Grand. Paris, A. Vérard, 1497. In - fol.

ويشمل « سر الأسرار » بترجمة فرنســية ؛ و « كنز الأشراف » بترجمة هوج دى سالف لكتاب يعقوب الثاليرى الأسبانى ؛ وأزهار ثالير الكبير .

c) L'histoire de l'estat et du gouvernement des roys et des princes, appelé le secret des secretz, lequel fist Aristote au roy Alexandre, nouvellement imprimé à Paris. Paris sans date. In - 4°, caractères gothiques, 30ff.

وقد قدم ف . هرمناو Hermenau رسالة إلى جامعة جتنجن سنة ١٩٢٢ عن الترجمات الفرنسية لـ « سر الأسرار » .

(٢) Lydgate and Burgh's Secrees of old Philosoffres, a version of the Secreta Secretorum, edited ...with introduction, notes and glossary, by Robert Steele. London, K. Paul, Trench , Trûbner and Co. 1894. In - 8, XXXIV - 122 pp. Early English texts Society, extra series LXVI.

وكثير من اللهجات الألمانية والإيطالية (١)، والأسبانية والقطالونية ، والهولندية (٢)، وطبع الكثير منها قبل سنة ١٥٠٠م؛ ونشر الباحثون المحدثون بعض هذه الترجمات العتيقة ودرسوها دراســة بالغـة العمق أشرنا إلى بعضها فى الهوامش ؛ وتعددت الترجمات إلى اللغات الحديثة فى اللغة الواحدة ، ويكفى أن نذكر أنه ترجم على الأقل ثمانى ترجمات إلى اللغة الفرنسية فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر (٣)؛ ومن أغربها ترجمة الراهب الدومينيكى الأرلندى جوفرا دى وترفورد وتلميذه سرفيه كوبال Jofroi de Watreford et Servais Copale، وقد حللها بالتفصيل لانجلوا فى «الحياة فى فرنسا فى العصر الوسيط» (ج ٣ ص ٧٦ وما بعدها) فنكتفى بالإحالة إليه ؛ والغريب أنه توسع فى التصرف فى الترجمـة فاختصر ما شاء، وأضاف وشرح وحشاه بأقوال مؤلفين آخرين ! ! وقد ثبت أن هـذا الراهب الدومينيكى جوفروا لم يكن يعرف العربية ، بل ترجمه من اللاتينية بترجمة فيليب الطرابلسى إلى الفرنسية ، ثم فعل فيه الأفاعيل ، شأن إخوانه فى المشرق العربى أيضاً : فأضاف إليه أشياء أخذها من كتاب إسحق بن سليمان الإسرائيلى (أبو يعقوب) ، من أهل مصر « ثم سكن

(١) Col nome de Dio. Il segreto de'segreti, Le Moralità et la Phisionomia d' Aristotile, dove si trattavo é (sic) mirabili ammaestramenti ch'egli scrisse ad Magno Alessandro si per il reggimento de l'imperio, come per la conservatione de la sanità, e per conoscere le persone, a che siamo inclinati, ad esempio e giovamento d'ogn'uno accomodatissimi fatti nuovamente volgari, per Giovanni Manente. Vinegia, Z. Tacuino da Trino, 1538. In-4º 122 ff.

(٢) De Heimelijkheid der Heimelijkheden (door Aristoteles), dichtwerk, toegekend aan Jacob van Maerlant, met eene inleiding en aanteekeningen door J. Clarisse. Dordrecht, Blussé en van Braam. 1838. In-8º, 544 p.
(« سر الأسرار» قصيدة تنسب إلى يعقوب مارلنت ، مع مقدمة وتعليقات بقلم ى . كلاريس) ضمن مجموعة Nieuwe Werken van de matschappij der nederlandsche Letterkunde te Leiden, IV.

(٣) راجع مقدمة ر. استيل ص XXXI وقد عدد بعض هـذه الترجمات الفرنسية العتيقة نظماً ونثراً ؛ وراجع أيضاً P. Meyer فى مجلة Romania سنة ١٨٨٦ ص ١٨٨ ؛ ثم هـ . سوخييه فى « آثار الأدب واللغة البروفنسالية » ، هله سنة ١٨٨٣ ص ٤٧٢ — ص ٤٨٠ H. Souchier : Denkmaeler provenzalischer Literatur und Sprache, Halle, 1883

القيروان ولازم إسحق بن عمران وتتلمذ له ، وخدم الإمام أبا محمد عبيد الله المهدى صاحب إفريقية بصناعة الطب » (ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٣٧ س ١ — س ٢) وله أربع كتب قال عنها حينما سئل — وهولم يتزوج ولم يعقب طبعاً — : أيسرك أن لك ولداً ... قال : « لى أربعة كتب تحيى ذكرى أكثر من الولد ، وهى : كتاب « الحميات » وكتاب « الأغذية والأدوية » وكتاب « البول » وكتاب « الاسطقسات » . وتوفى قريباً من سنة عشرين وثلثمائة » (ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص ٣٧) . وكتابه فى « الأدوية المفردة والأغذية » قد ترجم إلى اللاتينية بعنوان : De dietis universalibus et particularibus ثم لخص وترجم إلى الفرنسية سنة ١٢٥٦ بقلم ألدوبراندان من سيينا Aldobrandin de Sienne وكان طبيباً يعيش فى فرنسا . كما استعان ، فى القسم الخاص بالفراسة ، بترجمة بارتلميو المسيناوى Barthélemi de Messine لكتاب الفراسة المنسوب إلى أرسطو التى قام بها فى عهد منفرد حاكم صقلية (من سنة ١٢٥٨ — ١٢٦٦ م) من العربية إلى اللاتينية . وقد ألحق به فصلا فى الفراسة يقول لاندوزى وبيبان(١) Landouzy et Pépin ، ناشرا ترجمة ألدوبراندان ، إنه مأخوذ بحروفه تقريباً من الفصل الذى كتبه محمد بن زكريا الرازى (المتوفى سنة ٣١١-٩٢٣ م) فى الفراسة فى كتابه : « المنصورى فى الطب » .

...

ويلوح أن هذا الكتاب « سر الأسرار » قد لقى فى الشرق(٢) العربى نجاحاً لا يقل كثيراً عن نجاحه فى أوربا ؛ ومن هنا كثرت المخطوطات كثرة هائلة جداً لا نشاهد

(١) La Régime du Corps de maitre Aldobrandin de Sienne, publié par L. Landouzy et R. Pépin. Paris, 1911.

(٢) أشار ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ) إلى هذا الكتاب فقال : « وفى الكتاب المنسوب لأرسطو فى السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه ، إلا أنه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره . وقد أشار فى ذلك الكتاب إلى هذه الكليات التى نقلناها عن الموبذان وأنوشروان وجعلها =

لها نظيراً بالنسبة إلى كتاب من نوعه فى « علوم الأوائل » : وما من خزانة كبيرة من خزائن الكتب فى أوربا والشرق العربى قد خلت من نسخة أو أكثر من هذا الكتاب الغريب ؛ وقد اكتفينا هنا بمراجعة ثمانى عشرة مخطوطة وتحليل مضمونها .

ومن الذين أشاروا إليه فى فهارسهم حاجى خليفة فى « كشف الظنون » ، فقد ذكره مرتين على الأقل : قال حاجى خليفه (المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م) « كتاب السياسة فى تدبير الرياسة ؛ وهو سبع مقالات لأرسطو ، ألفه للاسكندر حين التمس منه أن يكتب شيئاً يكون له دستوراً يرجع إليه عند غيبته . وقد عربوه » (١) . وظاهر من هذا أن حاجى خليفه اطلع عليه لأنه استقى هذا الكلام من مقدمته . كما ذكره مرة أخرى (تحت رقم ١٧٠٢) فقال : « سر الأسرار فى الحكمة لليمنى (!!) . وهو مترجم من اليونانية فى زمن المأمون ؛ أصله تأليف حكيم ألفه فى تدبير الممالك والرعية والعسكر للاسكندر » . وهذا كلام غريب ! فمن هو اليمنى هذا ؟ الأغرب أن بروكلمن (GAL ملحق جـ ١ ص ٣٦٤) ذكر اليمنى باسم أحمد اليمنى وزعم أنه ترجم كتاب « سر الأسرار » ترجمة ثانية ، وأشار فى كلامه إلى مخطوط أياصوفيا برقم ٢٨٩٠ (« تذكرة النوادر » : ٢٠٧) وإلى ما ذكره حاجى خليفه وأوردناه هنا . وكل هذا خلط من حاجى خليفه و بروكلمن « وتذكرة النوادر » معاً . فليس فى مخطوطاتنا ذكر لهذا اليمنى المزعوم ، وكلام حاجى خليفه مضطرب لايدل على شىء ، و بروكلمن نقل عن غير تدبر ولا اطلاع .

= فى الدائرة الغريبة التى أعظم القول فيها ، وهو قوله : العالم بستان سياجه الدولة ، الدولة سلطان تحيا به السنة ، السنة سياسة يسوسها الملك ، الملك نظام يعضده الجند ، الجند أعوان يكفلهم المال ، المال رزق تجمعه الرعية ، الرعية عبيد يكنفهم العدل ، العدل مألوف وبه قوام العالم ، العالم بستان (يرجع إلى أول الكلام) . فهذه ثمانى كلمات حكمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت أعجازها على صدورها واتصلت فى دائرة لايتعين طرفها ، فخر بعثوره عليها وعظم من فوائدها ... » (مخطوط مقدمة ابن خلدون صفحة ١٣ ، مخطوط رقم ١ تاريخ ش بدار الكتب المصرية) . وتوجد فى بعض مخطوطات المقدمة على هيئة دائرة بها هذه الكلمات الثمان .

(١) « كشف الظنون » ، نشرة فليجل جـ ٥ تحت رقم ١٠٢٠٢ .

وصف مخطوطات « سر الأسرار »

١ – مخطوط ص = ٢٤١٧ عربى بالمكتبة الأهلية بباريس

١ – يقع فى ٢٤ ورقة ، والترقيم من ١ إلى ١٤٤ للنص ، ويكون فى ٤٤ ب و١٤٥ جداول حسابية . ومجلد بجلد جميل مذهب الحواشى والوسط . وليس فيه عنوان .

٢ – الخط نسخى جميل وفى مستهل الكلام تزيين بالألوان والتذهيب . والنص موضوع فى داخل إطار بخط أحمر عرضه ٩ سم وطوله ١٤½ سم . ومسطرة الصفحة ٢١ سطراً ، وفيه علامات على أوائل الصفحات ، والعنوانات وأوائل الفقر باللون الأحمر .

٣ – المخطوط بغير تاريخ . والتاريخ الموضوع عليه من المكتبة الوطنية بباريس هو ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٧٢ وليس عليه تملكات ولا شىء يدل على تاريخه بالدقة . ودى سلان De Slane فى الفهرست يقترح له تاريخ القرن السابع عشر (= الحادى عشر الهجرى) .

٢ – مخطوط م = ٢٤٢٠ عربى بباريس

١ – يقع فى ٦٠ ورقة ، والترقيم للنص من ١ إلى ٥٧ ا ، ويتلوه فى ٥٧ ب « أحاديث منقولين (كذا !) من ديوان الرشيدى » ويستمر حتى ١٦٠ .

٢ – فى ١ ا العنوان : كتاب السياسة فى تدبير الرياسة المعروف بسر الأسرار ، الذى ألفه الفيلسوف الفاضل أرسطاطاليس لتلميذه الملك المعظم الإسكندر بن فيلبس المعروف بذى القرنين ، رحمه الله تعالى ، والحمد لله ذى الجلال على جميع الأحوال » وإلى جواره حروف أبجد مرتبة عموديا .

٣ – الخط نسخى ردئ ولكنه واضح ، والعنوانات وأوائل الفقرات بالأحمر .

ومسطرة الصفحة ١٩ سطراً، وأحياناً ١٧ سطراً، وطول المكتوب فى المتوسط ١٦ سم ، وعرضه ١٢ سم – وقد تزيد الأسطر وطولها وتختلف وتنقص على غير قاعده ثابتة .

٤ – تاريخ المخطوط سنة ١١٠٣ ﻫ فى أول شهر شعبان ، وناسخه محمد بن الفقى موسى بن عبد السلام بن محمد بن صالح بن رضوان بن محمد على ، نسخه لنفسه دون غيره من نسخة لورثة أبي مدين الشافعى الولى المشهور ، ولم يوضح موضع نسخه ، ولكن الخط شرقى على كل حال ولا يظن أنه نسخ فى المغرب . وفيه صورة واحدة .

٥ – هذا المخطوط يُعدُّ أصح المخطوط جميعاً برغم رداءة خطه ، وأكملها ، وقراآته أفضل القراآت مع الدقة فى الإيراد للكلمات المبهمة أو التى استغلق على الناسخ قراءتها . ويتفق فى معظم القراآت مع ص ، ولكنه أكمل منه وأشمل ، فلا يمكن أن يكونا أخذا عن أصل واحد ، لأن الخلافات بينهما ، رغم ذلك ، كثيرة جداً .

٣ – مخطوط س = ٢٤١٨ بباريس

١ – يقع فى ٦١ ورقة ، وترقيم النص من ١ إلى ٤٨ ب ، ويتلو ذلك صفحة بيضاء ورد فيها : « استغاثة سيدى عبد الرحيم البرعى : يا رب يا خالق البرايا » وفى ٤٩ ب « فائدة فى ذكر أيام الراعى » ، ثم « القول على علامات القوس المشهور بقوس قزح » . وفى ٦٠ ا مقارنة بين الأشهر العربية ونظائرها فى الرومى وفى القبطى ، وأيضاً « موافقة ذكر الشهور القبطى والرومى » ، وفى ٦٠ ب – ٦١ ب « فصل فيه حكايات حكمية فى السياسات الملوكية » .

٢ – فى ١ ا العنوان : « كتاب السياسة فى تدبير الرياسة المعروف بسر الأسرار الذى ألفه أرسطاطاليس لتلميذه الإسكندر ذى القرنين » .

ثم : « برسم الخزانة الشريفة ، العالية المنيفة ، الميمونة السعيدة ، المانحة المفيدة ، الهادية الرشيدة ، العادلة الحميدة ، الظافرة اليمانية ، المنصورة النظارية لسيدنا ومولانا المخدوم العادل والملك الفاضل أمير المومنين وأحد الخلفاء الهادين المدعوله فى كل مشهد ومقام ، شجاع الدين عمر بن سيدنا ومولانا الكبير الشهير وحيد الدين عبد الرحمن بن محمود بن محمد بن معان النظارى ، أدام الله تعالى عزه وسعده ، وأهلك ضده ، بمحمد وآله ومن مشى على منواله .

آمين ! آمين ! لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا »

٣ ــ على هامش الكتاب حواش وتعليقات كثيرة جداً بعضها تصحيحات تتفق أحياناً مع بقية المخطوطات ، وبعضها إضافات وفوائد زائدة أضافها الناسخ ــ فيما يظهر ــ من كتب أخرى تتصل بموضوع الكتاب .

٤ ــ الخط نسخى واضح متوسط الجودة به نقط ، طول المكتوب ١٤سم وعرضه ١١ سم ؛ ومسطرته ١٧ سطراً . والعنوانات وأوائل الفقرات بالخط الأحمر. وفيه شكلان .

٥ ــ تاريخ نسخه مكتوب فى آخره شعراً داخل قصيدة فى مدح من نسخ له الكتاب هكذا :

« تمت نساخة هذا السفر أجمعه فى شهر ذى القعدة الغراء ذى اليُمُن
للأفضل الملك المأمول نائله من يشترى الحمد بالغالى من الثمن
والكافل الدين والحامى لحوزته وموضح النهج فى داج من الفتن
من لا تخالفه الأقدار فى أرب ولا عزائمه تؤتى من الوهن
ملك على قدم الجوزا له قدم رأسٌ وفىٌّ رعايةِ خلق الله مؤتمن
أعنى أبا حفص شجاع الدرقل عمر ومَنْ تسلسل من آبائه الرُّصُن
هو النظارى لا زالت نضارته تزهو على بهجات الزهر والغُصُن

ألان قسوة أيامى ، فقد نسخت ماكان بينى وبين الدهر من ضَغَن
وقابلتنى وجوه الخير ضاحكة فلستُ أَلْوى على أهل ولا وطن
والعيدنا وشرق الأيام لابسة وقارنو منكَ من فرض ومن سُنَن ! !
هذا وصلى ذو الجلال على خير الأنام ومن والاه فى حسن

ووافق الفراغ من تكملته ونسخه على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى لطف ربه الخفى عبد الباقى الحنفى بن محمد المادح المنصورى ، غفر الله تعالى له ولوالديه ومشايخه ولجميع المسلمين والمسلمات آمين ، — فى يوم السبت المبارك سابع شهر محرم الحرام افتتاح عام سنة سبع وثلاثين وألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف السلام . والحمد لله وحده فهو ولى التوفيق ، لا رب غيره ، هو حسبنا ونعم الوكيل » .

٦ — هذه المخطوطة تصرف فيها صاحبها تصرفاً كثيراً ، فكان يصحح كل ما لا يستقيم له فهمه ، ولهذا أدخل الكثير من التصحيحات التى وإن بدت أوضح فانها فيما يظهر تبتعد كثيراً عن النص الأصلى الحقيقى الذى تتفق عليه سائر النسخ ؛ ولهذا كنا نأخذ تصحيحاته بتحفظ شديد . ويظهر أن الناسخ أو من أملى عليه كان على جانب من العلم بمضمون الكتاب فصحح خصوصاً الأعلام تصحيحات بعضها موفق ، كل هذا مع الحوطة فى أن يظن الباحث أن هذا التصحيح يعبر عن الأصل الحقيقى . ولهذا يجب الأخذ بتصحيحاته بحذر كبير جداً ، على الرغم من وضوحها أحياناً أكثر من سائر القراآت . وهذا مثل على خطورة أن يكون الناسخ ملماً بالموضوع فيبيح لنفسه تصحيح ما لم يفهمه على مدى إدراكه المحدود .

وفضلا عن هذا أضاف فى الهامش وصحح تصحيحات وإضافات غريبة تثير التساؤل عن مصدرها وقيمتها من حيث تحرير النص الأصلى . ولكن من الواضح أن معظم التعليقات لا تنتسب إلى النص الأصلى التقليدى ، بل من عند الناسخ الحالى أو صاحب النسخة التى نقل عنها هذا الناسخ أو من علق عليها .

٤ – مخطوط ع = ٢٤١٩ عربى بباريس

١ – هذا المخطوط لا يعد نسخة ، لأنه اختصار فقط يقع من الورقة ١ إلى ١٩ ب ؛ ويتلوه كتاب الفرائد والقلائد لمحمد بن الحسين الأهوازى ؛ وفى الورقة ٤٠ مختصر « عجائب المخلوقات » للقزوينى . وفى الورقة ١٦٧ ب صلوات وأدعية وأشعار وما إليها ؛ وفى ١٦٩ ب ذكر لبعض الأمراض وعلاجاتها حتى ورقة ١٧٩ ؛ وفى ١٨٠ أيام السعود وأيام النحس حتى ورقة ١٨٥ ا ؛ وفى ١٨٥ ب أشعار بعضها منسوب إلى الإمام الشافعى ؛ وفى ورقة ١٨٧ نسخة أمر شريف عال . وفى ختامه ورقة ١٨٨ ب : «بتاريخ أوائل ربيع الأول من شهور سنة ٩٧٦» .

٢ – يقع فى ١٨٨ ورقة ، ونص « سر الأسرار » فى ١٩ ورقة ، مسطرتها ١٩ سطراً ، ارتفاع المكتوب ١٩,٩ سم وعرضه ١٣ سم . والخط نسخى واضح كبير ، فيه نقط وخال من الشكل .

٣ – لم نفد منه فى إصلاح النص لأنه مختصر .

٤ – تاريخه : « على يد كاتبه الحاج محمد بن الحاج صالح المرعشى بتاريخ رابع شعبان سنة ٩٦٨ هـ » .

٥ – مخطوط ل – ٨٢ عربى بباريس

هذا المخطوط يشمل عدة أشياء : فمن ١ حتى ١٥٨ ب يشمل رسائل لاهوتية مسيحية لا تعنينا هنا . ومن ١٥٩ حتى ١٩٩ ب يشمل كتابنا هذا كاملا . وواضح أن هذا القسم قد أضيف إضافة أثناء تجليد المخطوط ، لأنه من ورق وخط مختلفين .

١ – فى ورقة ١٥٩ ا العنوان : كتاب السياسة لأرسطاطاليس ابن نيقوماخس المقدونى إلى تلميذه الأعظم الإسكندر بن فلبس المقدونى المعروف بذى القرنين » وإلى جانبه أسماء عقاقير وفائدة لتحسين الصوت .

وفى ورقة ١٥٩ ب يبدأ هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا كتاب الفيلسوف أرسطاطاليس إلى تلميـذه الأعظم الإسكندر ذى القرنين ، صنفه له حين كبر سنه وضعفت قوته عن الغزو معه والتصرف له . وكان الإسكندر قد استوزره وارتضاه واستخلصه واصطفاه ... »

ويستمر على حسب ما ورد فى النص هنا .

٢ — وبين ١٧١ ب و١٧٢ ا نقص كبير يشـمل من قـوله : يا إسكندر ! أجمعت العلماء والفلاسـفة الحكماء على أن الإنسان مركب من مزاجات معتـدلة (ورقة ١٠ ب من مخطوط ص) حتى قوله : « الذراعان حتى يبلغ الكف الركبة دل ذلك على الشجاعة والكرم ونبل النفس » (ورقة ٢٦ ب من مخطوط ص) .

٣ — الخط نسـخى عادى غير جيد . وعنوانات المقالات بقلم أحمر . وطول المكتوب ١٥,٥ سم ومسـطرته فى المتوسط ١٥ أو١٦ سطراً ، وعرض المكتوب فى المتوسط ١١ سم ، ولكنه مختلف بين الصفحات .

٤ — قـراءاته ليست دقيقـة ، ولهـذا لم نعتد بها هنا إلا نادراً . وفيه نقص واضطراب كثير .

٥ — وينتهى كما ينتهى سائر المخطـوطات . ولكن بغـير تاريخ نسخة ، ويفترض دى سلان أن يكون من القرن الرابع عشر (الثامن الهجرى) ولكن نظنه متأخراً عن ذلك بكثير .

٦ — مخطوط ك = ١٧٦ عربى بباريس

يشمل قسما من الكتاب ، ويوجد ضمن مجلد يشمل :

(١) (١ ب — ٨٢ ب) نسخة ناقصة من كتاب « المعونة على دفع الهم » ؛

(٢) قسم من كتابنا هذا ، يقع من ٢٨٣ إلى ١٣٢ ا ؛

(٣) شـذرات بعضها ينسب إلى أحد ملوك اليمـن ، وبعضها إلى كسرى أنوشروان ووزيره بزرجمهر ، ثم إلى غير هولاء ، وهى فى السياسة .

١ - يبدأ من قوله : « وأن يستدفعوا الله إياها ويتقدموا بزوالها ، بالدعاء والتضرع إليه والاستغاثة والاستغفار والتوبة والإنابة والصوم والصلوات والقرابين والسؤال لله تعالى أن يصرف عنهم ما يحذرون .

« وعلم النجوم ينقسم ثلاثة أقسام : تركيب الأفلاك وجهة الكواكب وأقسام البروج وأبعادها وحركاتها ؛ ويسمى هذا الفن « علم الهيئة » . ومنها قسم هو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوابع البروج على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر ، ويسمى هذا الفن علم الأحكام ... » .

٢ - وينتهى فى ورقة ١٣٢ ا والصفحة ناقصة بقى نصفها الأسفل بغير كتابة : « [١٣٢ ا] وإن كان قتل لبغى الدنيا أوظناً كاذباً قال : لاتركت دم عبدى فلان ! . فلاتزال الملائكة تدعو عليه عند كل تسبيح واستغفار حتى يؤخذ منه بدمه . وإن مات حتف أنفه فذلك الذى غضب الله عليه أشد ، لأنه من المخلدين فى عقابه وعذابه .

« يا إسكندر ! لك فى سائر العقوبات كفاية : من السجن الطويل والأدب الأليم ولست » اهـ .

أى ص ٨٢ س ١٧ من هذا الكتاب (٨ ب من مخطوط ص) .

٣ - الخط نسخى واضح ، مسطرة الصفحة ١٥ سطراً ، وطول المكتوب فى الصفحة ١٣ سم وعرض السطر ٧,٥ سم . فيه نقط ، وبغير شكل .

٤ - النسخة رديئة غير دقيقة الضبط ، ولهذا فلاتفيد فى تحقيق النص ؛ ولهذا لم نضع قراءاتها فى الجهاز النقدى .

٥ - ليس فيها تاريخ نسخ . ويفترض دى سلان أن يكون المخطوط من القرن السابع عشر (الحادى عشر الهجرى) . والتمليك الذى عليه يدل على أنه لقبطى مصرى هكذا : « ملك عبد الله وطالب رضاه والمغفرة من الله الحقير شنوده

ابن قبانى المليحى الشماع بمحروســة مصر عفا الله عنه وتجاوز عن سيئاته بطلبات من قبلت طلباتهـــم ، مستشفع بالست السيدة مريم العذراء البتول وكافة الشهداء والقديسين آمين آمين » .

والكتاب الأول فى المجموعة وهو كتاب « المعونة على دفع الهم » تأليف « الأب المعظم مار إيليا مطران نصيبين » كما ورد بخـط آخر تحت العنوان فى ورقة ١ ب ، ومنـــه نسخة كاملة تحت رقم ١٧٥ عربى بالمكتبة الأهليـة بباريس وله عدة نسخ خطية ذكرها. جورج جراف فى « تاريخ الأدب العربى المسيحى » ج ١ ص ١٧٥ ؛ وقد نشره قسطنطين الباشا ، فى القاهرة (بغير تاريخ) عن مخطـــوطة الفاتيكان رقم ١٨٠

٧ ــ مخطوط ن = ٦٥٠ فى منش بألمانيا (= Cod. or. 177)

١ ــ يقع فى ١١٤ ورقة ، مسطرته ١٣ ــ ١٥ سطراً ، حجمه $\frac{1}{4}$ ١٦ × ١٢ سم

٢ ــ عنوانه : « كتاب السياسة فى تدبير الرياسة المعروف بسر الأسرار الذى ألفه الفيلسوف الفاضل أرسطاطاليس بن نيقوماخوس المجدونى لتلميذه الملك الأعظم الإسكندر بن فيلبس الرومى الفلوذى المعروف بذى القرنين » .

٣ ــ ويقع فى عشر مقالات كما يلى :

١ ــ ورقة ٩ : فى أصناف الملوك .

٢ ــ « ١٢ ب : فى حال الملك وهيئته .

٣ ــ « ٦٠ : فى صورة العدل للرعية .

٤ ــ « ٦٢ ب : فى وزرائه .

٥ ــ « ٧٨ ب : فى كتاب سجلاته .

٦ ــ « ٧٩ ب : فى سفرائه ورسله .

٧ ــ « ٨١ : فى الناظرين على رعيته والمتصرفين .

٨ – « ٨٢ : فى سياسة قواده .

٩ – « ٨٤ : فى سياسة الحروب .

١٠– ورقة ٩١ : فى علوم خاصية من علم الطلسمات وأسرار النجوم .

٤ – يسبق الكتاب فى المجلد ورقة فيها فوائد طبية : « ما ينفع المكسح » .

٥ – يبدأ الكتاب هكذا :

« رسالة الحكيم أرسطاطاليس إلى الإسكندر الملك المعروف بذى القرنين لما ضعف عن السفر صحبته حسبما سأل . أما بعد ! أصلح الله أمير المومنين ، وأيده على حماية الدين ، وأبقاه لرعاية أحوال المسلمين ! فان عبده امتثل أمره ، والتزم ما حده من البحث على كتاب السياسة ... » .

٦ – خاتمته هكذا :

« ... ومن أنواعه نبات يبرئ وهو نبت يبذرحبه ، أغصانه مربعة ، وأوراقه مدورة الشكل ، له نوار أزرق وبذر أحمر ورائحته طيبة . خاصيته شمسية مشترية ، وطبيعته مائية هوائية ، من شمه أبرأه من الصداع والزكام والدوار [١١٣ ا] والفزع والصرع وغير ذلك من أنواع الآلام . <والنبات المسمى فوطوليدون ، نوار التحبب وأصل النوع من النبات المسمى ياطاعى (!) وهو نوع من حامالوى (!) غاية فى توليد المحبة والمودة > . قد أكملت لك يا إسكندر ما رغبت على حسب ما شرطت ، ووفيت لك بكل ما حق لك الوفاء . فكن به سعيداً موفقاً إن شاء الله تعالى » .

وما بين القوسين < > زيادة عما فى سائر النسخ .

٧ – ليس للكتاب تاريخ نسخ ، وليس عليه تملكات تحمل تواريخ ، وكل ما هنالك أرقام لم ندر ما هى هكذا : فى ٩٣٥ ، وردت على وجه الورقة الأولى .

٨ – العنوانات بالأحمر ، والخط نسخى عادى كبير الحجم .

٩ ــ قيمة النسخة ضئيلة لأنها مشحونة بالنقص والتحريف ، وإن كنا أفدنا في مواضع كثيرة من قراءاتها وتصحيحاتها .

٨ ــ ب = برلين برقم ٥٦٠٣ (ألفرت = Spr. 943)

١ ــ في ٢٢ ورقة ، مسطرته ١٩ (٢١ × ١٥ ؛ ١٥ ½ × ٩,٥ سم) .

٢ ــ في صفحة العنوان : « كتاب السياسة في تدبير الرياسة ، تصنيف الحكيم الفاضل أرسطاطاليس لتلميذه الملك الأسكندر بن فيلبس اليوناني المعروف بذي القرنين » .

٣ ــ في ورقة ١ ب : « اللهم صل وسلم على سيدنا محمد . أما بعد ! أصلح الله أمير المؤمنين ، وأيده على حماية الدين ، وأبقاه لرعاية أحوال المسلمين ؛ فان عبده امتثل أمره والتزم ما حده من البحث عن كتاب السياسة ... » .

٤ ــ خاتمته (ورقة ٢٢ ا) : « يا إسكندر ! كتابي هذا كاف فيما سألته ، وهو يقوم لك مقامي إذا تصفحته وتفهمته ، فاجعله تجاه فكرك ... وتعاو على جميع ملوك الدنيا والله خليفتي عليك وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

٥ ــ يفترض ألفرت (جـ ٥ ص ١٠٥ من فهرست مكتبة برلين سنة ١٨٩٣) أن يكون تاريخ النسخ حوالي سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٨ م) .

٦ ــ هذه النسخة مختصرة ولا تشمل النص كله ، بل أقساماً منه .

٩ ــ جـ = برلين ٥٦٠٤ (ألفرت = Lbg. 121)

١ ــ يقع في ١٠٢ ورقة ، مسطرته من ١٣ــ١٤ سطراً (١٦ ¾ × ١٢ ¾ سم ؛ والمكتوب مقاسه ١٣ × ٩ سم) .

٢ ــ في الورقة ١ ا العنوان : « كتاب السياسة في تدبير الرياسة ، المعروف بسر الأسرار الذي ألفه الفيلسوف الفاضل أرسطاطاليس لتلميذه الملك الأعظم الإسكندر بن فيلبوس الفلودي المعروف بذي القرنين رحمه الله » .

٣ – يبدأ فى ١ ب كما فى المخطوط ب .

٤ – الخاتمة (ورقة ١٠٢ ب) : « وقد أكملت لك ياإسكندر جميع ما رغبت على حسب ما شرطت ، وقمت لك بحق الخدمة ، وذلك بعض ما يجب لك على . فكن به مؤيداً موفقاً سعيداً إن شاء الله تعالى . كمل كتاب سر الأسرار لتأسيس السياسة وترتيب الرياسة » .

٥ – العنوانات وأوائل الفقرات مكتوبة بخط أحمر .

٦ – تاريخه فى شهر ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ ، بخط ناسخه اسن (!) بن ناصر الدين محمد بن شمس الدين أرسلان بيك الخوارزمى .

١٠ – د = ١٨٣ (فى فهرست براون لمخطوطات جامعة كمبردج = ٣٢٢٢ إضافات) .

١ – يقع فى ٧٦ ورقة مقاس ١٩,٢ سم × ١٤,٥ سم ، مسطرته ١٥ سطراً ، بخط نسخى حديث .

٢ – يبدأ هكذا :

« الحمد لله الذى عقد فى أعلام الملك رعاية الرعية ، ومهد بأحكامه مصالح الكافة من اصلاح البرية ... »

٣ – مخطوط كامل بغير تاريخ .

هـ = ٨٩٩ (فى فهرست براون لمخطوطات كمبردج = (2 Q. A 263) .

١ – يقع فى ٦٤ ورقة ، مقاس ٢٤,٣ × ١٦,٦ سم ، مسطرته ١٥ سطراً ، بخط نسخى جيد ، منقوط ؛

٢ – تاريخه منتصف رجب سنة ٩٥٣ هـ .

١١ – و = ٧٣٩ فى المتحف البريطانى (٣١١٨ شرقى)

١ – فى ٧٠ ورقة ؛ مقاس ١٩,٥ سم × ١٥ سم ، مسطرته ١٧ سطراً ، طول السطر ٨,٩ سم بخط نسخى جيد مضبوط بالشكل الكامل ؛

٢ ـ العنوان فى ١ ا : «كتاب السياسة فى تدبير الرياسة ، المعروف بسر الأسرار» .

٣ ـ يبتدئ فى ١ ب هكذا :

« الحمد لله رب العالمين ... أما بعد ! أصلح الله أمير المؤمنين ، وأيده على حماية الدين ، وأبقاه لرعاية أحوال العالمين . إن عبده امتثل أمره والتزم ما حدّه من البحث عن كتاب السياسة فى تدبير الرياسة المعروف بسر الأسرار ... » .

٤ ـ هذه النسخة كتبت لأمير اليمن أمير المؤمنين شجاع الدين عمر بن وحيد الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن معان النظارى . إذ ورد فى آخرها : « برسم الخزانة الشريفة ... اليمانية المنصورة النظارية لسيدنا ومولانا ... أمير المؤمنين وأحد الخلفاء الهادين ... شجاع الدين عمر بن سيدنا ... وحيد الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن معان النظارى أدام الله عزه وسعده » .

٥ ـ وإذن فهذه النسخة هى تماماً كالنسخة س (٢٣١٨ عربى بباريس) التى وصفناها آنفاً ، فهى بخط الناسخ نفسه وبرسم الخزانة نفسها وفى العام نفسه ، إذ هذه النسخة بتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ١٠٣٧ بينما نسخة باريس بتاريخ ٧ محرم سنة ١٠٣٧ أى أنه كتب نسخة « و» هذه مباشرة بعد نسخة س .

١٢ ـ ز = ١٨٦٩ فى جوتا بألمانيا (= ٧٧٤ عربى)

١ ـ فى ٦٨ ورقة ، مقاس $\frac{1}{2}$٢٣ × $\frac{1}{2}$١٦ سم ، والأوراق ١ ، ٦٧ ، ٦٨ بيضاء . وأوائل المقالات العشر تقع فى الأوراق ٢٦ ، ٨ ب ، ٤٠ ب ، ٤٢ ا ، ٥٠ ب ، ٥١ ا ، ٥٢ ا ، ٥٣ ا ، ٥٧ ب .

٢ ـ بخط نسخى حديث جميل ، مسطرة الصفحة ١٧ سطراً . وتوجد فى مكتبة جوتا طبعة للترجمة الألمانية لهذا الكتاب بتاريخ سنة ١٥٣١ م .

١٣ – ح = ١٨٧٠ فى جوتا بألمانيا (= ١٥٣٥ عربى)

١ – فى ٦٤ ورقة ، مقاس ١٧,٥ × ١٣,٥ سم ، بخط نسخى جيد ، فيه بعض الشكل ، مسطرة الصفحة ١٣ . ويوجد خروم بعد الورقتين ٦ ، ٣١ .

٢ – أوائل المقالات تقع فى الأوراق : ٦ ب ، ١٩ ، ٢٣ ب ، ١٣١ ، ٤٥ ب ، ٤٦ ب ، ٤٧ ب ، ٤٨ ب ، ٥٠ ب ، ١٥٧ .

٣ – وهذا المخطوط أكثر تفصيلا من المخطوط السابق عليه مباشرة .

١٤ – ط = ١٨٧١ فى جوتا بألمانيا (= ٥٢٢ عربى)

١ – ناقص من أوله ، ويبدأ بالكلمات : « البهائم ودرت الضروع ... » فى المقالة الثانية (ص س هنا) . وفى ورقة ١٣ ا تبدأ المقالة الثالثة وتنتهى فى ١٤ ب ، ومن هنا لايرد تقسيم إلى مقالات حتى نهاية المخطوط .

٢ – يقع فى ٢٩ ورقة مكتوبة ، مقاس ١٨ × ١٤ سم .

١٥ – ى = ٧٤٩ (٣) ڤارنر فى ليدن بهولنده

١ – يقع فى مجموع من ورقة ٧٦ حتى ورقة ١١٠ ا ، ومقاس المجلد ٢١,٨ سم × ١٥,٥ سم والورق جيد ، والعنوانات بالأحمر وكذلك واو العطف بالقلم الأحمر . وعرض السطر المكتوب حوالى ٨ سم فى المتوسط ، وطول المكتوب فى الصفحة ١٤,٥ سم ، ومسطرته ١٨ سطراً .

٢ – الخط مغربى واضح .

٣ – عنوان الكتاب فى ١٧٦ هكذا : كتاب السياسة فى تدبير الرياسة ، مما أخرجه من اللسان اليونانى إلى اللسان العربى يحيى بن البطريق الترجمان رحمه الله تعالى » .

٤ – يبدأ هكذا (٧٦ ب) : « بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

« أما بعـد ! أصلح الله أمير المؤمنين ، وأيده على حماية الدين ، وأبقاه لرعاية أحوال المسلمين . فان عبده امتثل أمره ، والتزم ما حد له من البحث عن كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » المعروف بـ« سر الأسرار » الذى ألفه الفيلسوف الجليل الفاضـل أرسطاطاليس بن نيقوماخوس المحدونى لتلميذه الملك الأعظم الإسكندر ابن فيلبس الفلوذى المعروف بذى القرنين ، حين كبرت سنه وضعفت قوته عن الغزو معه والتصرف له . وكان الإسكندر قد استوزره واصطفاه ....

« وشرعت بحمد الله وسـعد أمير المؤمنين وجده فى ترجمته ونقله من اللسان اليونانى إلى اللسان الرومى ، ثم من اللسان الرومى إلى اللسان العربى ، ولا حـول ولا قوة إلا بالله ... » .

وإذن فهذا الابتداء يوافق سائر ابتداءات النسخ التى بين أيدينا .

٥ — ينتهى هذا المخطوط — بخلاف سائر المخطوطات — بـ« باب فى الفراسة » ، وفى هـذا يتفق مع الترجمات اللاتينية التى اعتمدت على ما وجد من هـذا الكتاب من مخطوطات فى المغرب . وحيث أن مخطوطنا هذا مغربى ، لهذا أتى موافقاً لهـا فى الترتيب . ثم يتلوه باب الغالب والمغلوب . ولهذا كانت خاتمة المخطوط هكذا :

« ثمانية وتسعة : التسعة تغلب الثمانية . ثمـانية < و > ثمانية : المطلوب يغلب الطالب .

« باب تسعة : تسعة وتسعة : الطالب يغلب المطلوب » .

« انتهى الكتاب بعون الملك الوهاب ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبى بعده ، وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين » .

٦ — ليس فى المخطوط تاريخ نسخ ، وحتى الكتاب الأول فى هـذا المجموع ورد فى خاتمته فقط : « وكان الفراغ من القصيدة يوم الجمعة غرة ذى الحجة كتبه العبد الفقير الحقير الذليل المعروف بالعجز والتقصير راجى عفو ربه القـدير ،

الفقير سلام ، الشافعى مذهباً والعثمانى مذهباً ، غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة وللمسلمين آمين ! » فلم يرد فيه إذن ذكر السنة ، على أنه ليس بنفس الخط الذى كتب به كتاب « السياسة فى تدبير الرياسة » موضوع بحثنا هنا .

٧ — تنفرد هذه النسخة كذلك بتقسيم الكتاب فيها إلى ثمانى مقالات هكذا كما ورد فى ورقة ٧٩ ب . « وكتابى هذا ثمانى مقالات . فالمقالة الأولى فى أصناف الملوك . — والمقالة الثانيــة فى حال الملك ، وهيئته ، وكيف يجب أن يكون مأخذه فى خاصة نفسه وفى جميع أحواله وتدابيره . — والمقالة الثالثة فى صورة العدل الذى به يكون الملك وتساس الخاصــة والعامة . — والمقالة الرابعــة فى وزرائه وكتابه والناظرين على رعيته وجنده ووجه سياستهم . — والمقالة الخامسة فى سفرائه ورسله وهيئاتهم ووجه السياسة فى بعثهم . — والمقالة السادسة فى سياسة قواده والأساورة من أجناده ومن دونهم منهم على اختلاف طبقاتهم . — والمقالة السابعة فى سياسة الحروب وصور مكائدها والتحفظ من عواقبها وترتيب الجيوش < و > الأوقات المختارة لذلك فى وقت التدبير (ص : تدبيره) وعند الوثبة ووقت خروجه وتحريكه فى جميع أعماله . — والمقالة الثامنــة فى علوم خاصية وأسرار ناموسية [١٨٠ ا] من الطلسمات واستمالة النفوس وخواص الأحجار ومنافع الحيوان ، ونكت غريبــة من أسرار الطب < و > ما تدفع به السموم وتغنى عن طبيب وغير ذلك مما ينتفع به فيما قدمنا إن شاء الله تعالى . المقالة الأولى ... » .

٨ — فى النسخة نقص كثير واختلاف واضح عن سائر النسخ المشرقية . وتمثل صورة أولية موجزة من صور كتابنا هــذا . فضلا عن اختلاف الترتيب فيها عمــا ورد فى المخطوطات ذات الرواية المشرقية اختلافاً هائلا دللنا عليه — أو على أكثره إذ كان من العبث إحصاؤه كله — فى مواضعه فى الهوامش .

والنسخة ليست من الدقة فى النسخ والضبط فى الرواية بحيث تحوج إلى رعاية خاصة . وإنما اهتممنا بها لأنها تمثل الرواية المغربية لهذا الكتاب .

١٦ – ق = A. F 354 d فى ڤينا (١٨٢٧ فهرست فلوجل)

١ – مجلد فى ٧٩ ورقة مقاس ٢٠ × ١٤½ سم ، مسطرته ١٥ سطراً ، والورق أبيض مصفر جيد ، طول السطر ١٠,٣ سم ، ارتفاع المكتوب فى الصفحة ١٥,١ سم .

٢ – الصفحة الأولى (١ أ) بيضاء وعليها بيتان من الشعر رداً على البيتين الواردين فى الصفحة الثانية (١ ب) تحت العنوان : وهما :

ألا ياعائراً محبوب عصرك   فلا تخشى الإعارة ليس عار
كتابك عندنا تمثال عسجد   مصاناً ليس يشناه الغبار

ثم ختم المكتبة Bibliotheca Palat. Vindobonensis

٣ – فى صفحة العنوان (١ ب) يرد العنوان هكذا :

« هذا كتاب سر الأسرار لتأسيس السياسة وترتيب أحوال الرياسة
للمعلم أرسطاطاليس من تراجم الفاضل يوحنا بن البطريق المتطبب
وله كتب معتبرة فى فن المفردات وعلم الطب وغيرها وكان مسيحياً »

وهذا العنوان موضوع على هيئة مثلث قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل ، وحوله هذه التعليقة : « وله كتب ... مسيحياً . وحوله أيضاً بخط ثاث كبير بيتان هما :

« ألا يامستعير الكتب دعنى   فان إعارتى للكتب عار
ومحبوبى من الدنيا كتابى   فهل رأيت محبوباً يعار؟! »

وفى الهامش : « يحيى بن البطرق المتطبب » .

ويقول فلوجل (جـ ٣ ص ٢٦٠) إن هذه الورقة قد رممها Legrand .

٤ – يبدأ هكذا (٢ أ) .

« بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر . أما بعد حمد الله ! أصلح الله الأمير ، وأيده على حماية الدين ، وأبقاه لرعاية أحوال المسلمين . فان عبده ... » .

٥ – ينتهي هكذا (١٧٢) :

« ومن أنواعه نبات يبرى الأمراض ، وهو نبت يبذرجبه ، أغصانه مربعة ، وأوراقه مدورة الشكل ، له نوار أزرق وبذر أحمـــر ورائحته طيبة . خاصيته شمسية مشرقة ، وطبيعته مائية هوائية . ومن شمه أبرأه من الصداع والزكام والدوار والهم والفزع والصرع وغير ذلك من أنواع الآلام .

« وقد كملت لك يا إسكندر جميع ما رغبت فيه على حسب ما شرطت لك وقت لك بحق الخدمة . وذلك بعض ما يجب لك عليّ . فكن به مُؤيداً موفقاً سعيداً إن شاء الله تعالى . [١٧٢]

« كمل كتاب سر الأسرار لتأسيس السياسة وترتيب الرياسة بعون الله وتوفيقه . وذلك فى صبيحة يوم الخميس المبارك ثالث عشر شهر محرم الحرام سنة ألف وأربعين من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ! » .

ويتلو ذلك فى الصفحة نفسها كلام مستخرج من كتاب « الإرشاد » فيه « دواء نافع إن شاء الله تعالى < لـ > علاج النسيان وقلة الحفظ وكد الأشياء والحمق (مكررة) والرعونة » ويقع فى ١٠ أسطر .

وفى خلف الورقة (٧٢ ب) مستخرج آخر من كتاب « الإرشاد » الباب السابع فى مداواة العشق ، ويشمل الصفحة كلها .

٦ – تاريخ النسخة ثابت إذن وهو ١٣ محرم سنة ألف وأربعين هجرية ، أى أنها نسخة متأخرة .

٧ – ابتداءات الكلام والفقر والعنوانات مكتوبة بالأحمر ، وكذلك قوله : « يا إسكندر ! » . والخط نسخى واضح . وهو مضبوط بالشكل أحياناً ولكن بغير تدقيق فى قواعد النحو ، على أن الناسخ تغلب عليه العامية . وتوجد فى الزوايا السفلى اليسرى إشارات الإحالة بابتداء الكلام فى الورقة التالية .

٨ — يمثل الرواية المشرقية، ويمثل الرواية التقليدية التي استقر عليها الكتاب، ولهذا يتفق مع غالبية النسخ، ويتفق خصوصاً مع م في قراءاتها، حتى ليغلب أن يكون أصلهما واحد.

١٧ — N.F 278 (= ١٨٢٨ فلوجل) في فينا

١ — مجلد في ٥٤ ورقة مقاس ١٨ × ١٣٫٦ سم مسطرته ١١ سطراً عرض السطر ٨½ سم ارتفاع المكتوب ١٣٫٢ سم ؛ الخط نسخي قديم، فيه بعض الشكل.

وقد كتب : « برسم الخزانة الكريمة المولوية الأميرية (غير واضحة) الأجلية العالمية المجاهدية الشهابية عمرها الله بدائم العز والبقاء ».

٢ — تسبق المخطوط ورقة فيها بعض قراءات لمن قرأوا الكتاب منها : « نضر (= نظر) في هذه (= هذا) الكتاب العبد المسكين فهد ابن المرحوم اصطفان اللاذقي، كتب بتاريخ نهار السبت ثاني عشر إيار المبارك سنة ١٣٦٢ (بحروف سريانية) مسيحية ».

٣ — في صفحة العنوان (١ ا) ورد العنوان هكذا : « السياسة في تدبير الرياسة » ثم بخط نسخي : « تصنيف الحكيم الفاضل أرسطوطاليس لتلميذه الإسكندر بن فيلبس اليوناني رحمة الله عليه ».

وتحتها : « برسم الخزانة الكريمة ... » كما سبق أن ذكرنا في ١.

وفوق العنوان : بسم الله الرحمن الرحيم

والعنوان موضوع داخل إطار مذهب.

٤ — يبدأ هكذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر . أما بعد ! أصلح الله أمير المؤمنين، وأيده على حماية الدين، وأبقاه لرعاية أحوال المسلمين . فان عبده امتثل أمره، والتزم ما حده من البحث عن كتاب « السياسة في تدبير الرياسة ».

كما فى سائر النسخ .

٥ — ينتهى بالكلام عن خـــواص الأحجار ، وينتهى بالكلام عن حجر الفيروزج هكذا :

« الفيروزج : يا إسكندر ! هـذا الحجرلم تزل الملوك والعظماء يتفاخرون به ويستكثرون منـــه . ومن خاصيته العظمى أنه يرفع القتل عن ممسكه ، ولم يرقط فى يد قتيل . وهوإذا سحق وشرب منه نفع من لسع الحيات والهوام المسمومة .

« يا إسكندر ! كتابى هـذا كافٍ فى جميع ما سألته ، وهويقوم لك مقامى إذا تصفحته وتفهمته . فاجعله تجاه فكرك وأنس ذكرك تنل (ص : تنال) الرياسـة العظمى وتَعْـلُ (ص : تعلوا) على جميع [٥٤ ب] ملوك الدنيا ، والله خليفتى فيـــك .

« تم كتاب السياسة فى تدبير الرياسة بمنِّ الله وتوفيقه »

٦ — ليس للكتاب تاريخ نسخ ، والتاريخ الذى ورد عنـد نهاية المخطوط ، وهو تاريخ « سنة للهجر (كذا !) أربعماية اثنين وثلاثين » مزيف بخط لاصلة له بخط النسخ ، بل هو من عبث أحد الذين ملكوا الكتاب .

وفى الصفحة الأخيرة (٥٤ ب) عدا هذا : « نظر فى هذا الكتاب المبـــارك وتأمل فيه وفهم معانيه العبـد الحقير الخاطئ المسكين الخـالى من الفضـائل وحاوى الجهل والرذائل ، أقل الحقراء والخاطئين ، متمسك بدين المسيحية : وهبـــه بن فرج الله أبو عبـد المسيح النصرانى الملكى المذهب ، وهو داع لمالكه بدوام البقاء وعلو الارتقاء ، وكان ذلك الحين فى بلد البندقية التى (ص : الذى) من الله محمية ، جعلها الله دار مسيحيين إلى ... » .

ثم « سنة الجراد فى سنة ألف وخمسماية اثنين وأربعين ، جاء إلى (ص : إلا) بلاد العرب وإلى (ص : وإلا) بلاد الفرنج جاء : إلى بلاد العرب فى تموز ، ـــ

وإلى بلاد الفرنج فى شهر آب وكان هل قدر كتير (أى : إلى هذا القدر كبيراً) حتى بقى يغطى عين الشمس وكل (= أكل) كل الحشيش الذى يوجده (يجده) حتى سلخ التين إلى (ص : إلا) جوات (داخل) قلبه » .

٧ – النسخة رديئة ، كثيرة النقص والتحريف . وهى مقسمة إلى سبع مقالات ، وفيها قلب ونقل لأكثر الكلام عن مواضعه ، ونقص كبير جداً يعادل أكثر من ثلثى الكتاب . وبالجملة فهذه النسخة غير صالحة إطلاقاً . وكل ما فيها أن بعض الزيادات الواردة فى هامش نسخة س عن الأحجار قد أدمجت فى آخر النسخة فى الكلام عن بعض الأحجار .

١٨ – مخطوط تيمور برقم ١٠٢ اجتماع بدار الكتب المصرية

١ – يقع هذا المخطوط فى ٧٥ صفحة (لا ورقة) . مسطرته ٢٣ سطراً ، وطول السطر ٧,٧ سم ، وارتفاع المكتوب فى الصفحة ١٦,٥ سم . والخط نسخى واضح منقوط ، خالٍ من الشكل .

٢ – تاريخ نسخه « فى منتصف رجب المرجب سنة ١١٧٢ اثنين وسبعين ومائة وألف » .

٣ – يبدأ هكذا : « أما بعد ! أصلح الله أمير المؤمنين ، وأيده على حماية الدين ... » .

وخاتمته هكذا : « .... ومن أنواعه نبات يبرئ الأمراض ، وهو نبت يبذر حبه ، أغصانه مربعة ، وأوراقه مدورة الشكل ، له نور أزرق وبزر أحمر ، رائحته طيبة ، خاصيته شمسية مشرقة ، وطبيعته مائية هوائية . ومن شمه أبرأه من الصداع والزكام والدوار والهم والفزع والصرع وغير ذلك من أنواع الآلام . وقد أكملت لك جميع (ص : رجيع) ما رغبت على حسب ما شرطت ، وقت لك بحق الخدمة ، وذلك بعض ما يجب لك علىَّ . فكُنْ به مؤيداً موفقاً سعيداً ، إن شاء الله تعالى .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب ، على يد العبد الفانى إسماعيل الحسانى ، بلّغه الله نيـل الأمانى ، الحلبى مولداً ، الاسلامبولى موطناً ، القادرى طريقـة ، الحنفى مذهباً ، غفـر (ص : عر) الله له ولوالديه ولجميع المسلمين . آمـين ! يارب العـالمين » .

٤ – لا تمتاز هـذه النسخة بشىء خاص ، وفيها نقص وتحريف ؛ وتمثـل الصورة التقليدية للكتاب . لهذا لم نعن باثبات اختلافات قراءاتها .

وفى دار الكتب المصرية نسخة أخـرى رقم ١٣ فراسة عز الوصول إليها رغم البحث عنها ، ويظهر أنها فقدت .

— ٧ —

هـذان إذن هما الكتابان اللذان نقدمهما اليوم جزءاً أول من تحقيقنا ودراستنا لـ « الأصول اليونانية للنظريات السياسية فى الإسلام » . فنظام الحكم فى الإسلام إنما تطور من الصورة الساذجة التى كان عليها فى عهد الخلفاء الراشدين إلى نظام السلطان المطلق المحكم القواعد الواعى لمقتضيات السياسة بفضـل الآثار الفارسية واليونانية التى نفذت إلى العالم العربى خصوصاً ابتداء من عهد أبى جعفر المنصور فى الربع الثانى من القـرن الثانى للهجرة ؛ وكان الجانب الفارسى من هـذا التأثير معروفاً إلى حد ما بفضـل ما نشر فى هذا الباب مثل رسائل ابن المقفع و « التاج » المنسـوب إلى الجاحظ وما نقله أمثال ابن قتيبـة فى « عيون الأخبار » والمـاوردى فى « الأحكام السلطانيـة » ؛ بينما ظل الجانب اليونانى مجهولا أو شـبه مجهول ، خصوصاً وقد فقدت الكتب الرئيسية لكبار الفلاسفة ، ففقد كتابا : « السياسة » و « النواميس » لأفلاطون ، وما لعـله أن يكون قد ترجم لأرسطو مثل « السياسة » و « الدساتير » أو على حد تعبـير الفهرست الذى أورده القفطى (ص ٣٣ ، ٣٦) « كتابه الذى وسمه سياسـة المدن ، ويسمى بوليطيا ، وهو كتاب ذكر فيه سياسـة

أمم ومدن كثيرة من مدن اليونانيين وغيرها ونسبها . وعدد الأمم والمدن التى ذكر مائة وإحدى وسبعون » و« كتاب له فى سير المدن ، ويسمى بوليطيا ، مقالتان» و« كتابه فى تدبير المدن ويسمى فوليطيقون ، ثمانى مقالات » . والأول هو المعروف باسم Πολιτεῖαι وقد فقد ولم يبق منه إلا «دستور الأثينيين» الذى اكتشف فى مصر سنة ١٨٩٠ فى أوراق بردى ؛ والثانى لعله هو بعينه الأول . أما الثالث فهو كتاب «السياسة» المشهور Πολιτικων ؛ ولم يذكر ابن النديم ولا القفطى ولا ابن أصيبعة ترجمة عربية لهذين الكتابين ، بينما ذكروا أن كتابى أفلاطون قد ترجما ، ولخص أحدهما ، وهو « النواميس » ، الفارابى وقد نشر حديثاً كما أشرنا ؛ وأفاد من الثانى فى رسالة « آراء أهل المدينة الفاضلة » .

وإذا كان هذان الكتابان ، « العهود اليونانية » و« سر الأسرار » منحولين ، فان لهما كما أثبتنا أصولا فى الفكر السياسى اليونانى ، والمتأخر منه بخاصة . وهذا الفكر السياسى اليونانى المتأخر هو بعينه الذى يعنينا حين ندرس الأصول اليونانية للفكر السياسى فى الإسلام ، أولًا لأن هذا الفكر المتأخر – السكندرى والبيزنطى – كان أقرب إلى نفسية الخلفاء المسلمين منذ عهد الأمويين ، وابتداء من عهد أبى جعفر المنصور بخاصة ، لما ينطوى عليه من مظاهر السلطان وأبهة الملك وتمجيد الحاكم ؛ بينما الفكر اليونانى المتقدم على عهد أفلاطون وأرسطو كان يمثل اتجاها فى السياسة ما نحسبه كان يروق أولئك الخلفاء الطامعين فى الجاه وجلالة الملك والمقلدين لملوك بيزنطة منافسيهم فى السلطان العالمى : فمعانى الديمقراطية والحرية السياسية والمساواة والعدالة التعويضية أو التوزيعية ، التى رددها أفلاطون وحللها أرسطو ومجدها الكتاب اليونانيون السياسيون فى العهود الزاهرة فى القرنين الخامس والرابع

---

(١) نشره لأول مرة ج . ف . كنيون فى لندن سنة ١٨٩١ .

(٢) نشره فرنشسكو جبر بيلى عن مخطوط ليدن ، فى سنة ١٩٥٢ . لندن ، معهد ڤاربرج .

قبل الميلاد ما كانت لتجد فى نفوس ملوك الشرق هؤلاء أدنى صدى . وثانياً لأنه من الثابت أن المأمون ومن قبله وبعده من الخلفاء العباسيين بخاصة قد قرأوا هذه الكتب المتأخرة التى ترجمت من أجلهم ، فوجدوا فيها إمكان فلسفة نوازعهم إلى السلطان ، وقواعد لإرشادهم فى السلوك السياسى الظافر المتساط ؛ خصوصاً كتاب « سر الأسرار » الذى « تكشف أجزاؤه الخاصة بالملك والحكم عن دهاء وحسن تقدير وحكمة دنيوية وبصيرة بالطبيعة الإنسانية »(١) ، فضلا عن معان عامة مليئة بالحكمة فى الحياة تجتذب الطبائع الشريفة مثل السخاء ووجوبه على الملوك ، وأن « العقل رأس التدبير وهو صلاح النفس ومرآة العيوب وبه تذل المكروهات وتعز المحبوبات ، وهو رأس الممدوحات وأصل المفاخر » ، وأن « الرياسة ليست تراد لنفسها ، وإنما تراد للذكر الجميل » ؛ وأن على الملوك أن يتبعوا الناموس ، أى القانون ، فمن « استخف بالناموس قتله الناموس » ، أى أن من استخف بالقانون من الملوك والحكام قتله القانون — وهى كلمة ما أبلغها وما أحرى الحكام فى الشرق باتباعها ! وأن عليهم أيضاً ألا يبالغوا فى العقوبة ، بل يمتثلوا صحف الآباء الإلهية . وكذلك أشاد الكتابان بالعدل إشادة بالغة ، إذ « العدل صفة كريمة من صفات البارى جل اسمه ... وبالعدل قامت سمواته على الأرض ... والعدل صورة العقل الذى وضعه الله — عز وجل — فى أحب خلقه إليه » إلى آخر هذه العبارات الرائعة التى تكشف عما لقيه الناس من استبداد ملوكهم وحكامهم ، فكان هذا الصوت أروع تعبير عن رغبة الشعوب ، ودعوتها الحارة الملحّة إلى العدل . وجعل العدل أنواعاً : منها العدل الاجتماعى ، والعدل الاقتصادى ، والعدل الإنسانى ، ولا تقل أهمية الواحد عن الآخر لقيام الدولة الفُضْلى . ودعا إلى اجتناب الحرب كلما أمكن : « واجعل الحرب آخر أعمالك فانه أسلم للحرمة وأبقى

---

(١) ثورنديك : « تاريخ السحر والعلم التجريبى » ج ٢ ص ٢٧٢ — ٢٧٣ .

للجاه » . وأشار بتخفيف الضرائب على التجار حتى يبقوا فى الـــدولة ويزيدوا من عمارتها ورفاهيتها . ثم جعـــل رأس وصاياه لـدوام ملكه : « التعفف عن الدماء فى غير حق وإقامة حد ، فانها قضية نهى الخالق عنهـــا ... فتحفظ من هـــذا جهدك » ؛ وتوج هذا كله بكلام عن الرعية أو بالأحرى عن الشعب قال فيه إن الشعب هو كنز الحاكمين الحقيقى وعليهم أن يراعوا حاجاته ومصالحه ويسهروا على تحقيق مطالبه .

وبالجملة ففى الكتابين أفكار سياسية عصرية إلى أقصى حد ؛ ولو قدر لولاة أمور المسلمين أن يراعوها حق رعايتها لما انهارت دولة الإسلام انهياراً لم تنهض منه حتى اليوم .

ونحن نُرَجِّى أن يكون فى تدبُّر المعانى العاليـــة التى يتضمنها هـــذان الأثران النفيسان ما يحفزنا نحن العرب والمصريين بخاصة إلى أن ننشىء دولة الغد العربيـــة الواحدة الشامخة .

عبد الرحمن بدوى

باريس ، ليدن } فى صيف سنة ١٩٥٣
منشن ، ڤينا }

كتاب العهود اليونانية

المستخرجة من رموز كتاب « السياسة » لأفلاطن
وما انضاف إليـه

تأليف

أحمد بن يوسف بن إبراهيم

رحمة الله عليه

الرمـوز :

ص = المخطوط رقم ٢٤١٦ عربى بالمكتبة الأهلية بباريس

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقة

الحمد لله أهلِ الحمد ووليِّه والهادى إليه والمثيب به ، أحمده – أرضى الحمد له وأزكاه لديه – على تظاهر آلائه وجميل بلائه، <حمداً>(١) يكافىء نعمه ويوافى مننه ويوجب مزيده . وأسأله أن <يولعنا>(١) بذكره ويلهجنا بشكره ، وينفعنا بحب القرآن واتباع الرسول عليه السلام وحسن القبول لما أدَّاه ، وينوِّر بالعلم قلوبنا ، ويفتح بالحكمة أسماعنا ، ويستعمل بالطاعة أبداننا ، ويجعلنا ممن صَمَتَ ليسلم ، وقال ليغنم ، وكتب ليعلم ، وعَلِم ليعمل . والصلاة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

قد تأملتُ – أيدك الله ! – ما عَدَّدَتْه الفُرْسُ من حسن السيرة ورجاحة الآراء ومِلْك الأهواء . ورأيتُ ما صدر عنك من ذلك غير مجانب للحق ولا بعيد من الصدق . ولو اقتصرتَ عليه دون ما قادك إليه جِماحُ التعصب ، وحداك عليه زَلَلُ التسلط : من الطعن على مَنْ بان فضله ورجح وزنه من اليونانيين – لوجدتَ مقالا رحباً ومستعرضاً فسيحاً .

واعلم [٢ ا] أن أفضل المدح ما ساق إلى الممدوح فضيلة ولم يُلْحِقْ بغيره رذيلة . لكنى أرى أن الأَوْلَى بمن صحت فطرته وكَرُم طبعه الإمساكُ عن معايب الأعلام فى كل حوزة، ونشر فضائلهم ليقتدى بها من أتى بعدهم، واغتفار ما عَثَر به من زللهم لِصِغَرِه فى جَنْب ما تأدى إلينا من فضلهم وأفدناه منهم .

فأما تكريرك تقصيرَ اليونانيين فى السياسة ، فقد أنفذت إليك ثلاثة عهود لهم : منها عهد مَلِكٍ منهم إلى ولده فيما أفضى به إليه من أمر مملكته ، وعهد وزير

---

(١) خرم فى المخطوط .

منهم إلى ولده فيما ينبغي أن يستعمله المتقلد للوزارة ، وعهد رجل من أرفع طبقات العامة إلى ولده فيما ينبغي أن يعمله في تصرفه . فقابل بها ما نَمَّى إليك من غيرهم لترى مَحَلَّهم مِنْ حُسْن السيرة وفَضْلَهم على غيرهم في السياسة . وأنا أسأل الله لك هدايةً تقف بك على ما لك وعليك ؛ فإنَّ الفضل بيده والتوفيق منه .

وصلى الله على سيدنا محمد الداعي إليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وسلم تسليما .

[٢ ب] عهد الملك إلى ابنه

كان من الشائع فى اليونانيين المعتقدين لتوحيد الله — تبارك وتعالى ! — المُصَدِّقين بالصُّحُف المُنَزَّلة على رُسُله — صلوات الله عليهم ! — قبل مبعث موسى عليه السلام — أن ملكا لهم يعرف بأذريانوس قد جمع إلى سَعة مُلْكِه جلالةَ المحل فى الحكمة وحسن السيرة لمن يرعاه . وطالت أيامه بهم ، وزاد صوته بُعْداً فيهم . — ثم اضطرب عليه بعض أطرافه ، فاستخلف على مملكته ابناً له — وكان يرتضيه لما بعده . وخرج بنفسه فعاناه(١) حتى انقاد له . فلما أجمع على الشخوص إلى دار مُلْكِه اعتل عِلّةً يئس فيها من نفسه . فكتب إلى ابنه المُسْتَخْلَف بهذا العهد :

مِنْ المغرور بأمله ، المُرْتَهَنِ بزلله ، المفتون بما فَصَل عنه ، ولم يصحبه منه إلا ما عمل به فيه — إلى سليل روحه وغَذِيِّ رأفته والمرشَّح لبقاء ذكره وتتميم نقصه واستدراك ما فرط منه .

أما بعد ! فان داعى الله — ذى السطوة القاهرة والحجة البالغة — طرقنى فى حين كتابى هذا وأنا بين الرجاء لعفوه والخوف مما أسلفته [٣ ا] وأغلب الأمور على ظنى أليقهما به فى كرمه وجوده . وقد خَلَّفْتُ لك من تجاربى ما تحسن عائدتُه عليك وأَثَرُه فيك ، فليكن نُصْب عينك وسمير خلوتك ، وتلقَّ به ما جمح منك واستعصت(٢) مقادته عليك — تَجِدْ فيه قوةً لك وإلانةً له .

وأنا أرغب إلى المبتدئ بالنعم قبل استحقاقها — فى تقويمك وتسديدك ، وأن تجعل ما آثرته فى هذه الدنيا الدنية مُزْلِفاً(٣) لك وقائداً إلى رضاه عنك ؛ فانه غاية الطالب ونهاية الراغب ، بمَنّه وجوده .

---

(١) الضمير يعود إلى « بعض أطرافه » . وعاناه : عالج أمره .

(٢) ص : واستصعب — ونظنه تحريفاً .

(٣) مزلف : مقرب — زلف (من باب نصر) زلفا وزليفا ، وتزلف وازدلف : تقدم وتقرب .

فى الرعيـــة

اعلم أن رعيتك ودائع الله قِبَلك وأمانته عندك، وأنك لا تصل إلى ضبطهم إلا بمعونته جل وتعالى. وأفضلُ ما استدعيت به عونَه لك تقويمُ نفسك لهم، وحسن النية فيهم، وحراستهم والمنعُ منهم، والرفع عن تضييعهم، وأخذ كل طبقة منهم بما لها وعليها حتى تشعر عِلْيتهم[(١)] رأفتَك، وأوساطُهم إنصافَك، وسِفْلتهم خوفك. فاحظر على كل طبقة منهم مالا يليق بها، واقصِرْ جميعها على خدمة [٣ ب] المملكة بما أوجبتـه الشريعة، وامنع أغنيائها من البطالة والنظـر فى أمر الدين إلا ما احتاج الجمهور إلى الفُتْيا فيـه. وجَنِّبْهم ما شَجَر بين السلف فى بدء الدولة وما يثـير[(٢)] به أعلامها، فان الخوض فى ذلك يُسْقط هيبـة الملك من قلوبهـا ويضعفها فى غير مواضعها منها. وامنعهم من فُحْشِ الحرص والتّهالك فى الشَّرَه والتحاسد على المواهب. وقَوِّمْهم على الرضـا بالأقسام، والاجتهاد فى العمارة وحسن التثمير، والإنفاق بقـدر الحـال، والتعزى عن الفائت، والتقاعد عما لايوثق بنُجْحه ولا استتمام ما وعد به الرجاءُ فيـه. واحظر البخل على مُوسَّعهم، والسخاء على بخيلهم[(٣)]. وقُدْهم بالظاهر من الشريعة، وامنعهم من تأولهم وتسفيه بعضهم بعضاً فيما اعتقده منها، ولا تطلق لهم التجمع على مَنْ أنكروا أمره منهم، ولا تغيير ما كرهوه بأيديهـم؛ ولتكن غاية ما عنـدهم فيما جانب موافقتهم إنهاؤه إلى مَنْ وكلته بمصالحهم والثقة بمـا تراه لهم وعليهم. وقَدِّمْ منهم مَنْ شكر [٤ ا] الإنصاف، واستحيا من التأنيب، وقابل الهفوة بحسن الإنابة، وصلح على المَعْـدَلة، ورأى ما له من الحـظ فى اجتماع الكلمة وما عليـه فى تشتت نظام الجماعة، ولم ينحطّ محله من المملكة، واغتفر المكاره فى حسن الطاعة.

---

(١) ص : عليهم.

(٢) غير منقوطة فى الأصل.

(٣) ص : نحيلهم (!)

فى الوزير

اعلم أن الوزير الصالح أفضل عُدَد المملكة لأنه يصونك عن البِذْلة ويُسِفُّ[1] لك إلى الفرصة ، ويحصر ما غادرته من أمورك فيقلّب الرأى فيه ولا يمكّنك من المسامحة به . فاحذر التجوز فيه ؛ وليكن معروفاً بالاخلاص لك والإيثار لما أزلفه عندك ، موفور الأمانة بعيد الهمة ، كامل الآلة ، معمور الخاطر ، ذكىّ الجوارح موثراً للعدل ، ذا خبرة بقائم مملكتك وراتبها ومصالحها ، متحرزاً من القدح عليه فى شىء من أمرها . واجعل حظه من نعمتك موازياً لحظك من رأيه ، وخدمَته لحقيقة أمرك أكثر من خدمته لرضاك ، وعمله لغده دون عمله ليومك ، [٤ ب] ورضاه وغضبه معقودين برضاك وغضبك . وخذه بالتيقظ فى إغفالك ، والتشاغل عند فراغك ، وخدمة الأمور المخطرة فى لهوك ؛ واحذر أن تجتمع وإياه فى وقت من الأوقات على فراغ فتلقى المملكة مُضَيَّعة .

فى الجند

واصرف أكثر اهتمامك فى الجند إلى تقويم المقاتلة ، واستوف عليهم شرائط الخدمة ، ووَفِّهِمْ ما لهم من الأجرة التى فرضها لهم الاستحقاق ، ورَتِّس عليهم خيارهم وذوى النباهة فيهم ، وقَوِّمْهم على السير فى بعوثك والتنقل فيما حزبك . ولا توطن مُيَسَّراً منهم بلداً من بلدانك فيركن إلى الدعة ويستوطئ مهاد المعجزة ، ويخذله الإيثارُ للراحة .

وكره إليهم خدمة العاقبة فى الجِدَة ، وحبب إليهم حسن المواساة ، وأثبهم على ما يتصل بك من بذلهم وكرم عهدهم ، ولا تسمح لأحد منهم باغفال شىء من عُدَّته . وليكن ما فضل من نفقاتهم مصروفاً إلى زِيِّهم وسلاحهم والتزيد فى مراكبهم وغلمانهم . وامنعهم من المتاجر والمستغلات وما يتكسب به من لا سلاح له ولا قوة

---

(١) البذلة : الامتهان . ويسف : ينزل — أى يتتبع مداق الأمور نيابة عنك التماسا للفرصة .

معه . وليكن اكتسابهم من الجهاد عن المملكة والإغارة على أعدائها ، فانهم كالجوارح التى يُضِرُّبها ويفسدها أن تُطْعَم مما لم تَصِدْه .

واعلم أنها لاتبذل مُهَجاً إلا لمن يملك قلوبها بالاحسان وحركاتها بالتقويم ، وتثق باشفاقه على من يخلفه بعدها ، وترضى طاعته لمعادها .

فاستشعر هذه الخصال فانها تسبقك إلى المخاوف وتكون[١] ردءاً لك من المكاره . وَطَبِّقْهم ثلاث طبقات : أعلاها من تأملت منه إخطاراً بنفسه فى المحاربة عنك وضبطاً لمن تحت يده من رجالك ، وحسن مجاورته لمن تقلد أمره من رعيتك ، وصبراً على مناضلة من مارسه من الخوارج عليك وسَحْقَه[٢] فى معارك الذب عنك .

والثانية[٣] : من كانت محبته لك أزيد من نجدته ، ورأيه أقوى من بسطته ، وحياطته تتجاوز إقدامه .

والثالثة مَنْ حَسُن انقياده لمن [٥ ب] تُمَلِّكُه أمره فى بعوثك ، وكان صبره على ما عداه[٤] أكثر من اعتداده بما فعله .

واحذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه فى الدفاع عنك ، ولم يستحى من التزيد فيما لابسه ، واقتضى أضعاف ما أبلى ، وشكا البَخْس فى يسير مايقدر عليه ، وقايس بين سيرة صاحبه وسيرة أعدائه ، وأظهر الكراهة لما هو فيه ؛ و<احذر من> كان[٥] التضرب والسفك غالبين عليه ، فانه مواد الفتن وقُعَد الضلال .

فى الحاجب

واعلم أن حاجبك صَفْحَةُ مملكتك التى تستقبل بها الصادر والوارد ، والبادى والحاضر . فأحسن اختياره ، واجعله من بطانتك العارفين بأوقات انشراحك وانقباضك ومراتب الناس منك . وليكن ذا رأفة تحجزه عن ابتذال الأحرار ببابك

(١) ص : وتكن . (٢) ص : على مماطلة من .... وسحقه من ...

(٣) أى الطبقة الثانية من الجند . — والرده (بكسر الراء وسكون الدال) : الناصر ، العون .

(٤) عدا الأمر وعن الأمر : تركه ، جاوزه . (٥) ص : وكان ...

وتضرعهم بِعقوتك[1] ، ونزاهةٍ تمنعه من إفساد ترتيب القاصدين لك وتقديم أدانيهم على أعاليهم بما تتعجله منهم .

واختره حسَنَ الإنابة ، مهيب الجانب ، صحيح الرأى ، يضع الأمور [٦ أ] فى مواضعها ويزنها بمثاقيلها ، ويصدقك عما تسأله ، ويصدق عنك فيما تبلغه ، ويعتذر لك إلى من لم يتسهل إذنه بما يصلح من نيته ولا ينقصك به ، ويقدم إليك[2] ولا يحجب عنك من استخلصته لرفع الأخبار إليك ؛ ولا يؤخر إيصال كتاب عامل بريد لك ولا صريخ بلد من أمر فاجأهم ، ولا متنصح إليك فى عائد على المملكة ، ولا استئمار وزيرك فى شىء من أمورك ، ومن[3] تخطَّى هذا وتوخَّى به جلوسك لمثله فضعه[4] مواضعه ورتّبه ترتيبه ، وأوعز إليه أن يأذن للناس < فى > المجالس العامة على حسب مواقعهم فى الشريعة ومنازلهم فى المملكة ، ويتلقاهم بحسب ذلك ، وفى المجالس الخاصة على حسب مواقع حاجاتك الخاصة منهم وقدر انصبابك إليهم وإيثارك لهم .

فى العمال

واعلم أن عمالك على الأمصار ينبئون عن مذهبك ويدلون على سجيتك . فحمِّلْهم[5] أمانتك وذُدهم عن دَيْنك[6] ، وليكونوا [٦ ب] منك بمنازلهم من العدل والانصاف ومحلهم فى الأمانة والكفاية ، ورتبهم بين الخوف منك والرجاء لك . وقَرِّرْ فى نفوسهم أن أعظم ما تقربوا به إليك إقامةُ حق أو دَحْضُ باطل ، وأن إحكام ما جرى على أيديهم من الصواب والصلاح آثر عندك من توفير عائدة وتثمير

---

(١) العقوة (بفتح العين) : ما حول الدار ، المحلة .

(٢) ص : ويقدم إليه ألا يحجب ...— ويجوز أن تكون : "وتقدم إليه ألا يحجب" — ولكن هذا بعيد ، لأن الملك لا " يتقدم إلى " الحاجب ، بل يأمره .

(٣) ص : ما . (٤) ص : وضعه . (٥) ص : فاحمهم .

(٦) دان الرجل : عصى . أو لعله بمعنى : دان الرجل : استقرض .

مال . وكُفِّهم — بمايتسع لهم من الرزق — عن التصدى لدناءة المرفق . واصطنع منهم من صَدَقَتْ لهجته وقويت أنفته وصحت عزيمته وزاد صبره على تأميله وتماسكه على مقدار ما يطرأ عليه ، وكانت رغبته فى حسن الذكر تُوفِى على ما يستجيب له فيما تقلده .

وتجنّبْ منهم مَنْ غَلَبَ عليه سوءُ المنشأ والتحريق فى الإنفاق والتناش(١) فى الاكتساب ، وسُهل عليه التبكيت ، وباع رعيته الإنصاف(٢) ، وساقهم بالإخافة ، وكانت ذريعته فيما تقلده المصانعة دون التقصى والكفاية ، فانه يفسد نظام المدن ويشعر أهلها كتمان النعمة وإظهار الفاقة . واذكر ما قيل [١٧] من الحكمة : «لا تُغَلِّبوا الجَوْرَ على حَوْزةٍ فيُفْسِدُ من نفوس أهلها ما لا يُصْلَحُ بما ساقه إليكم من أموالها » ؛ وليس يربحكم على تطاول الأيام إلا العدل .

واطلب ممن استعملته أن يكون الإعذار(٣) فى عمله أوضح من الاعتذار فى قوله . ولا يحملنك وجوب حق أحد من العمال عليك وانصبابه إليك على أن تقلده فوق منزلته من الكفاية فتعقّ مملكتك ببرِّه وتسيءَ إلى خيار من تُوَلّى عليه بعسفه ، ويلفظ شرارهم الجرأة عليك فى غبنه والتجوير عليه ، ويكون ما زدته من الرفعة على استحقاقه نقصاً لإيثارك وحسن اختيارك عند الناس . واحذر أن يفتنك من قلّدته(٤) بتحيُّفه فى اجتلاب الحظ لك ، وابتياعِه رضاك بسخط رعيتك ، والتماسه التوفر بالإجحاف بها والتجوُّز فى عمارة بلادها ، فان هذا قد عاداك من حيث توهم أنه والاكِ : فان هذا الرجل لما أعجزه التقدمُ عندك بالكفاية ، والتفضيلُ على عمالك بالمعرفة تَزَيَّا بزِىِّ النزاهة وصبر [٧ ب] على مالم يصبروا عليه واحتمل مالا يطيقونه ، وأوهمك أن له بذلك فضلاً عليهم ، وجَهِل تقصيره عن شرط العامل وما يراد له ؛ وهذا يفسد عليك سرائرك ونيتك لأصحابك بوضعه نفسه فى غير موضعها منك . وتجنّب

(١) التناش : التدافع .
(٢) أى : لم يعدل أو ينصف إلا إذا تقاضى ثمنا لذلك .
(٣) الإعذار : ثبوت العذر .
(٤) ص : من قلدته بحففك فى اجتلاب ...

استعمال مَنْ كان حظُّه من السلامة والصيانة أكثر من حظه من الكفاية والشهامة ، فان تضييعه عليك أكثر من استدراكه لك ، وإغراءه لك يزيد على إحاشته[١] إليك . وحقاً أقول : إن أيسر ما يلحقك من الخائن ما استأثر به من مالك ، لأنه إن كان كافياً استعمل الحيلة فى حِطّته بما اختزله[٢] وجعله رسماً لمن يأتى بعـــده وحجة لمن تقلد موضعه فتضاعفت المحنـة به . وإن كان مقصراً عن الكفاية دارى مَنْ تبيّن أمره بالإغماض له عن أضعاف ما استأثر به ، وهو مع هذا خائف من فراغك له وإشرافك عليه ، يتمنى لك ما لا يوده فيك عدوٌّ من أعداء دولتك وحَسَدة نعمتك . واحذر أن تُضَمِّن عاملا [١٨] من عمالك مالَ عمله ، فانك تخرجه من خدمتك فيه إلى تمليكه إياه وإماتة رسـومك به والعنف برعيتك فيه . ولا تجمع له أعمال بلد من بلدانك فيسـقط فى ذلك البـلد استظهارك ببعض أصحابك على بعض . واحرص أن يكون جميع من[٣] تقلده غريباً فى البلد الذى يتقلده لك ، وأن يكون شمله ومستَغَلّاته بالقرب منـك وفى حصنك رهينـة لفوارطه فى عملك ، ولا تطلق له مزاحمة الناس[٤] فى اقتناء الأملاك بالبلد الذى قَلَّدْتَه أمره ، ولا الاستكثار من الخدم والشمل فتثقل وطأته عليك وتُمَلِّك عليك رجاله ويستغرق شملُه خيراته ، ويعتقد أنه بمقامه قد أُعْتِقَ مِنْ رِقِّ المراقبة لك والمخافة منك فيشق عليـك إزعاج طمأنينته ، وترى أنه أحق بموضعه من غيره . وإياك أن تقبل من عامل لك مصالحة على شىء اختانه فتشاركه فى الخيانة لك . ولكن اكشف بثقاتك الجهة التى أخذ منها . فاذا أحطت [٨ب] علماً بها ، ألزمته الخروج إلى رعيتك مما لحقها[٥] منه . وانظر إلى ما حصل منه فخذ عفوه ، واجعل ما بقى آخر حظه منك . وإذا استوفيت لرعيتك حقها منه

---

(١) أحاش الصيد : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة ؛ أى : صرفه إليك .

(٢) اختزل الوديعة : خان فيها بالامتناع عن ردها . — وفى المخطـوط : الحيـلة فى حظه مما اختزله له . — والكافى هنا بمعنى : الكفء .

(٣) ص : ما . (٤) ص : مزاحمة التنا فى اقتناء ...

(٥) خرج إلى فلان من دينه (بفتح الدال) : قضاه إياه .

طالبتها بما سامحها به ولم تُغْمِضْ لها فى شىء منه لأنهم مؤازروه على خيانته وأعوانه فى سوء مذهبه ؛ فاذكر ما قيل : « الخيانة تفسد الراعى والرعية » . وكل شىء له موضع يكسد فيه إلا الأمانة : فانها تَنْفُق عند اللصوص الذين هم أبعد قوم منها حتى يركنوا إلى أهلها فى ودائعهم ويثقوا بهم على أنفسهم .

فى الولـــد

وانظر إلى ولدك الذين هم معاقل اسمــك وحَفَظة ذكرك — فأحْسِنْ تقويمهم وخَفِّف عليهم من إشفاقك أكثر من خـــوفك عليهم من غِلْظتك ، ولا تؤنسهم بإظهار البِشْر وفرط الشغف ، واكتمهم أكثر ما تجده لهم ، واحرص أن يسبق خوفُهم منــك تأميلَهم لك ، وأثبهم على حسن الجواب والصبر عما تدعو إليه الحاجات وحَبِّبْ إليهم مِرَاس [١٩] الأمور الصعبة وحُسْنَ الاصطناع للرجال ومكاثرةَ ذوى النباهـــة من أهل المراتب والعلماء . وكَرِّه إليهم حَمَلَة السخف من المضحكين ومن جرى مجراهم ، ولا تطلق لهم التشاغل بهم إلا فى أصغر الأزمنـــة وفى السر من جملة الحاشية ، وجاهد أهواءهم عن عقولهم ، وشاور من قد أنست منه برشــدٍ فيهم فى كثيرٍ مما تدعو إليـــه الحاجة ليحمله ذلك على الازدياد فيما أحمدته منه . وخَفِّفْ عليهم الصبا وحسن انقياد الأمور وقوة الشهوات فانها أعداء لهم ولك فيهم ، وإن لم تصرخهم (١) لم يتخلصوا من هذه القواطع . وخذ القَوْمة (٢) عليهم ألا يطلقوا لهم الإصابة من شىء ملتذ إلا بعد تأمله والوقوف على استقامته وما فيه مما يحمد أو يذم ، فان الشره فى الإنسان إنما هو سَبْقُه إلى نصيب اللذة بالشىء قبل نصيب العقل منه . وتدارك رذائلهم وهى ضعيفة بالصبا فغُضَّ منها ما تقدر عليــه ، وقَوِّ فضائلهم بتغليبها عليها ، وحرك أَنَفَتَهم فى قهرها ، فانها إن أعجزتك [٩ ب] فى صغرهم بَعُدَ عليك تلافى أمورهم فى كِبَرهم ولم يصلحوا لمعظم أمرك ولا لحمــل شىء من

(١) صرخه (من باب نصر) : أغاثه وأعانه — وكذلك أصرخه .

(٢) القومة : الإشراف ، مصدر قام عليه : أشرف وهيمن .

ثقلك . وانظـــر إلى صغارهم ومن لم يكمل للفكر منهم ، فاشـغل أزمنتهم بالتحفظ لسير ذوى الفضل من الفضلاء من الملوك ومكارم الأخلاق وحسن التدبير وما يليق بالملـوك حفظه ليكون عُدَّةً لهم فى أوان قوتهم واعتراض الأشـغال . ولا تُوطِّنْ(١) حاضرتك مَنْ حَمَلَ السلاح وكَمَّلَ التدبيرَ مِنْ ولدك ، وفَرِّقْهم فى أعمالك وبعوثك — يجتهدوا(٢) فى إصابة موافقتك ، ويكملوا للنيابة عنك ، فان حضورهم عندك يشغلهم بالتبارى فى الهيئة والتحاسد على المرتبـــة ، ويمنعهم من حسن التخرج ومكافحة الأمور . وانظر إليهم بعين الثقاة عندك ، فان ثقة الوَلَد تحول بينه وبين تجريد الحد(٣) فى والده .

واسألِ الله — بعد استفراغك المجهود فيهم — عَوْنَكَ على مصالحتهم بما لا تصل إليه إلا بجوده وكرمه .

فى الخـــدم

واعلم أن خدمك بمنزلة جوارحك التى تعطى بها وتمنع ، وحواسك [١٠ا] التى تقضى(٤) بهـا على ما شعرت به . فَرُضْهُمْ بالصـدق والأمانة وحسن الانقياد إلى ما آثرت ، واحذر منهـم من قَوِيَتْ شهوتُه فانها تنازعك الملك ، ومَنْ تســتر عنك بلطف حيلة أو زادت قوة فكرته على ما تحتاج إليه فى مرتبته . وأَشْرِبْ قلوبهم أن الحق فيما تطالب به ، والباطل فيما اعتزلته ، والصواب فيما رأيته ، وأن متصفح أمورك منهم متحرج آثم ومتعدٍّ ظالم . ولتكن ثقتك بالمطبوع منهـم فيما وكل به ، وإن قل حرصه ، أكثر منها فى المتصنع وإن عظم اجتهاده . واجعل لكل شخص منهم رَوْحَة تكون مدتها على حسب صعوبة مايعانيه — تُجَمُّ بها قواهم وتَرْتَحُ معها جوارحهم .

---

(١) أى لا تجعل حملة السلاح من أبنائك يتوطنون ويقيمون فى عاصمة ملكك ، خوف أن ينتقضوا عليك . (٢) ص : يجتهدون ... ويكملون .

(٣) ص : الحق — ولا معنى له هنا . — والحد : من السيف : مقطعه ، ومن الإنسان : بأسه وما يعتريه من الغضب ، وكلاهما يصلح هنا . (٤) يقضى بها : يحكم بها .

وآلفهم من عطاياك بما لا يُبْطِر أعلامهم ولا يحزن أصاغرهم، ولا ترُم مِحسنهم بالغاية من إحسانك، واترك لمزيدهم إياك فيما أحمدته مزيداً منك، واحظر عليهم خلافك فيما قاد إلى مصلحتك، كما تحظر خلافك فيما أضرَّ بك، فان الخلاف نبوٌّ عنك وترفُّع عليك. وامنعهم من التهاجر وفرط التطافر.(١) واستخاص منهم لسرك: أقدرهم على [١٠ ب] نفسه وأصبرهم على ما ينوء به وأقلَّهم أُنْساً بالناس، — ولودائعك:(٢) من كانت رغبته فى إحمادك أكثر من رغبته فى عائدك عليه وإحسانك إليه، واقتصاده آثَرعنده مِنْ تحسين ظاهره، وليكن أحسن خدمك حالا. واختر السفارة عنك مَنْ حكى الصدق بعينه وآثره مع إضراره على ما نفعه من الكذب، واستوفى فَهْمَ ما يحمله عنك وإليك وسهلت عليه إعادة نَصّه من غير زيادة ولا نقصان ولم يعتمد على تغيير ألفاظه، فان معانى الرسالة ربما تغيَّرَتْ بتغيير ألفاظها؛ — ولِخدْمتك(٢) فى ليلك ونهارك: مَنْ لانَتْ سجيته وخَفَّتْ روحه وسلم من الغلّ صدرُه، واستثقل إعادة ما سمعه وكان البِشْر والرقة غالبين عليه.

ولا تؤنسهم منك بقبيح فى قول ولا فعل، ومكن فى نفوسهم أن أقوى الشفعاء لهم عندك إصابة ما وكلوا به؛ فانك لاتزال عندهم مستحقاً للرئاسة عليهم ما لم يتبين منك رذيلة تَحُطُّك عن مرتبتك. فاذا بدا ذلك — زُلْتَ عن مُلْك سرائرهم وفَسَدَ عليك ترتيبُهم.

فى الحُــرَم

واعلم أن حُرَمَك(٣) مغارس نسلك ومهبط أنسك وبهجة خلوتك وراحة فكرك من أَسْر التحفظ ومجاهدة الزلل.

فاطلب منهن من غلب عليها مالا يسوؤك أن يكون فى ولدك منها، واحذر أن تجعل لفكر أحد ممن فى مملكتك دون بصره سبيلاً إليهن. واجعل عليهن سياجاً ممن

(١) التطافر: التواثب، التنافس. (٢) عطف على قوله: لسرك.
(٣) حرمة الرجل: حرمه وأهله، والجمع: حرم وحرمات.

طَعَنَ فى السن من النساء والخدم وحَسُنَ تَبتُّله واشتدت سِكَّته[١] وقويت أنفته وامتعاضه، فان هـذا يمنع من التسلق عليـك فيما جرى فى مجالس خلواتك . وليكن تبذلك بينهن كالرؤيا فى منامك التى لاتوجد فى مملكتك عنـد غيرك . ورُضْ جماعتهن بسلامة النيـات وانخفاض الأصـوات وحسن الاسترسال . واحظر عليهن التعاير والتغاير والتهاتر ؛ وآسِ بينهن فى خَلَواتك وبِرّك وإكرامك، وإن كان بعضٌ أقرب إليك من بعض، فان العدل فيهن مُصْلِحٌ لجماعتهن . وامتنع من طول مِحالاتِهن[٢]، فانها تضعف القلب وتخرق السجيّة وتصغر [١١ب] الهمة . ولتكن عشرتك لهن عند كلال فكرك وغلبـة غضبك أو حال نعاسـك . واجعل مبيتك بينهن تستراً عمن فى مملكتك . وافصِلْ عن جماعتهن مَنْ ولدت منهن وأَفْرِدْها فى قصر يشتمل عليـه حَفَظَةٌ من ثُقاتك ومَنْ يعرض أفعالها عليك لتعتبر بها استقلالها بتدبير أمرها فى التفرد وحسن قيامها على من ينضاف إليها من شَمْلها وحشمها . ولا تطلقن لحرمة[٣] لك تدبيراً ولا شفاعة فيما جاز خدرها، واحذر أن يَظهر على خادم لحرمة — يترسل عنها ويلابس ما خرج من قصرها — زى مستحسن ولا طِيبٌ ظاهر . وليكن ممن طعن فى السن وقَصّر عن جمال الصورة ونزع بطبعه إلى جميع الخيرات .

فى فضل العابد من الملوك على المتبتل من الزهاد

واعلم أن الملك المتحوب[٤] أفضل من الزاهـد المتبتل ، لأنهما نظرا فى حاجة الناس إلى ما يجمع شتاتهم ويقيم ميلهم ويمنع [١٢ا] بعضهم من بعض ، فقعد الزاهـد منهم وسارع الملك إليهم باذلا نفسه ومستفرغاً وسـعه فجمع أمرهم بمقدار طاقته وأعذر إلى ربه — عز وجل — باجتهاده، ورجا أن يغفر له ما عجز عنه منهم ؛ — وأقام الزاهـد على تصفح أحواله وأفعاله والمطالبة إلى ما يخرج إلى الفعل مما دفع

(١) السكة هنا بمعنى : الأخلاق، الشكيمة .

(٢) جمع محالة (بكسر الميم) : المكر، التدبير، القدرة .

(٣) ص : بحرمة .

(٤) التحوب : ترك الحوب، أى الإثم، التأثم .

الملك إليه وجهل الزاهد تعذره عليه لقلة ملابسته لأمثاله . ولهذا حُرِّمَ(١) على الزاهد فى الشريعة أن يطعن على الملك لأن الملك مشغول بالمجاهدة ، والزاهد فارغ للاستعراض . وإنما له أن يُنْهِى إليه ما علمه مِنْ أمر الناس بخلو ذرعه واشتغال الملك بما هَجَمَ عليه . وحقيق عليك أن تجعل من رغب من الزهاد عن الدنيا وانصرف عما أقبل عليه منها خوفاً من معارك العجز وتسلُّط الفتنة — بموضع البصر والسمع منك .

واعلم أن رياء الناسك أعظم حُوْباً واشدُّ ضرراً من مجاهرة المتسلط لأن رياء الناسك يستدرج الساكن إلى ظاهره والغرية(٢) به فيكثر بذلك صرعاه [١٢ب] وقتلاه ، ومجاهرة المتسلط توحش الناس منه وتذعرهم عنه فيسَلَّم(٣) عليه الكثير منهم . وهما جميعاً يجاهران الله تعالى فيما أصرا عليه ، إلا أن المرائى أقام التصنع بينه وبين الناس فخافهم فى الله عز وجل ولم يخف الله فيهم . وهذه أَوْضَعُ منازل من اجترأ عليه سبحانه وعَنِد عنه . فاذا أحسست بأحد من هولاء فاقبض لسانه عن القول ، واكشف عنه ما تستر به من الرياء والنفاق حتى يكون نكالا لغيره ، وموعظة لمن يأتى بعده من أمثاله .

فيما للفقير والغنى وعليهما

واعلم أن بين الفقير والغنىّ ، والضعيف والقوىّ ، حرباً لاينام وِتْرُها(٤) ما لم يَقِفْ كل واحد منهما على الواجب عليه ، لأن كل نعمة وهبت لرجل وقصر عنها آخر من الناس فان موقعها متكامل فى نفس المقصر عنها ، منصرف مع شوقه إليها إلى أن تكمل له . فاذا كملت ، زال أكثر ما كان يجده بها . والدليل على هذا(٥) الصحةُ :

---

(١) ص : أحرم . (٢) أى أن يغرى به وينخدع بظاهره . — ولم نجد هذا المصدر فى معاجم اللغة التى راجعناها ، وإنما وجدنا : غرى (بضم الغين وتشديد الراء المكسورة — بالبناء على المفعول) بكذا : أولع به ، ويكون المصدر إذن : التغرية .

(٣) كذا ! والأوضح أن تكون : فيسلم منه ... — أما يسلم (بتشديد اللام) فلا معنى لها هنا .

(٤) الوتر (بكسر فسكون) : الانتقام ، أو الظلم فيه . (٥) ص : هذه .

فان المريض من الشوق إليها والالتذاذ باستعراضها [١٣ ا] على أوفى ما كلف به ملتمسٌ لشيء أحبه . فاذا تكاملت له لم يتطعم ما كان يجده لها فى مفارقتها واستعرض بعدها ما قصر عنه فوجد لذته حتى يحصل له ، فتكون حاله فيها كالحال فى الصحة . وإنما يغلط الفقير فيتوهم أن ما يجده للغنى من حسن الموقع قائم فى نفس الغنى ، وأنه يستعمله عند حصوله كما يصرفه الفقير بتأميله وهو خلو مما يكتنفه ، ويجهل ما يحتاج إليه الغنى من حراسة حاله وضبط أمره والقَوْمَة على ما أفضى إليه ومراعاة الكفاية فيه وخوفه من شماتتهم به فى التقصير عما بلغه منه وركوب الأخطار والمخاوف فى تثميره والمجاهدة عنه ، ويتأمل ما هو فيه من شَظَف العيش وتعذر الأسباب ، ويجهل ما هيأه الله عز وجل له من خُلُوّ ذرعه ومِلْكِه لنفسه وأمانِه عند تسلط الأحداث على سلطان بلده مما يخافه الغنى على نفسه وشَمْلِه فيتوهم بنقصه أن الأقدار معاندة له ، وأن الغنى فى وزن الظالم له . ولو استحضر بفكره ما للغنيّ [١٣ب] وعليه لوجده قريباً مما للفقير وعليه ، ويرى الغنيّ مع هذا أَمْنَ الفقير فى خوفه ، وراحتَه فى تعبه وفراغه فى شغله ، فيجد لذلك من حسن الموقع إذا كان مقصراً عنه أكثر مما كان الفقير المشتمل عليه ، فيغبطه بخلو ذرعه وتزول عنه رحمته لفاقته — وكذلك الوالى المعزول ، وذو الجاه والخامل ، ويكون ما اعتقده كل واحد منهما من العداوة لصاحبه على حسب ما أعطى ومنع .

وقد كان مَنْ قبلنا من السلف الصالح لايرفع المواعظ عن أسماع رعيته بما يجب على كل طائفة ولها ، لتصلح آدابها ويسقط تعاديها . فينبغى أن تراعى ذلك وتجرى منه على ما جرينا عليه فيه .

فيما يستشعره الملك فى مجلس الحكم بين الناس

واعلم أنك فى مجلسك وملابستك لأمور أهل مملكتك فى طائفة من عز الله — جل وتعالى — فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل ، أو يهجم بك رضاك على إضاعة . ولتكن قدرتك [١٤ ا] وقفاً على النَّصَفة ، فلا تتناول بها محظوراً عليك

ولا تتكرهن مباحاً لك ، واجنح بتدبيرك إلى حسن الروية ، وخف أن تقعد بك أناةٌ عن حزم أو عَجَلَةٌ عن تبيّن . ولا يمنعنك الإنصاف فى المعاملة عن الأخذ بالفضل ، ولا العدلُ فى العقوبة عن العود بالعفو ، وأطع الحجة ما توجهت عليك ، ولا تحفل بها إذا كانت لك ، فان انقيادك لها أحسن من ظفرك بها ، ولا يَغْلِبَنَّك ما حلى بالنفوس على ماعَطَفَ عليه الكرم ، ولا ما أوجب الحقد على ما[1] منه الاتقاء ، ولا تردَّنّ نصيحة على أهلها فيمنعها عند شدة الحاجة إليها ، ولا تطمع فيها غيرك فتشتغل عن إمضاء الأمور بما لاعائد فيه عليك . واحرص ألا ينقضى عنك شىء من هذه المجالس إلا وقد تبينت عَوْدَه عليك فى معادك .

فى حفظ الأموال

ولا يُزَهِّدَنَّك ما كثر من الأموال قِبلك وتوفر منها لديك ، فيريك الهوى أن سرف الإنفاق فيما تتحرك له خواطرك [١٤ ب] مُجْحِفٌ بها ، وأن ما يَدِرُّ عليك بعد ذلك يستر خَلَلَ ما استُهلِكَ منها . فاذكر عند هذه الخطرة المبيرة إجحاف تسلط الأحداث وما يقتضيه مالا تحتسب من النوائب وتَجنُّب[2] مالا يُرتقَبُ من المكاره ، فان المال مِنْ أمنع حصون المملكة فى ذلك الحين ، وإضاقة[3] السلطان تضطره إلى الإجحاف بمعامليه والتسلق على ذوى الجِدات من رعاياه وتُحرِجه[4] من منزلة من وقع عليه الاختيار ووُسِم بالعدل والإنصاف من الملوك إلى محل المتغلب على المملكة ، وتَحمِله على قبول مَحْل الماحل وتلفيق المُعْنت ليستغزر بذلك مالابد منه ؛ وهو مع هذا صغير فى أعين جيوشه يمنون عليه بالنُّصرة ولا يطيقهم فى النُّفْرة ويملكون الاختيار عليه فيما آثروه من حق أو باطل .

---

(١) ص : عما بنى (!) . (٢) ص : تجنبه .

(٣) أضاق الرجل (بضم اللام) : افتقر . والجدة : الثراء ، الغنى .

(٤) بالحاء المهملة : تلجئه ؛ ويصح أن تكون بالخاء المعجمة .

واعلم أنك تملك الأموال ما ملَكْتَ فيها حُسْنَ التدبير ؛ فاذا جانبته وسلكت في اليسير سبيل الإضاعة كثرت الرغبة إليك فيما لا يأذن الرأى [١٥ ا] فيه ، واحتج عليك عافيك(١) وقاصدك بما فرط منك ، واكتنفك من خاصتك مالا تدفعه إلا بأكثر مما تبذله .

واعلم أن حاصل المملكة إذا كان بازاء مؤونتها ، كانت كالسفينة في وسط البحر التي قد أُحْكِمَ أمرُها على هدوئه ولم يؤمن عليها الغرق في اهتياجه . وإذا كان حاصلها دون ما يلزم لها ، حملت قومها على قبح المماطلة وقوة المحاجزة وعدلت بهم عن تدبير أمرها إلى المطالبة بالعاجل منها ، وأخطرت بدمائهم وأموالهم فيها ، وكان ما يجرى من سعتهم مفسداً لأمرها في مستقبل الأزمنة ، وهذا أقبح ما يستعرض في الممالك . فأما أن يكون حاصلها أكثر مما يلزم لها فهو أوضح صلاحاً من أن يحتاج إلى تمثيل أو تعديل لواحق . وقد شبَّه بعضُ متقدمينا ما كان حاصله أكثر مما يلزم له : بأجساد الأحداث التي توجد بالنمو زائدة على ما كانت عليه ، وما كان حاصله مكافئا لما يلزم له : بأجساد الكهول التي [١٥ ب] قد ارتفع النمو منها وقاومت سورة الانحلال فيها ، ومن كان حاصله مقصراً عما يلزم له : بأجساد مَنْ هَرِم من المشايخ فان النقص والانحلال مستولٍ عليها والتماسك بعيد عنها .

واعلم أن أكثر آفات المال شيئان يعتقدهما الجاهل بِقدره(٢) من مِلاكه : أحدهما أن حق المال الإنفاق وأن مالكه إن لم يصرفه فيما تتطلع نفسه إليه من شهواته في حياته ، وإلا حظى غيره بما شقى به منه في وفاته ؛ والثانية ما يرجوه من سرعة الخَلَف في إنفاقه. وهذان الاعتقادان فاسدان إلا في اليسير ، لأنه ليس حق مالك من المال الإنفاق ، وإن كان إنفاق ما تدعو إليه الحاجة منه حسن الغناء ، لكن في المال قوة سمائية تصرف قلوب الناس إلى صاحبه وتحملهم على تعديله وتكميله والثقة به في جميع متصرفاته ، ومعه تنزيه صاحبه عن التذلل وصيانته من رق الحاجة

---

(١) العافى : كل طالب فضل أو رزق ، كالمعتفى . (٢) أى بقدر المال .

وبُعْد صوته فى الآفاق [١٦ ا] بالنزاهة . وإنما يشبه المال لصاحبه فضل القوة للإنسان التى إن احتاج إليها منعت منه ، وإن استغنى عنها صانها إلى أوان المدافعة عنه ولم يَتَهَلَّكْ فى إفسادها وإخْلاقها(١) . وليس من حق نعمة الله عليه فيه أن يجعل ما جاءه به منه ذريعة إلى خلافه فيسلط عليه شهواته المردية ولذاته المُخْلِقة(٢) وبسطته بها ، ولكنه يأنس بحسن مجاورته ويصرف إلى ما اكتنفه من حقوق الله عليه سعيه منه ، فإنْ لحقه أَجله لم يضرره مَنْ صار إليه بعده . فأما التأميل لسرعة الخلف لما ينفق منه ، فإنما يُرجَّى عند إنفاق ماقاد الحق إلى إنفاقه وتكفلت الشريعة بالمثوبة عليه من محنة تلحق صاحبه فيه أو إغاثة لذوى فاقة بشىء منه . فأما ما خرج عن ذلك فأَوْلى الأمور بصاحبه أن ينتقل عن انتظار خلفه إلى تجديد التوبة مما أنفق فيه والإقلاع عنه .

واعلم أن إنفاق الأموال يحيي موات ما انصرف إليه ويُعظِّم صغيره ؛ فان كان فى عائد [١٦ ب] المملكة كان كالماء المنصبِّ إلى الأشجار المثمرة والمزارع الزاكية الذى يخصب بمصلحتهما الزمان وتُمْرِعُ البلاد ؛ وإن كان فى غير عائدها أنبتت ما يضر نَبَاتُه ولا ينفع رَيْعُه وبُسوقه . فكن فيه كالطبيب الحاذق الذى يضع الدواء حيث يكون الداء — يَحْسُنْ فيه أثرك ويَطُلْ(٣) فيه استمتاعك .

فيمن يرتبط بحضور المجالس ويرتاد من العلماء

واستخلِص طائفة من أبناء النعم والسِّيَر لحضور مجالسك . وليكن منهم للمجالس العامة : مَنْ عَظُم قدره وبَعُدَ صَوْته وظهر يساره وكان منتصباً للفُتْيا وموضعاً للمشورة ؛ — وللمجالس الخاصة : من رق طبعه وقويت معرفته بما تحتمله تلك المجالس وطال تفكره وبُعْد غوره ولطفت حيلته وغزر علمه وحسن استخراجه وكمل

(١) أخلق الثوب (بفتح الباء) : صيره باليا . (٢) ص : لشطنيه بها (!) .

(٣) ص : يطول .

فهمه وكبر عقله وجمع من آداب الناس وسير الملوك ومآثر الكرماء [١٧ ا] وذخائر الحكماء ومحاسن البلغاء من الأشعار النادرة والأخبار المؤنسة والأمثال السائرة ، وكان معه من كل مايتسترّ به الملوك من العوام نصيب وافر وحظ مؤنس .

واغْنِهِم عن غيرك تَصْفُ لك ألبابهم وتغزُرْ لديك فوائدهم وتُعْتِقْهم من رق من قصر عنهم . — واعلم أن مواقع العلماء فى مملكتك مواقع المصابيح من دارك ، فان إضاءتها على حسب تعاهدك (١) إياها . ولا تشغلها بالكدح فى معايشها ، وأصبها بما يفرغها لتحبير ماتحسن به أيامك وتفضل به دولتك . واذكر ماقيل : « شر الأزمنة زمانٌ شُغِلَ فيه العالِمُ عن عِلْمه وتفرَّغَ فيه الهازِلُ لهزله ، وأَجْدَتْ (٢) فيه الرذائلُ وأَكْدَتْ الفضائلُ » — فان بمثله تختم الدول وتدال الدهور .

فى العدل والنزاهة وترتيب الأشراف وحسن التدبير والاستخدام وذم السَّرَف

[١٧ ب] واعلم أنك إن استعرضت السَّرَف فى الشىء لم تجده مستولياً على جميعه ووجدت نقصانه فى تفصيله ؛ وإن استعرضت العدل رأيته مشتملا على جملته وشائعاً فى صغائره — فتلقَّ الأمور به يحْسُنْ انقيادها لك وانصرافها إليـــك . واعلم أن بقاء ذكر الملوك بحسب ماعمروه من البلدان وحفروه من الأنهار وأحيوه من سُنَن الدين وبسطوه من العدل ، وأن فضلهم على من يأتى بعدهم بتوطيدهم لهم أمور المملكة وتوفير ما خلفوه من ذخائرها وأصلحوه من آداب عوامّها وخواصها. فاجتهد فى (٣) إحكام هـذين يجتمعْ لك بعْدُ الصوت فيهم والفضل عليهم . واعلم أن أفضل الملوك من نطق بالحجة وهو قادر على الإضامة (٤) ، وبَذَل الإنصاف وهو يطيق السطوة ، وأن العبيد تختار رأفة المــوالى على يسارها ، والأحرار أصعب (٥) على ضيم.

---

(١) لعل صوابها : تعهدك . (٢) أجدى الأمر : نفع وأغنى. وأكدى : أجدب ، لم يظفر بحاجته
(٣) ص : على . (٤) ضامه حقه ، يضيمه واستضامه : انتقصه ، فهو مضيم ومستضام .
(٥) ص : أضعف .

الملوك منها . واعلم أن العدل عند الرعية أن يُسَوَّى بينها وبين أهل المنزلة العَلِيّة في الحال ، والعدل عند أهل [١٨ ا] المنزلة العلية سياقة العامة بالصَّغار(١) إلى موافقة الرؤساء ، وكلتا الطريقين فجائرتان . فليكن وَكْدُكَ فيهما مجاهدة الاعتقادات الرديئة منهما حتى يرجعا إلى الحق . واعلم أن حَسَد المَلِك يخفي بهجة المملكة ويخرج خاصتها وعامّتها في أقبح معارضها ، لأن الحسد يغلب على من صغرت همته من الملوك وقارب الأتباع في السجية ، إذ كان التابع يلتمس القدرة على الحال التي يتغشاها الحسد ، والملك الفاضل يؤثر القدرة على صاحب تلك الحال ، والملك له وبينهما كثير.(٢)

واعلم أن يسار رعيتك وعظم أخطارها يزيد مملكتك شرفاً وذكرك جمالا ، وأن فاقتهم وذلتهم تغض منك وتقصر بك ، فَغَلِّبْ أليق الحالين بمحلك وأحسنهما أثراً في جاهك وصوتك . واعلم أن كرامة الجور دائرة وكرامة العدل باقية ، وأن الغلبة بالخير فضيلة ، والغلبة بالشر جَلَد . فاختر لنفسك فضيلة الغلبة وبقاء الكرامة ، واطلب مع علمك للشيء عملك به ، فان لكل أمر محمود فعلين : أحدهما اكتسابه [١٨ ب] والآخر استعماله وحسن الاستمتاع به — فلا يشغلنك ما جمعت عن حسن استعماله ، فتحلَّ بأفضل قِسْمَيْ ما ملكت وأنفس شِطْرَيْ ما حويت . واعلم أن الطاعة تنقاد للقسر ، والمحبة لا تنقاد إلا للعدل ؛ فَغَلِّبْ العدل على رعيتك تظفر منهم بالمحبة الباقية بعدك ، وتجنب ظهور رذيلة في مملكتك وإطلاق حمايتها لأحد من حامّتك(٣) ، فان الملك لا يوصف بشيء من أفعاله الخاصة به وإنما يوصف بما يَظْهَرُ في رعيته : فيكون كريماً ما غلب الكرم عليهم ، وبخيلا ما شاع البخل فيهم . ومما يؤكد هذا ما ثبت وقيل : إن المسكين من الملوك مَنْ عَزَّتْ المطالبُ على

(١) الصغار (بفتح الصاد) : الضم ، الإذلال .

(٢) أي أن بين الملك والتابع فارقا كبيرا فلا يخلق به أن ينزل إلى منزلة التابع في الحسد والطباع .

(٣) لعلها جمع حائم : أي : الحائمين حولك ، اللائذين بك . — أو لعلها : حاشيتك ؟

خيار رعيته وقَصَّرَتْ أحوالهُم فى أيامه وإن كان كثير المال مستقيم الحال . واعلم أن غلبة الحاشية عليك بمقدار ما غَلَبَ فيك ، فان كان خيراً كانوا خياراً ، وإن كان شراً كانوا شراراً . فتنكَّبْ أن ترفع منهم ذا نقيصةٍ فتبعث به لسان الذم عليك، واحذر الطارئ على مملكتك من خواطرك فانها خوارج عليك قريبة منك [١٩ ا] ولا تطلق منهم على خاصتك وعامتك إلا ما اكتنفه العدل وشايعه الفضل. واطاب فضائلهم لمهماتك ، فان لكل شخص منهم موهبة من ربه عز وجل . وإن اضطررت إلى استخدام رذيلة فى أحد ، فليكن ذلك من غير ملابسة له لئلا يعود عليك من أضراره أكثر مما لحقك من أرفاقه (١) .

واعلم أن حسن القيام بالشريعة وحمل الناس عليها يحسم عنك مَنْ قويت نكايته من الخوارج ، لأن أكثر الخوارج يسلك إلى الممالك من تضييع السنن وظهور البدع ويستصرخون بصالحى الرعية . فاصرف وُكْدَك إلى تقويم الشريعة وحمل الناس عليها ، وتزيَّنْ بخدمتها ولا تحتمل لأحد تقصيراً فيها وابتداعاً فى شىء منها . وإذا حزبك أمر من عدوك فاقرِضْ له أيدى الأقوياء وألسنة الضعفاء . ولتكن ثقتك بالله فيه أكثر من ثقتك بقوة ملكك وكثرة جمعك ، فان الإخلاص له يهدى إليك فى أكثر الأوقات نصراً لاترقبه عقول الناس . واستشعر حسن الظفر بمن يناوئك ، وجميل السيرة [١٩ ب] فيما غالبك عليه ، فانك وإياه فى قبضة من يغلب أصلح الفئتين وأرأف المساندين . والتمس سَلْمَ من شاقَّك بنفس ما انبسطت يدك إليه ، فان فاء إليك كان فى حقن الدماء وصلاح الحال فيما غالَبَ (٢) عليه عِوَضٌ لك . وإن لم تقبل ذلك ، قلدته من البغى ما تكبو به مطيته ولا يؤمن معه زلله ، فان خادم الصلاح محروس وجانى الفساد مطلوب . واستَشْهِد فى كل يوم سيرةَ من ناوأك واجتهد ألا يسبقك إلى صالحة . واستعلم ما يتقوله عليك من القبيح . واحرص أن يشيع عنك إليه من الجميل ما يكذبه . واعلم أنه ربما ظهرت لك أفعال لايضطلع

(١) الأرفاق : المنافع .　　(٢) ص : ما غلب .

بها من أطاف بك فيغرق فى مدحك . ولا تتلقَّ منـــه بالقبول إلا ما رأيتـه مُعْجزاً لأهل طبقتك ممن عظم ملكه وجلّ قدره . واحذره أن يقبل منك إلا ما كان فيـه فضل عنك ، فان قبوله يرضيك عن نفسك ويريك أنك مستغن عما لعلك فقير إليه . ولا تتلقَّ مذنباً بفرط الحميّة . واذكر عند تحرك غضبك عليه ذنوبك إلى خالقك — عزّ [١٢٠] وجلّ — . وحاجتك منه إلى ما يحتاج إليه منك ويسألك الحدود ممن تجب عليه برفق ورأفة . واعلم أن ذنب المذنب وتقصير المقصر أجلساك فى مجلس الحكم عليهما . ولو كان جميع ماترعى على مثـل منزلتك لاستغنى عن قيامك به وإشرافك عليه . وانظر إلى مَنْ كَرُمت أعراقه وطاب خِيمه (١) . فان كان قد جمع إلى شرف أصله شرف نفسه ، فأكرم مثواه وأَجزل حباه (٢) وارفعه إلى أفضل منازل مكاثرتك . وإن كان قد أغفل نفسه واعتمد على أسلافه ، فلتكن منزلته من رأفتك وبرك أكبر من منزلتـه من مجلسك وحسن المحل عندك ، لأنه يجتمع له عليك للأول قضاء حقه وحق سلفه والَحيلة (٣) فيما تستقبل منـــه مما تسند إليـه ، ولا يلزمك للثانى إلا قضاء حق سلفه إذ كان مجانباً له وميؤوساً من الاضطلاع بما تؤثر عنده ، وتَغنَّم (٤) هدنة الأيام لك ونوم الأحداث عنك ، فتشاغل فيهما بحسن الاستعداد لما لايؤمن بغتُه لك وهجومُه عليك : — مِنْ عَرْض جيشك ورَمِّ قلاعك وحصونك [٢٠ب] وحفر أنهارك ، والنظر فى أمر بلدانك ، والاستقصاء على من شغلت عنه من عمالك بما هو أعظم قدراً من إهماله ، وإنجاز ما سوَّفتَ به من العقوبات لمن حالت التقيـةُ عن استفساده ولم يأذن الدين فى الإمساك منه . واحذر أن تشغل هذه الأزمنة بلذاتك فتضطر إلى معاناة ما حَزَبَكَ فى إبّان هجومه عليك ، فان الترياق لاينتفع به من عاناه فى أوان اللدغة ، وإنما يحظى به من سبقه بصنعته . واعلم أن مخاوف دولتك تنشأ مما خرب من قواصى عملك ولحقـــه الحرمان من رعيتك . فقدِّم العناية بهما

(١) الخيم (بكسر الخاء) : السجية ، الطبيعة . (٢) أى حباءه : عطاءه .
(٣) الحيلة : القدرة على التصرف فى الأمور . (٤) تغنم واغتنم واستغنم الشىء : عده غنيمة .

تأمن غوائلهما ، واردده إلى جماعتهم بما إن قصر عن تأميلهم لم يقصر عن إقامة الحجة عليهم . ولا تحفل بما اتسق لك من أنواع التريف (١) ، فان الملك الفاضل يكون التذاذه فى أن يُطْعِم ويَسْقِى ويُلْبِس ويُقْنِى أكثر من لذته فى أن يأْكُل ويشْرَب ويقتنى . والموحد (٢) من عامته يشركه فى أحدها ويعجز عنه فى الآخر . ولا تطلق لأحد أن يتكهن فى مملكتك ولا يدعى علم شىء مما هو كائن [٢١ ا] فان ذلك يبعث سوء القول فى أيامك ويطلق ألسنة المرجفين بك . ولا تبسط تدبير من لا تثق بمعرفته من الأطباء على أبشار المرضى ، وارحمهم منه ؛ واعتمد فى أمرهم على من حسن تدبيره وكثر صوابه وطابق علمُه عملَه وكانت العفة والنزاهة غالبين عليه . وأنِلْه من فضلك ما يفرّغه لحسن التدبير ويعصمه من العدول بالمرضى إلى غير قوانين الطب . — ولا تطلق الجدل إلا لمن استحق الفتيا فيما جادل عليه : من متفقه فى دين أو عالمٍ بصناعة قد استقرى خواصها وناضل عنها بمعرفة بها . وأما من قصد لمعارضة دين أو إفساد مبانى علم من العلوم من غير خدمة له ، وطالب بالدلالة على ما يعجز عن تصوره ومرتبة التصديق به ، فأَذِقْه من بأسك ما يمنعه عن سوء الخوض ، فانه يفسد عليك النشوء ويخذل الأحداث عن خدمة الأديان والعلوم والمعايش ، ويريهم أنه قد أعتقهم من رقّ الزلل ؛ وإنما تَعَبَّدَهُمْ للشكوك وحرمهم الارتياض بما ينفعهم فى الدنيا والآخرة ، وهو أضر ما فى مملكتك وأسوأ بهم أثراً فيمن أصغى [٢١ ب] إليه . وإذا استعجم عليك طَبْعُ أحدٍ ممن أطاف بك ، فاقدحه بالمشورة واجعلها فيما يقلُّ فيه نصيبُ العادل ويغزُرُ نصيب الجائر ، فانه يرضى لك ما يرضاه لنفسه عند إمكان قدرته وتسلط يده . ولا تجعل للذِمامات (٣) سبيلا إليك فى تخطى لازمٍ وإغماض على واجب ، فانهما يفسدان عليك حسن الاختيار ويقيمان حجة المستصرخ . ولا يروقَنَّك مُسْتَحْسَنُ حقّرَ وِرْدُهُ صَدَرَهُ وباين

---

(١) التريف : اتخاذ الترف والزينة . (٢) كذا ! ولعلها : الواحد .

(٣) الذمام : الحق ، الحرمة .

ظاهرُه باطنَه وكان نصيب الحسن أكثر من نصيب العقل فيه . وكما أنه لايحسن بمن ملك داراً أن يكون وُكْده فى الاكتساب بخرم (١) أنقاضها وتحيُّف شمله فيها ولكنه يطلب الأرباح ويبتغى الفضل من غيرها وعند من < لا > يعدمها ، فكذلك لا يحسن بالملك أن يكون اكتسابه من تخريب بلدانه واستنزال رعيته عن أموالهم وإعناتهم فيها ، لكنه يكون من غزوات الممالك المعاندة له ، واحتياز (٢) المدن الخارجة عن طاعته ، وعمارته بلداته حتى يزيد قائمها ويتضاعف عائدها .

واعلم أن أسراك [٢٢ ا] عبيدٌ سبَاهم لُطْفُ خالقك بك ، فأعطِ مَنْ أنعم عليك بمحبتك منهم ما أحب من العفو عنهم والإحسان إليهم ، فان ذلك يدعو غيرهم على الجنوح إليك ، ويفسد نياتهم على من ناوأك .

واذكر الوصية : " يأيها الإنسان ! إنك تجد عند الله ما أودعته إذا اختانك من وثقت به ، وضيع وديعتك من استنصحته . وادَّخِرْ عنده الإحسان إلى من أساء إليك ، فانه يتكفل لك بالنصر عليه ويكون بينك وبينه " .

واعلم أن كل فضيلة (٣) هى بين رذيلتين : إحداهما تتجاوزها والأخرى تقصر عنها . فسدِّدْ سعيك فيما آثرت العمل به من الفضائل ، تأمَنْ الوقوع فى الرذائل .

وتلَقَّ بدء نهارك بذكر الله عز وجل والعمل له ، واختمه بمثل ذلك فان هذين الوقتين يمحصان ـ مابينهما من ذلك ـ فِعْلَك . وتوسط فى تدبيرك ، ولا تظلم يومك لغدك ولاغدك ليومك ، واجعلهما (٤) كعِدْلَىْ المسافر فانه يلقيهما رجحانُ أحدهما على الآخر .

واعلم أنك مع كثرة حُجابك وبُعد الوصول إليك بمنزلة الظاهر لأعين [٢٢ ب] الناس ، وأنه لا يستتر عنهم شىء عملته لشدة بحثهم عن أمورك وكثرة مَنْ يهدى إلى خاصّة ما جرى فى مجلسك . فاعمل فى سِرّ أمرك مالا تستقبح أن يكون ظاهراً لهم ومنكسفاً من فعلك لديهم .

(١) بغير نقط فى ص . والتحيف : إيقاع الظلم .   (٢) ص : اختيار .

(٣) هنا نظرية أرسطو فى الفضيلة وأنها وسط بين رذيلتين .

(٤) ص : واجعلها . — والعدل (بكسر العين) : نصف الحمل ، والجمع : أعدال وعدول .

واعلم أن الألســنة محبوسة عن ذكر معايبك ما كانت فى ظل نهيك وأمرك ، فاذا زالا رجَعَ كُلُّ مُحْسِنٍ إلى حقيقته . واجتنبْ الركونَ إلى تزييف ما قبح منك، واستدرِكْ فى حين سلطانك ما يُنْكر عليك فان الراجع إلى الحق أحــد المصيبين . وإذا آثرت إمضاء شىء من أمورك فشاوِرْ فيــه من ذوى الحُنْكة وجميل المذهب مَنْ يلزمه خيرُه وشره . واستحضر آراءهم لترتهنهم بها ، فاذا استقر الأمر على أفضل ما قاد إليــه القياس ...(١) وخلوت بربك عز وجل فيه ورغبت إليه فى تتميمه لك بالتوفيق الذى لاتصل إليــه بعقلك ولا تبلغه بحولك . واعلم أنك بين الله وبين رعيتك ، فصانعه — تبارك اسمه — فيهم بالإحسان إليهم ، يُحْسنْ إليك ، وبالعفو عنهم يَعْفُ عنك . واذكر الوصية : «يأيها المغتر بملكه ! خَفْ [١٢٣] مَنْ فوقك يَخَفْكَ مَنْ دونك » . وغَلِّبْ الشجاعة فى جيشك وحسن الرأى فى خدمك والعفة فى عمالك . وليست الشجاعة الإقـدام ، ولا العفة غلبة الســلامة والغفلة على الإنسان ؛ ولكن الشجاعة ثبات التميز وحسن التماسك فى أوان الخوف حتى لايكون بين حال صاحبه فيه وفى الأمن كثيرُ تفاوتٍ فيُقْدم أو يُمْسك على بصيرة وثقة . فأما الإقدام بغير تماسك فهو تهور . — والعفة اقتصاد الشهوات ووقوفها على الحد الذى يطلقه الرأى لها .

واعلم أن عدوك من أتباعك والمطيفين بك من زادت مؤونته على مقدار نصيبه منك ؛ فتأمل مقداره واجْزِهِ ما شغلته به ؛ فان كانت دون استحقاقه وفيه فضل على ما صرفته إليه فأنت ظالمه . ومن الحق أن تنقله إلى ما يوازى محله ويَصلح به حاله . وإن كان فى حقــه وفوق منزلته فهــو ظالم ؛ فاستصلحه بحسن الأدب ، ولاتترك له حجةً يجدها فى أتباعك بأن تضع كل واحد منهم إلى مرتبته من الكفاية ، فانك تأمن فتنة الناس بهم وتسلُّقَهم عليك بما يصل إليهم .

---

(١) هنا بياض صغير فى المخطوط بقدر نصف سنتيمتر .

[٢٣ ب] فى التمسك بالعمل مع إقبال الحظ

ولا يحملنك انتظام الأمور لك ومساعدتها إياك على الاستهانة بالعمل ، والاعتماد على الإقبال ، فان الاقبال شبيه بالمطر الذى يجمعه الرجل ويضعه مواضع الانتفاع به ما قدم الاحتياط فيه من إصلاح صهريجه وإحكام مجاريه وشق أرضه وإلقاء بذره . واذكر ما قيل : «إن الله جعل الصناعات متممات لما عمّ به خلقه من فضله وكانوا سواء فيه من جوده» . فالمقدار للعمل بمنزلة الروح للجسد الذى لاتتم حياته إلا به ، والعمل كالجسد الذى ينقل المقدار من عمومه إلى خصوصه . وقد مثل بعض الحكماء المقدارَ والعمل فجعل المقدار شبيهاً برجلٍ يبصر ولا رِجْلين له ، وجعل العمل بمنزلة رجل مكفوف ضابط ذى رِجلين فاذا تضافرا[1] حمل المكفوف منهما المبصر فسار المبصر برجلى المكفوف ، وسار المكفوف بهداية المبصر . وإن تنافرا وانفرد المكفوف [١٢٤] عنه تكهم[2] طريقه ولم يكن على ثقة من مسيره ، وكان المبصر مقيما بمكانه غير معتمد لسَعْيٍ[3] إلى جهة من الجهات .

ومما كان يتدارسه الأوائل : « ما أعطى البختُ أحداً شيئًا إلا سلبه مِنْ حُسْن الاستعداد أكثر منه » . — فأَحْكِمْ الأعمال بحسن الروية[4] ، واستدع التوفيق بجميل النية .

فى الشح على الزمان وقسمة أيام العمر وما فى عصيان العمل ووضع الرقة فى مواضعها

واقسم يومك بحسب أجزائك ودواعيك الضرورية ، فأَعْطِ أفضلها[5] منه أوفر مما تعطى أخسَّها — يسلَمْ لك اختيارك وتستحكم على الصواب أمورك . واذكر ما قيل من الحكمة : « يأيها الإنسان ! ينبغى لك أن تستحيى من جزئك الذى خصصت به وفُضِّلْتَ به على البهائم . فلا تكن مثل النمر فى غضبك ، والعصفور فى نكاحك ،

---

(١) ص : تطافرا . (٢) تكهم الرجل : بطوء عن الحرب والنصرة ؛ وأكهم بصره : ضعف وكل . (٣) ص : يسعى . (٤) ص : الرؤية . (٥) ص : فضلها .

والكلب فى شرابك وطعامك !» . ومن أحمد الأمور [٢٤ب] بك أن تقدم الاحتياط فى إنفاق ساعات زمانك أكثر من تقديمك الاحتياط فى إنفاق مالك ، لأن الذى يمضى من المال قد يُسْتَخْلَف ، وما يمضى من الزمان لايرجع .

واعلم أن أعظم الأعمال حُوباً عصيانُ العقل فى الأمور التى يأمرك بها ، واستخدامك إياه فيما نهاك عنه ، فانك تجمع إلى مخالفته الموبقة إفسادَ نفسك ووضعَ عظيم الأمر لصغيره وجليله لحقيره . واحذر أن تحملك الرقة على أحد مملكتك إلى الخروج عنها فى غيره ، فانها تتحرك فى الطباع السليمة والنفوس الفاضلة لما لحق الإنسان من مكروه فى نفسه وذات يده وهو غير مستحق له . فأما إذا استحق ذلك فى حكم الشريعة والعقل ، فالواجب عليك أن تصرف الرقة إلى من حكَما(١) له عليه بذلك المكروه فهو حقيق بها . واذكر ما قيل : «إذا(٢) رحمت الظالم فاذكر المظلوم !»

فى ترك الإغماض عن الصغير من الأمور وإمساك الألسنة عن سوء الخوض وما يجب أن يكون عليه عماد الاختيار فى المحاربة

[٢٥ا] ولا تحقرنَّ صغيراً من الفساد إذا كان محتملا للزيادة ، وعاجله قبل وشوجه(٣) وبسوقه ، واحبس ألسنة جنودك عن التحالى بذكرك وتهددهم وتواعدهم عليه ، فان سوء الطاعة يظهر أولًا فى الأعين ثم فى الألسنة ثم يحرك الأيدى بالمجاهرة . فابعث على عمالك وقاضيك عيوناً يُنْهُون إليك ما وقفوا عليه من زللهم وتجوزهم وما شجر بين رعيتك وبينهم . وحَذِّرْ مَنْ وَكَلْتَه بذلك ألا يُنْهِى إليك إلا ما يقوم بتصحيحه(٤) وبرهانه أو يلزم أحداً(٥) مؤونة فيه وتَوَعَّدْه عليه بغاية العقوبة . واعرض ما أُنْهِى إليك منهم على خبرتك بمن رقى إليك عنه وظنك فيه وما صححه

(١) أى الشريعة والعقل . (٢) ص : فإذا .
(٣) الوشوج : الاشتباك . والبسوق : النمو والزيادة .
(٤) أى : إثبات صحته . (٥) ص : أحد .

الرافع عليه، وأَمْضِ أمره بما[1] يوجبه العدل له وعليه . وإن عثرت على عين من الأعين منهم بِطَىّ[2] أخبار أو بقولِ كذبٍ ، فعاقبه على ذلك عقوبةً تردع مَنْ سواه عن سلوك نهجه وتجنب استعماله .

فى المحاربة

ولا تثقن نفسك فى قتال عدولك حتى تظفر بهواك وغضبك . [٢٥ ب] وليكن خوفك من تدبيرك عليه أكبر من خوفك من تدبيره عليك . واعلم أن أشدَّ من نجم عليك قتالاً مستنصرٌ فى مِلّة أو منتصر من ذلة أو غيرانُ على حرمة أو مطالب بوتر[3] ؛ وأن أسوأهم أثراً فى دولتك مَنْ أوصل إلى جيشه أكثر مما فرضه الحقُّ عليك لجيشك وسامح رغبة ما غلب عليه بأزيد مما أوجبه العدل لها ؛ وأن هـذا يصرف نيات خاصتك وعامتك إليـه لأنه لا يقف منهم على فرق ما بين سيرة العـادل والظالم المستدرج إلا نفر يسير . واعلم أن نجم[4] الناجم عون لك عليه ، وسـوء سيرته أدل شىء على قصر مدته ، لأن زمان المستخدم فى الفساد أصغر من زمان المستخدم فى الصلاح . وكيف جرى أمر الناجم ، فان أصحابه لايحتملون ذل الطاعة ولا يصبرون على شرائط القيام بها . ولوكان لهم جَلَدٌ على هذا لما شاقّوا سلطانهم ولا خرجوا على ملكهم . ومِنْ أصلح ما قوتلوا به استعظام صغيرهم والتيقظ لِغِرَّتهم وانتهاز الفرص فيهم ومطاولتهم حتى يشظِّيهم[5] التنافس وتمحقهم مجالدة [١٢٦] التعزز وحراسة مالم يصلوا إليه واستدعاء المتكبر منهم على رئيسه ، وضرب بعضهم ببعض — فان هذا أصلح من مناجزتهم لأن قتال المستقتل أشد من قتال الوادع ، ونكاية الخائف أعظم من نكاية الآمن . وقد شبه بعضُ الحكماء الخوارجَ بالماس الذى يقطع

(١) مكررة فى ص . (٢) أو : بطىء إخبار . (٣) وتر : ثأر .
(٤) أى : ثورته وتمرده . (٥) أى يفرقهم ويشق جمعهم . وشظيت القوم تشظية أى فرقتهم فتشظوا أى تفرقوا ؛ وشظى القوم : اذا تفرقوا . قال الشاعر :

قصده عن لعلع وبارق   ضرب يشظيهم على الخنادق

أصلب الأحجار ويشظّيه أضعفُ الأجسام . ومراوغة الناجم والتضريب(١) عليه أحد من مكافحته ، لأن مكافحته تأتى على جماعة من الرجال مُعْرِقين فى الطاعة قد أحكموا خدمة السلامة وحسنت مجاورتهم للرعية وجمعوا بين الانقياد للمعدلة والإخطار بأنفسهم فى المجاهدة . فتلطف لهم تلطف المتطبب الحاذق الذى يتسلك إلى الفضل الهائج من البدن، فانه يُقَدِّم قبله حِفْظَ قوة المريض وصيانة نفيس أعضائه . وإن أغفلت هذا وغلَبْتَ الناجم بتمحيق رجالك ، ازداد سوء أثرك على مقدار السرور بظفرك . واذكر ما قيل من الحكمة : « البخل يحسن فى أربع ويقبح فيما سواها ، وهى : الدين ، [٢٦ب] والحزم، وأيام الحياة ، والمقاتلة » .

واعرض على الناس بالصفح عنه إن جنح إلى طاعتك، والإيثار له ورفع محله. واحذر أن تسمح له بتقلُّد البلد الذى خرج فيه ، فان هذا ‹يُعَدُّ› قدحاً عليك وتمعيراً(٢) لمنزلتك . واحترس من كيده فانه يفكر فى سهوك لغلبة الحذر عليه ولأنك أكبر همه وليس بأكبر همك لتشعُّب فكرك فى أقطار مملكتك واجتماع فكره فيك . وقد قال بعض الحكماء : « احذر فلتة المرتاب فانها تزيد على سطوة الواثق » . وليس فى النجوم(٣) إلّاسكونُ قلبك إليه من انجذاب أحد من أصحابك إليه لجهتين : إحداهما إيثاره استخدامهم ، والأخرى أَنَفَتُهم من خدمته لعجزهم عما يتحمله أصحابه من المكاره .

وينبغى أن تسلك فى مجاهدة مَنْ أعرق فى الرياسة واضطلع بتدبير المدن: أنَّ قَصْدُك غيرُ هذا المسلك من بث الجواسيس فى عسكره وإظهار الكتب على ألسنة خواصه بطلب الأمان منك وتضمنهما ما صح عندك من أسراره — ولتحمل هذا جواسيسُه إليه فيضطرب [٢٧ ا] أمره ويرتاب بمن كان يثق به — ومكاتبة من قدرت

---

(١) التضريب : الإغراء والتحريض والتأليب .

(٢) مهملة النقط فى ص . — والتمعير : الإقفار والسلب .

(٣) النجوم : التمرد، الفتنة، العصيان .

إجابته فى جيشه من كاف حَزْم. فاذا صح عندك زيادة عدّتك وعُدّتك، فكِدْه بقطع الميرة عنه وأخذ المياه عليه ومنع المعابر منه . وكأنّ إطلاقك لذوى البصائر من جيشك ناهضةً(١) بانشراح صدر واجتماع فكر. حتى إذا تمت كلمة الدين وطال ظله وغلبت على الأمصار دعوته، انتقل التدبير من التفرد بالجهاد إلى سياســة الأمن وإصلاح أمر البلدان بما تستقيم به . ولم يجز أن يكون جميع من فيها مجاهداً فيلزم ذلك النظام ، لأن فيها فرقة تَذُبُّ وأخرى متشاغلة بالصـناعات المستعملة لهـا ؛ وطائفة تُجَهِّــز إليها ما بهـا حاجة إليـه وتمير غيرها بما فضل منها ؛ وفريق منهـم يستخرجون وظائف الشريعة من المزارع والثمـار والأموال فيُنفَق بعضـه فى أعطية جيشها ومصالحها ، ويُدَّخر بعضُه خوفاً من تقصير تلك الوظائف ببعض مالا يؤمن من الحوائج . وليس جميع ماعددناه على حسب ما ظهر به [٢٧ب] الدين فيستووا فى الأعطية . —

وقد جرى مجرانا فى تدبير المُــدُن بعضُ من ظهر به الدين بعــد أن وضعت الحرب أوزارها وانتقل إلى البلدان فلم يعطل منها شيئًا يحتاج أهلها إليه ، واستقرى من ذوى الخبرة ما جرت به العادة فى مصالحها ، فأتاه وعمل به . ولكل حالٍ من الأحوال سياقةٌ يستعملها العادلُ ولا ينبو عن حكم الدين فيها . إلا أن هذا الجاهل بالترتيب لمـّا تقشّف ظَنّ أنه قد بلغ منزلة من قام الدين بهم وارتفعت عن الدنيا هممهم وقَصَرَ سَعْيُ من أتى بعدهم عنهم . ولو رآه بعضهم ، لشغل فراغَه عن الطعن على الملوك فى المجاهرة فى الخوف والتشاغل ببعض المعايش المجدية عليهم فى الأمن ونهـاه عن التكثير فى ولاته والإجلاب عليهم فيما لم يبلغه تمييزه، لأن سالك نهجه مارقٌ من الديانة وخارج عن جملة المتبصرين بها . وربما استجاب لمثل هذا الجاهلُ وانضاف إليـه ممن لايتأثر بالحجة من(٢) العـامة خَلْقٌ كثير ومنعتهم خفـة أحلامهم ونقصان تمييزهم عن الوقوف [١٢٨] على مالهم فى ذلك وعليهم . وليس لهذا غير

(١) ص : مناهضة بانشراح . (٢) ص : عن .

مسئلته عما لايسعه جهله من أصول الدين وفروضه وترتيب من قامت به الشريعة فى الفصل وما يعتقده فى ولاة الأمر ، وإخفاؤه المسئلة عن معاشه فى منشأه ، وما لايؤمن معه تكشفه ؛ فان عثر عليه بتقصير فيه عوقب عقوبة المبتدع لتنجم الفتنة به ؛ وتلزم العامة مراكزها ، وتفارق التعدى على سلطانها .

فى صنفى الشرار

واعلم أن فى الشُّرار مطبوعاً على الشِّرَّة ودخيلا فيها . فالمطبوع عليها هو الذى يعتقد أن الذى أومئ إليه وآثره فهو أحق به ، وأن مالكه دونه ظالم له ومتعدٍّ عليه ، ويرى ظفره بكل محظور وصل إليه من حزمه ، وأن شكر الشاكر له حيلة عليه ، والبذل ضعف يعترى مَنْ عجز عن ضبط ما فى يده ، والرحمة خُبْثٌ يغلب على الطباع الضعيفة ، وسوء الظن بالناس أوفى ماقُدِّم ، فهو يطالب بما ليس له [٢٨ ب] ويمنُّ على مَنْ عرفه بالسلامة منه . وحركة مَنْ هذه سجاياه إلى الإضرار أقربُ من حركته إلى الإحسان .

والدخيل فيها رجل غالَبَ فكرُه هواه فرأى الجميل ولم يستطع العمل به ، وعَلِمَ الحَسَن وهو ممنوع منه : فهو يتسنم(١) عند الضرورة ما يتهيبه فى الإمكان ، ويسِفُ(١) فى العوز إلى ما يسمح به فى الجِدَة ، ويرى الحق عليه أكثر من الحق له ، فيشكر القليل ويكافئ عليه ، ويرعى يسير الحرمة ويلقى نفسه لها إلى التهلكة ، ويؤدى الأمانة وإن كان مُخْنِقاً(٢) للجماعة ، ويتجنب الكذب وإن اجترأ على العظيمة ، ويعد نفسه بالتوبة وإن كان قبيح النكاية . — وهذا أقرب الرجلين من أهل الشِّرَّة إلى الاستصلاح ، لأن المطبوع مغلوب وهذا مغالب .

وطالِعْ جماعة الشرار بعين بصيرة وأذن سميعة . والتقِطْ منهم الدخيل فى الشِّرَّة من مجالسيك(٣) ودوانيك وأقاصيك ، فكُفَّه باحسانك وافتنه بتقريبك واجعله رقيباً على

---

(١) بغير نقط فى ص . — تسنم الشيء : علاه وركبه . والجدة : الغنى .

(٢) أو : مخيفاً — وهى بغير نقط فى ص . (٣) ص : مجالسك .

المطبوعين فى الشِّرة ومانعاً لهم من الإساءة . واعمل فى ذلك [٢٩ ا] عمل الفلّاح : فانه يجمع شوك البستان وحشيشه وما لايثمر فيه فيجعله سياجاً على بستانه ويمنع به المتطرقين إليه . وتكون مع هذا متحرزاً ممن ارتبطته من هذه الطائفة ، فان استخدام الشرار يشبه استخدام النار : إن غفل عنها مَنْ أنضجَتْ قِدْرَه أحرقت رِجله !

فيما تحسن به المملكة ويستقيم معه أمر الخراج

واعلم أن بهاء المملكة بحسن حراسة محالّها وأَمْن سُبُلها ، وتسهيل أقوات الرعية بها ، وتجديد ما يتعامل به الناس فيها ، وإحكام ما جرى الرسم باستعماله فى كل حَوْزة منها .

وإنَّ مِنْ فضلك على مَنْ تقدمك من الملوك أن تكون هذه فى أيامك أفضل مما كانت فى أيامهم . وليس يقع فيها خلل إلا لحِقَ جاهك وحُسْنَ الطاعة لك بمقداره . ومن الدليل على هذا ماجاء من الحكمة : « يأيها المتملك الصغير [٢٩ ب] على البلد الحقير فى الزمان القصير ! اجتهد فى حراسة رعيتك من الخوف والقحط ، فبهما يظهر نقصك عندهم ويزول محلك منهم » . ولبعض السلف الصالح : « لا تزال الرعية متهيبة لمالكها حتى يَحِيفها غيرُه أو يعدلَ بآمالها سواه » . فحينئذ تتقاصر هيبته ويصغر ما فى قلوبهم من محله . فان انضاف إلى ذلك عجزه عن المخيف وتقصير عائده من المرجو، خَفتَ أمره وكان ذلك أقوى الأسباب فى خلعه والاستبدال به .

فأما حراسة المحال والسبل من العيب فبتقليد أمرها من يوثق بشهامته وأمانته ويَستحيِ مِنْ وقوع الزلل فيما يتقلده ، وضمك إليه قوماً من الشرار غير المطبوعين فى الشرة من غيرهم ، وتضمين أرباب النعم المجاورة لها المنبسطة أيديهم بها عاقلة (١)

---

(١) عاقلة : دية ، تعويض .

ما حدث فيه، وإلزامهم (١) ما استهلك أو ذهب حتى يُردّ بعينه ويحضر جانيه (٢). فان تخلفه (٣) عن الملوك أقبح مما يفاجئهم من العلل الغليظة. ولقد شهدت جدّك الطاهر الروح، وقد سَرَى بنفسه فى حادث اتصل به على [١٣٠] بعض الرفاق فبلغ الموضع وقد جمع له فيه ما أُخِذَ من الناس بأسره وأَحْضَر صاحب الجناية على الرفقة فقتل جماعة المتلصصة وفرَّق الأمتعة فيمن أخذت منه. فلما رجع إلى كل رجل منهم ما ذهب له واعترفوا بذلك، حمد الله عز وجل. فصاح به رجل من الرفقة معروف بالزهادة: «إذا حمدت الله، أيها الملك، على سلامة رعيتك، فاستغفره من ترويعها من (٤) غفلتك!» فبكى حتى اخضلّت لحيته. ثم دعانى بعد مضى الرفقة فقال لى: إن هذا الناسك قرَّعنى بحق؛ وإن حدث مثل هذا الحادث فى مملكتى اعتزلت أمرها. ثم قلدنى سيادة المملكة فكنت أحرسها بسهر ليلى وهجر الدعة فى جميع أوقاتى، إلى أن أفضى أمر المملكة إلىَّ وسَلِمْتُ — بطَوْل الله ومنّه — من أن يقع مثلُ هذا فى أيامى.

فأما الأقوات وإحكام أمرها فى البلدان فأَنْ تُمْسِك على كل بلد من بلدانك مقدار ميرته لسنة وتوكل الأمناء به حتى يقع مواقع الحاجة، وتَجْلِبَ على ما قصرت غلّته مما فضل عن بعض البلدان مايكفُّ فاقته. فأما ما [٣٠ ب] يتعامل به الناس فان كان ذهباً أو فضة كان على أجود عياره؛ وإن كان سلعة أخرى كانت من أفضل أجناسها، لأن ما رُدَّتْ إليه القيمةُ فى البيوع حقيق أن يكون على أفضل منازله. وقد سبقنا الطَّهَرة الأرواح إلى إحكام هذا وخَلَّوْه لنا مكفىَّ المؤونة بعد أن التزموا له مشقة من المال والسعى والإخافة لسائر الناس. فخذ بحقه ولا تغفل فيفسد ما صلح وينتقض ما ابرم. ومن المأثور عن السلف الصالح رضى الله عنهم أنه:

---

(١) ص: إلزام. (٢) جانيه: أى الفاعل لهذه الجناية.

(٣) أى: تخلفه فى النهوض بذلك عن سائر الملوك أقبح من الأمراض الخبيثة التى تفجأ الملوك.

(٤) من: بسبب.

« ما اعتمد أحد من الملوك إفساد ما يتعامل به الناس فى مملكته وتجوّز فى أمره إلا سقطت منزلته وتقرّض نسله» ، لأن ماردت إليه قيم الأشياء يشبه الملوك فى جلالة الخطر ، فيكون صلاحها وفسادها على ما ترى من صلاحه وفساده .

وينبغى أن يجرى الأمر فيما تجهز من البلدان التى فى مملكتك على الرسم الذى تقدم تحديده فى تضمين أعلام كل حوزة ما ضمناهم ، وثبت فى ديواننا عليهم من الذرع والحوك والوزن وجميع [١٣١] ما تحدُّ به ذلك . ولا تدع فيه مستزاداً(١) لغيرك فيفوز بالفضل عليك فيه .

واعلم أن أموال رعيتك محظورة(٢) عليك ، وأنه لايجوز لك أن تعترض منها إلا ما قدح فى دولتك أوساء به جوار ضعفاء رعيتك . فأما قدح ذى المال من الرعية فى دولتك فبأن يخرج هو وولده وشمله من تحسين الأبنية والمراكب والملابس والتحريق فى النفقات إلى معارض عُـدَدِ المملكة المرتضين لشدائدها والمقارعين لأهوالها ومن لاينفك عنها ، و<قد> ضَمِنْتَه من خطرٍ يركبه ومخوف يلابسه ، فيرى المرتَضِى أنه قد وصل غيرُه بغير كدحٍ ولا تعب إلى ما وصل إليه مع إخطاره بنفسه فتخبث طويته ويصغر فى عينه إحسانك إليه ، ويرى ذو المال أنه ساوى المرتَضِى فى فضل ترقيه وحسن ظاهره وحَظِى دونه بالراحة من شاقّ الخدمة — وهو لايعلم بجهله أن سلامة ما أبطره من ماله وتجاوز به منزلته إنما هى بالأمن الذى لايكون إلا بقوة يده وظفره فيما توجه له ؛ أو رجل أسرَّ إلى بعض أعداء دولتك بالموافقة [٣١ ب] وكان قَيِّماً بما يمتاره له من بلدانك ومُنَفِّذاً لمهماته فى مملكتك . — فأما سوء جَوْر الرعية بأموالها : فموسِرٌ منهم تقاعد بفقير فى حقٍّ بينه وبينه ، واضطره إلى النزول فيه على حكمه ؛ أو احتكر على جماعة من الرعية سلعة وقادهم بضعف أحوالهم إلى سوء التحكم فى ثمنها ، أو تضمَّن ما كان يمسك أرماق جماعة قَصَّرتْ أحوالُهم وعطل فيه معاشهم — لشىء آثره فى تتميم مباهاته إدلالاً بماله وتسلطاً بذات يده . وجميع

(١) بالراء المهملة فى ص ، ونفضل أن تكون بالزاى المعجمة . (٢) ص : محضورة .

ماعددناه فى هذين البابين أقبح ما صرف إليه الغنىُّ وُكْدَه . فاذا عثرت على أحد منهم بمثل هذا ، فاحظر عليه ماله وليكن دونه فى أيدى الثقاة ، كما تحظر(١) على الطفل إرثه لأنه غير عدل فيه ولا مَرْضِيّ فى سعيه به . فان آنست منه رشداً سلمته إليه ؛ وإلا أصبته منه فى كل وقت بما يكفيه ، وأذقته من التحسر ما كان يذيقه من قَصَّر عنه وشجى به . واذكر ما جاء من الحكمة : « إضرار الغنىّ بماله أعظم وزراً من إضرار الفقير بسعيه ، لأن الفقير مضطر والغنى مختار . والاستطالة بالغنى(٢) [٣٢ ا] داعية إلى الفاقة وقريبة من الإثارة(٣) . وبمثل هذا ينبغى أن تطالب ذوى الجاه عندك والمكانة من سلطانك — يُحْسِنُ جوارُ مَنْ قصر عن جاههم ومحلهم ويمنعهم من الاستطالة عليهم وأن لا يجعلوا ما وهبه الله لهم من فضله ذريعة إلى ما حظره عليهم من فرط التعدى ، فان التواضع لمن دونهم يكسبهم محبة منه ويشعر ذوى الجاه رأفة بهم . وإنما تحسن المملكة بحسن التئام أخيافهم(٤) واشتمال الرضا على أهلها وانقياد جميعهم للعدل الذى يمسك النظام ويستوفى للناس ما يُجْلَب لهم وعليهم .

واعلم أن استخراج الخراج بالعنف يمحقه على من طولب به ويستهلك منافعه وبركاته ، واستعمال الهوينا فيه يطمع متضمنيه فى كسره ويمنع من دروره وتوفير ما يستدعى به منه . وأفضلُ ما استغزرت به جباية معامليك الرفقُ(٥) بهم والإلحاح عليهم وصيانة جاههم وتقوية أيديهم فيه ومنع الاعتراض عليهم فى شىء منه ، والتنزه عن إرفاق أحد من أصحابك بشىء من أموالهم أو السفوف فى ابتياع رهائن [٣٢ ب] خراجهم بما تتعجل معه الربح فيه ، والاستظهار عليهم بمن طاب خبره وحَسُن أثره وكانت لله جل وتعالى خالصته . — واعلم أن الذى يجب من الخراج

---

(١) ص : تحضر . (٢) مكررة فى ص . (٣) مهملة النقط فى ص .

(٤) الأخياف : المختلفون . والأخياف فى الأصل : اختلاف الآباء وأمهم واحدة ، ومنه قيل : الناس أخياف ، أى : مختلفون .

(٥) كذا ! فهل يكون صوابها : الإسجاح ؟ — أى التلطف ؛ أو : الإنجاح ؟ — بمعنى : التسهيل .

لك هو ما وظفته[1] الشريعة عليهم فى أيديهم . فان اجتيح بآفة قَصَّرَتْ بتلك الوظيفة كان لك ما فضل عن مؤونتهم وما لزمهم من الإنفاق للسنة الخالية التى وقعت بها الآفة واحتاجوا إليه للسنة المستقبلة . وعليهم فى السنة المستقبلة إن زاد ما فى أيديهم على وظائف الشريعة ومؤونتهم ومؤونة السنة المستقبلة ، رَدُّ مؤونة السنة المفترضة منك عليك . وكل ما قصّر عن هذا فانه داعية إلى اختلالهم وتعطيل عمارتهم .

فى منع التعادى فى المملكة وذم قتل من صلح للملك

واعلم أن أضرّ ما مُنِيت به فى بلد من البلدان وقوع العدوان فيه وبسط أهله وتحازب بعضهم على بعض ؛ وأن هذا يقوم مقام [٣٣ ا] ما ظهر من العلل فى عضو من الأعضاء فيتّراقى إلى إفساد ذلك العضو وربما تعدى إلى سائر الجسد . فتتَبَّع ما ظهر من هذا فى البلدان ، واسأل عن السبب فيه كما يسأل المتطبب الحاذق عن أسباب العلة ، واحسمه ولا تدع فيه بقية منه ، فانك تجمع بهذا زوال ما كرهته وخوف الناس —من إيقاعك وشدة بأسك— معاودة[2] مثله .

واعلم أن كمال أهل بيتك وأعلام دولتك فى الرأى والهيبة وقوة السطوة من جمال مملكتك ، لأنه يقع ظهور ذلك فيهم إلى زيادة التحفظ من سقطةٍ تقع لك ونقيصةٍ تلحق شيئا من أمورك ، فتعظم بمكانهم فضائلك ، وتقوى معهم ممارستك وحسن اعتدادك . لأن الجاهل من الملوك إذا رأى فضيلة فى قريب منه قد أشرقت فى أيامه وتعالمها الناس معه خافه على مملكته فقتله ورأى أنه أتى صواباً . وإنما يحمله على هذا إيثاره للراحة من حسن الحراسة وبغضه[3] المساجلة إلى الفضل ورغبته أن يصرف قواه عن مجاهدة أعدائه واستبراء آثارهم إلى اللذات [٣٣ ب] التى

---

(١) أى ما قدرته . والوظيفة من كل شىء : ما يقدر له فى كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب . ووظف الشىء على نفسه ووظفه توظيفاً : ألزمها إياه .

(٢) مفعول به للمصدر : خوف . و« من إيقاعك ... » : بسبب الخوف من إيقاعك ... .

(٣) ص : بغضه على المساجلة ...

هى أشد عداوة وأقرب إضراراً له . — ولقد رأيت جدك الطاهر الروح وقد قُبِضَ على المزذول من إخوته بعد أن صح عنده ما أثره(١) من الفتك به ، فتقدم إلى بعض خاصته فى إحضاره على الهيئة التى كان يصير بها إليه وأن لا يقصر به فى مركب ولا غيره ؛ وأمر الحجاب أن ينزلوه فى مرتبته التى كانت له . وجمع وجوه المملكة والقاضى والنساك . فلما دخل إليه أجلسه فى موضعه الذى(٢) كان منه قبل الحادثة ثم قال له وهو ساكن غير متغيظ(٣) : «إنك أتيتَ أمراً عظيماً لم أعرف السبب الذى دعاك إليه . وقد شاهدتَ أباك وتأدى إليك ما كان سلفك عليه من الوقوف على حدود الرأى وعصيان الهوى ، فانه لم يستجب أحد منهم لمحظور عليه . وقد اجتمع فى هذا المجلس وجوه مملكتى ، وجعلتهم حَكَماً بينى وبينك ولم أطع غضبى فى شىء من أمرك ، وأحضرتك على حالك التى كانت قبل حادثتك لنسمع جميعاً جوابك . فان كنتُ مستحقاً للقتل الذى آثرته فِىَّ فلا سبيل لى عليك ، وأنا أستقيل [١٣٤] الجماعة من التملك عليهم . وأسأل من وقع اختيارهم على تمليكه وتقديمه أن ينفذ فِىَّ أمره وما آثرته فِىَّ من القتل ، فان القتل أحب إلىَّ من أن ألقى الله سبحانه وأنا مستحق له » . ثم دعا بالصحف فوضع يده عليها وحلف أنه ما فارق أَحْسَنَ ما علم أن المملكة تستحقه بمقدار طاقته ، مذ أفضى أمرها إليه . ثم قال : «يا معشر الحضور والزهاد ! إنى وإياكم بين يدى من يرث جماعتنا ويسأل كافتنا عما علم وعمل . وأنا أسألكم بحق هذه(٤) لما صَدَقَنِي منكم مَنْ عَلِمَ منى ما ينكر علىَّ » . فارتفعت أصواتُ الناس بالبكاء والدعاء له . ثم أمر القاضى والنساك بمخالاته(٥) وقال : «الطفوا به لاستنزاله عما سألته عنه» . فأطالوا معه الحديث والناس جلوس . ثم رجعوا فقالوا : «مازادنا على الاعتراف بخطيئته» . فأمر باحضاره . فأُحْضِر قائماً بين رجلين وجرَّد السيافُ سيفه . فما شك أحد منا فى أنه يضرب عنقه .

(١) أى : ما علمه . (٢) ص : موضعه وكان منه — ونحسبه تحريفاً صوابه ما أثبتنا .

(٣) ص : متغيض — وصوابه بالظاء على عادته كثيراً فى الخلط بين الضاد والظاء فى الإملاء شأن أهل العراق وفارس وتركيا الخ . (٤) أى : هذه الصحف . (٥) أى : بالخلوة به .

ثم قال له: "قد وجب عليك حقٌّ لى وهو سفك دمك ، وحقٌّ لسلفك وهو تقويمك على طاعة خاطرك وهواك والتسرع إلى الإساءة [٣٤ ب] بمن لم يسىء إليك . وقد وهبت لك حقى ولا يجوز لى أن أترك ما لغيرى" . — ثم أمر بحبسه بعد أن أدخل فى ذلك المقام من الفضيحة والخوف ما كان أشد عليه من القتل .

وعلى مثـل هــذا ، يا بنى ! ينبــغى أن يُبْنَى أمرُك . ولا تَتَبَّعْ الأعلام فى دولتك بالقتل فيصغُرَ قدرُ رياستك ويَسُوءَ ذكرك بين الملوك وتُخْلِفَ المملكة خراباً بعدك . واذكر من الحكمة ما قيل : "الصحيح الرأى مَنْ عَلِمَ أن فى العداوات من إصلاح نفسه أكثر مما فى المودّات من صلاح حاله" .

خاتمــة العهــد

هــذا عهدى إليك ، ولم أستوف فيـه ما تطالبنى نفسى به ، لمـا ارتجيته(١) من اضطلاعك بما أسندته إليك واكتفائك فيه بالقليل من الكثير والصغير من الكبير . وقد عَلِمَ مَنْ لا تخفى عليه خافية أنى ما تبعت الهوى فيك . ولقـد راعيتُ أمرك فى جـدّك وهزلك ، ورضـاك وسخطك ، وبؤسـك ونعيمك ، وتوكفتُ(٢) أخبارك ، واستهديت أوصافك ، واجتمعت مع من أثق [١٣٥] بخوفه لله فىَّ وفيك وفى جماعة ممن تتقلد أمره — فلم أجد فى هــذا البيت أحق منك بمــا عهدت إليــك به . ولو وجدته ، لعدلت به عنك إليه لأن الراعى مسؤول عن رعيته ومن خلّفه فيها . وأنا أخاف عليــك ما أسأل الله تعـالى أن يؤمِّنيه فيك من الحؤول(٣) والزيغ عند استبدادك برأيك وتفردك به وارتفـاع المراقبة عنـك ونظرك إلى نفسـك بحـال من

---

(١) ص : أرجأته — ونحسبه تحريفا صوابه ما أثبتنا .

(٢) توكف الأثر : تتبعه . والتوكف : التوقع والانتظار . وفى حديث ابن عمير : أهل القبور يتوكفون الأخبار — أى : ينتظرونها ويسألون عنها ؛ وفى « التهذيب » : أى يتوقعونها ... وهو يتوكف الخبر : أى يتوقعه (" لسان العرب " ، مادة : وكف : ١٠ / ٢٨١) .

(٣) الحؤول : التغير ، الانحراف .

لايتجهم بموعظة ولا يتلقى بغلظة فى مناصحة . وهذا — وإن كان بعيداً عندى فيك — فانى أخاف عليك ما هو أغمض وهو ما تأمنه من استخلافك النظر فى أمور الناس وغيره مما أنت بصدده والزيادة فيه على مقدار الأزمان التى حددناها له ، فتسوم طباعك وطباع أتباعك ما لايطاق المقام عليه ، ولعله أن يكون داعية إلى الإخلال به . والصواب لك ألا تزيد على سعينا فى شىء من خدمة المملكة ، فقد كميناك فيه حُسْنَ الاختيار . وأن يكون وَكْدُك حراسةَ خواطرك وحواسك مما يطرأ عليك فى زمانك ، وأن تستظهر عليها [٣٥ب] بصحة الرأى وقوة التجارب ، وتصرف وُكْدك بعد هذا إلى تقويم رعيتك فانها لك مِثْل الظل للعود الذى لايتقوم إلا بعد تقويمه . واحرص كل الحرص فى إنجاز عِدَةِ الرأى وتصديق الفراسة فيك . وتَجَلَّى فى ملكوت السماء بما يرتفع إليها من صالح عملك وحسن أثرك ، فإن السعيد من الملوك من تمت رئاسة آبائه به ، والشقىُّ منهم من انقطعت عنده .

وأنا أسأل الله تعالى أن يحقق أملى فيك ولا يُخْفِرُ(١) ظنى بك ، وأن يعينك على ما قَلَّدك ويتولاك(٢) فيه — من حسن اختياره لك ولهذه الرعية الفقيرة إلى سدادك — بما هو أهله ووليُّه . وأستودعه إياكم وديعةً أضرع فيها إلى كرمه أن يحفظ بها جماعتكم ويكفيكم ما هَمَّكم .

وهو حسبى ونعم الوكيل .

تم عهد الملك إلى ابنه بحمد الله ومَنّه

---

(١) بمعنى : يخيب . وقد تقرأ فى المخطوط : يحقر (بالقاف) . — أخفره : نقض عهده وغدر به .

(٢) ص : ويتوجدك فيه ومن حسن ...

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد الوزير إلى ولده

كان فى السُّنَّة الجارية من اليونانيين[(١)] تعظيمُ الوزارة وتفضيلُها وانتخابُ من صلح لها من سائر الناس بتتبُّع مواليد من يولد من أبناء العظماء وذوى النباهة والرأى وإثبات أسمائهم عند الثقاة الموكلين بذلك فى المملكة . فمن بان عقله وظهر فضله استخلصوه للوزارة . — وكان الوزراء يختارون للمباضعة من الجوارى مَنْ ظهر فضل تمييزها وسداد سعيها ، ولا يجامعون فى سُكْرٍ ولا عند فرح مفرط ولا حزن مُكْرِث . وكان فيهم رجل قد ظهر فضله وتعالم الناسُ عدله قد بلغ السبعين وله ولد قد جاوز الثلاثين . وكان الوزير لا يُسْتَخْدَم للمملكة قبل أن ينتهى إلى ثلاثين سنة ، لما يُخاف عليه من قوة شهواته وغضبه وتخطيهما به حُسْنَ الارتياد وإيثارَ عام المصلحة ؛ ولا يقيم الوزير بعد تناهى سنه إلى السبعين ، لتقصير حركته عما يحتاج إليه [٣٦ ب] رأيه ونقصانِ صبره على مزاولة مالا يثق فيه بغيره .

وكان مُنْصَرَفُ مَنْ انتهى إلى هذه السن من الوزارة إلى هيكل يعرف بـ«هيكل السلم» : يجتمع فيه الأفاضل فى الدين والمعرفة المرتضون[(٢)] للرأى فيما يطرأ على المملكة واستعراض ما يظهر من العلوم فى تلك الأزمنة . ولا يُمْضِى الملك مهماً لم يشاورهم فيه . وكان لذلك الوزير ولد[(٣)] خليق بمنزلته قد خلفه على الوزارة برهة من أيامه . فأعلم[(٤)] الملك ما انتهى إليه من السن وخافه من الضعف عما لا يسعه التقصير فيه من أمر الرعية ، وأنه لا يحتمل حرج المملكة وخلاف الشريعة ، وسأله الإذن فى الانصراف إلى «هيكل السلم» . فشق عليه[(٥)] وعلى أعلام المملكة ، ولم يستطيعوا تعدّى السُّنَّة . فسألوه صَرْفَ الأمر إلى ولده . فكتب إليه بهذا العهد :

---

(١) كذا ! ولعلها : بين . (٢) ص : المرتضين . — ولعل صوابها : المرتاضون — بمعنى : الذين يتفاوضون الرأى ... (٣) ص : وكان ذلك الولد خليق بمنزلة — وفيه تصحيف صححناه كما ترى . (٤) أى أن الوزير أعلم الملك . (٥) أى على الملك .

هذا ما عهد به فلان — عند عُلوّ سنه وضعف قوته عما كان يساوره (١) من أعباء المملكة وينهض به من أمور الرعية — إلى ولده لما رجاه من اضطلاعه بما عجز عنه وتقدمه فيما حمد عليه [١٣٧ ا] :

أما بعد ! فانه لو استغنى أحد بسداد رأى وزيادة فضل واستشعار مناصحة عن مطالعة موعظة واستعراض تجربة، لكنتَ خليقاً بذلك مستحقاً لمزيته . لكن فاقة الرجل إلى تأكيد ما قرب منه وبُعد عنه بحسب جلالة ما يعانيه وبمقتضى ما هو بصدده . وقد ندبت ، يابنى ! من الوزارة إلى منزلة لا تطمئن بمن عاصى رأيه وآثر هواه ورضى عن نفسه . فان قهرتَ الطارئ عليك والطالب من التنعم بها والاحتجاز فيها ، وجاهدت دواعيك إليهما بتعرف موقعهما وأضرارهما فى باطنهما — رجوت أن يتذلل لك امتطاؤها ، ويصفو بك وِرْدُها ، ويحسن أثرك عليها وبها .

واعلم، يابنى ! أن المملكة البشرية لما كان راعيها مُرَكّباً من أركان (٢) متعادية وقوى متباينة ، وكان كل واحد منها يجذبه إلى ذاته ويميل به إلى ما طبع عليه ، لم يكْمُل لحراسة (٣) ما وُكل به، واحتاج إلى وزير من أبناء جنسه يتم به الاضطلاع بما عراه فيتيقظ فى سَهْوه ويجِدُّ عند هزله وينوب عنه فى [٣٧ ب] أوطانه ويميط به سوء الظن فيما يؤثر إيراده وإصداره بمظافرته عليه .

ويحتاج مَنْ نُصّب لما عددناه — إلى كمال فى الفضل ورجاحة فى المعرفة يعدل بهما ما عاصى (٤) الملك من المملكة حتى تخرج فى أحسن معارضها وأتم صورها . وأولى ما قدمته وآثرته : تقوى الله عز وجل واستشعار مراقبته وتذليل نيتك لما دل الحق عليه ونَدَبَ إليه من طاعة سلطانك ومقابلة ثقته بك واستنامته إليك

---

(١) ساوره : أخذ برأسه . والمعنى : يتولاه . (٢) أركان : عناصر — وهو اصطلاح فلسفى يترجم : اسطقسات . (٣) ص : الحراسة . (٤) عاصاه معاصاة، وتعصى عليه تعصيا : عصاه ؛ وتعصى الأمر : اعتاص ؛ أى ما اعتاص أمره على الملك فى المملكة .

بما يقضى به عنك لازمُ فروضه ووكيد حقوقه؛ وَحَمْلُ الخاصة والعامة على أحكام الشريعة التى هى نهاية المعدلة بينهم ، وإلانة الجانب لمن ظهر فضله وقصرت أحواله منهم ، والعمل . على أن بقاء النعمة منك واستقامة الأمور لك على حسب استقامتها بك . وإن أفضل ما وهب لك فيما تتقلده شمول الأمن وعموم الرضا وظهور الصدق والأمانة ووفاء الذمة ورعاية الإحسان وإفاضة الرأفة وزيادة الكفاية لأنها تحسِّن [٣٨ ا] أيامك ، وتُطَيِّب ذكرك ، وتثنى القلوب إليك .

فى تصنيف أخلاق الملوك التى يحتاج الوزراء إلى مطالعتها ، وتلقيها بالواجب من حسن التدبير وجملة ما يحدث عنها من صنف

واعلم أن الملوك لاتخلو من أخلاق يحتاج المتصرف له إلى استعلامها وهى : السخاء والبخل ، والقوة على التدبير والضعف عنه ، والاسترسال وسوء الظن ، وحُسْن البِشْر والانقباض . وأنه إن كان سخياً آثر درور الشكر على توفير حوافل المال ، وإن كان بخيلا آثر توفير المال على المزيد فى الشكر . وإن غَلَبَ عليه قوةُ التدبير استدعاك المشاركة فى سعيك ، وأحرز بذلك الحجة لك ؛ وإن غلب عليه الضعف ركن إلى التفويض وخَلَّاك وما لايُحْمَدُ من عواقب أمرك . وإن كان حَسَنَ الظن تمكَّنْتَ من إحكام أموره ، وبلغت فيها أقاصى مصلحته . وإن غلب عليه [٣٨ب] سوءُ الظن شغلك — باحراز الحجة عليه وحُسنِ الخلاص منه — عن التفرغ لكثيرِ مما تحتاج إليه . وإن كان البِشْرُ غالباً عليه زاد فى نشاطك لمناصحته وملك قلوب الأحرار بحوزته ؛ وإن كان شديد الانقباض فَتَّرَ سعيُك فى أموره ومَنَعَ انشراحك إلى موالاته .

وتَحْدُثُ عن هذه الأخلاق ، إذا ازدوجت ، ستة عشر نوعاً على مانبينه فى هذا الرسم . وقد يُظَنُّ أن بين كل ذى خلق منها وضده معتدلًا بينهما . وهذا موجود للعقل ، وليس بظاهر للحس . وإنما بَيَّنَّا ما يغلب ويبين على الشخص فى الحس. فاعطِ صورة من تخدمه من الملوك ما يناسب تأليفها من التدبير يَحْسُنْ أثرك عنده :

صورة الأصناف المزدوجة [١٣٩]

الأول	سخى	قوى على التدبير	مسترسل	حسن البشر
الثانى	بخيل	قوى على التدبير	مسترسل	حسن البشر
الثالث	سخى	ضعيف عن التدبير	مسترسل	حسن البشر
الرابع	بخيل	ضعيف عن التدبير	مسترسل	حسن البشر
الخامس	سخى	قوى على التدبير	سىء الظن	حسن البشر
السادس	بخيل	قوى على التدبير	سىء الظن	حسن البشر
السابع	سخى	ضعيف عن التدبير	سىء الظن	حسن البشر
الثامن	بخيل	ضعيف عن التدبير	سىء الظن	حسن البشر
التاسع	سخى	قوى على التدبير	مسترسل	حسن البشر
العاشر	بخيل	قوى على التدبير	مسترسل	منقبض
الحادى عشر	سخى	ضعيف عن التدبير	مسترسل	منقبض
الثانى عشر	بخيل	ضعيف عن التدبير	مسترسل	منقبض
الثالث عشر	سخى	قوى على التدبير	سىء الظن	منقبض
الرابع عشر	بخيل	قوى على التدبير	سىء الظن	منقبض
الخامس عشر	سخى	ضعيف عن التدبير	سىء الظن	منقبض
السادس عشر	بخيل	ضعيف عن التدبير	سىء الظن	منقبض

فيما يستشعره الوزير بينه وبين نفسه

واعلم يابنى أنه لايضبط الكثيرَ من الناس من لم يضبط نفسه الواحدة. فارفع نفسك عن كَلَب الحرص وذِلّة الشهوة . وغَلِّبْ أفضل قِسْمَيْك على أحسنهما . وإذا ساوَرْتَ عملا فاقصد إلى تتبع معظمه دون صغائره ، ثم اصمِدْ إليها بعده . ولا يشغلنك تفصيله عن جملته فيضيع منك بأسره . ولا تدفعن عملا عن وقته ، فان للوقت الذى تدفعه إليه عملا [٤٠ ا] آخر. وأقل مايلحقك من ازدحام الأعمال دخول الخلل فيها ؛ واعلم أن تهيب العمل يطيل زمانه ، والجرأة عليه تثنى عن تتبعه ، وأنه لايتهيأ لك أن تعمل فى هذا العالم عملا لايجوز فيه . وليكن خطوك فى الإحسان إلى الناس دون الإساءة إليهم ، فان قليل الخير ربما أثمر فعاد سبباً لعظيم الحظ . وإذا هممت بزوال نعمة فاذكر ما ترعاه تلك النعمة من حرمة لاتستوجب منك الإساءة وحُرٍّ قد رَكَن إليها وعاد بها ، فاجعل هذين وشبيهما شفعاء لها عندك، فان بارئك يتكفل لك بحسن الحراسة وإحراز السلامة والمثوبة . ولا تتوهم أن كل ما علمته تقدر على عمله ، فان رياضة العمل أصعب من رياضة العلم . ولا تركن فى الاستخدام إلا إلى شفاعة الكفاية والأمانة . واعلم أن من حسن صبره على أمرك حسن صبره فى شدائدك ، وأن الراحة عند الحاجة إلى الحركة تهدى إلى صاحبها تعباً ضرورياً ، وأن المراد أقوى على عمل حركته على حسب مافى طبعه من خير أوشر. فلا تغفلن [٤٠ ب] شيئاً تقلدته فيظن بك من الخروج عن أفضل طباعك بمقدار ما خرج إليه . ولا يزدهيك ما تواصفه الناس من محاسنك ، وتأمل عند ذلك ما يظن من مساوئك ، ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح الناس لك . واعلم أن قيام الوزير بالعدل والحق يُمَلِّكه سرائر من تقلد عليه ، وقيامه بالجور والقهر يقصيهم عنه حتى لايملك منهم إلا التصنع له، وتكون سرائرهم فى طلب من يملكها ويترأس عليها .

واعلم أن أكبر الصيانة لك تَسَتُّرُك من العامة وامتناعُك من مكاثرة من يَنْمِى إليها، لأن فى طباعها إهانةَ مَنْ خالطها وانتقاصَ مَنْ لابسها؛ — وأن إحسانك إلى الحر يحركه على حسن المكافأة، وإحسانك إلى الفَسْلِ(١) يحمله على معاودة المسألة. فَضَعْ إحسانك ومساءتك(٢) بحيث وَضَعَها الرأىُ الصحيح والأخيار الأفاضل(٣).

فيما يستشعره الوزير مع الملك

وإذا خدمتَ ملكاً فَأَرِهِ الاستهانة بما فَضَلْتَ به عليه[٤١ أ] والتعجب بما فضل به عليك. ولا تظهرن له منك ما يتجاوز ما لأهل طبقتك فانه لا يحسن موقعه لك ويرى أن تعــديك أكثر من تجملك. واعلم أن ظهور العجز فى مروءتك للملك أسهل عليه من ظهوره فى كفايتك ودينك — فأَرِهِ قيامك بهما ولا تحفل بغيرهما. واحذر الإضرار بالناس فى نصيحته وتوفيرك عليه كما توفر العامة على أنفسها؛ ولكن اتبع قلوب النـاس وشكرهم له بمسامحتهم فيما قصر عن قـدرتهم من حقوقه، فانك تسترخص له مُلْكَ الأحرار وتَخبر(٤) الآثار وجميل الذكر. وحَرِّكْ من أحسنت إليه على شكر الملك دونك ليقف على أن سعيك له أكثر من سعيك لنفسك. وأخرج الإفادة له فى معرض الاستفهام والاستفادة منه. وإذا دفعك إلى مرتبة من تقريبه فلا تتلقها بالرفع لها والتصاغر عنها، <فإن هذا> وإن حسن فى ظاهر أمرك فهو قبيح فى باطنه لأنه يرى أنك استشرفت(٥) شيئا من فعله؛ ولكن اقبل منه طَوْله، واشكره شكر من يجد فى نفسه الاضطلاع بما يسند إليه[٤١ ب]. وأَرِهِ تضرُّعَك إلى الله تبارك وتعالى

---

(١) الفسل: الضعيف الذى لا مروءة له ولا جلد، (وبكسر الفاء): الأحمق.

(٢) ص: لمسائتك (بغير نقط). (٣) ص: الفاضل — وهو تحريف.

(٤) التخبر: السؤال عن الخبر. والآثار: الأخبار. وفى ص: تخير الآثار (ولا معنى له). — يقال تخبر الخبر واستخبر: إذا سأل عن الأخبار ليعرفها.

(٥) استشرفه حقــه: ظلمه. والمعنى: إذا رقاك مرتبــة فلا تتلقها بالرفع من شأنها وعـدم استحقاقك لها، لأن هــذا وإن كان ظاهره التواضع، والتواضع حسن، فإنه قد يشعره أنك نلت ما لا تستحق؛ بل اشكر له فضله وأظهر قدرتك على الاضطلاع بهذه المرتبة وأعبائها.

فى تحمل مجازاته ولا تقبل تفويضه وتغنّم إمضاء ما لم ينهه إليه ، فان عواقب التفويض وخيمة المرتع ، والتفويض مطية التكثير(١) . واحصر طريق الاسترابة ، فان ألزمك بتفويضه إليك إكراماً لك فلا تغفل إثبات ما تمضيه فى "هيكل السلم" على ما استقرت عليه مشورة أعلامه .

ولا تنزل من الملك منزلة تحتاج فيها إلى تكليف(٢) ما ليس فى طبعك والاستعانة عليه فى شيء منها وإيقاع حيلة فى مشاورتها ، فليس عائدها عليك بمقدار إخطارها بك .

ولا تحسبنّ لملكٍ صحبَته إساءةً حتى تضيف إليها عُذْرَه فى الشريعة ، فان الشريعة أجلسته مجلس التملك عليك وعلى غيرك . فاذا ناوأك عدوٌّ بين يديه فلا تكلمه إلا بإذنه . واذكر أنك لا تطلق فى مجلسه — لجلالته عندك — مايحضرك فى أمره . وأَظْهِرْ التهاون بقوله والتبسم من احتداده فانه يستشيط وأنت وادع ، وتقع به التُّهَمَةُ وأنت آمن . ولا تتغيظن(٣) فى مجلسه ، فان [٤٣ أ](٤) التغيظ يحرك إلى الانتصار . وليس يكون الانتصار فى مجلسه بغيره . ولكن حَرِّكْ غضب الملك بوجوب حجتك عليه ، وخَلِّ بينه وبين الأمر . وإذا كان بينك وبين الملك مقاربة فى بعض الأحوال فعاشره بها فى الخلوة ، ولا تَنْسَ الصواب فى الجماعة .

وأشدُّ الأشياءِ على الملك أن تتشفى به من عدولك وتوهمه أن ذلك عن مصلحة أمره ، وأنك تقيمه مقام الكلب تُوَرِّشُه(٥) على ما ينفعك دونه .

وتحفَّظْ فى كلامك عند مخاطبته ، واحذر أن يتعدى قولُكَ ما دعت إليه الحاجة . وجَنِّبْ كلامك الاحتجاج بغيرك والتمثل بسواك ، فربما أخطر هذا بك

---

(١) بغير نقط فى ص . (٢) لعلها : تكلف . (٣) ص : تتغيض .

(٤) هنا حدث فى المخطوط خطأ فى الترقيم فجاءت ورقة قبل أخرى . فالورقة ٤٣ حقها أن تكون ٤٢ . أما الورقة ٤٢ فحقها أن تكون ٥١ .

(٥) ورش فلان بفلان : أغراه ؛ والتوريش : التحريش .

وبمن تذكره . وإذا سلك الملك طريق الإضرار بالناس، فاجذبه برفق إلى طريق مصلحتهم . ولتكن صورتك عنده المحبة للإحسان إليهم والكراهة للإضرار بهم . وإذا كنت للملك أَنْصَحَ من سائر وزرائه وساوى عائدهم (١)، فلا يَكْرُثْكَ ذلك لأنك تأخذ منه ما فرضه لك العقل ، وهم يأخذون ما أعطاهم إياه الهوى الذى لا يثبت [٤٣ ب] مع التكشف .

وإذا دعاك الملك إلى شرابه ولهوه فليكن الإعظام له فيك أكثر من الالتذاذ. واستعمل التحرز منه فى أوقات انبساطه إليك ، وخَفْ أن تَنِمّ به أَسِرَّة وجهك ، واحذر لباس ثوبه وركوب مركبه واستخدام ما بين يديه . واعلم أن مَنْ صَحِب السلطان لنباهة الذكر لم يضره تقصير هيئته عن هيئته . ومن صحبه للالتذاذ والزينة هلك عليه . وإذا شاورك الملك ، فلا تكلمه كلام المرشد لمن استهداه ما أشكل عليه . ولْيُرَ فيك من الحاجة إلى عرض ما تشير به عليه أكثر من حظه فى فائدة ما بدا منك . وإذا ذكر لك خطأ كان له فأَجِلْ فكرك فى الاعتذار له منه ، واحذر أن توافقه على ذمه . ولا تصدر لك كلمة حتى تتذلل نيتك لها ، فان الكلام إذا طابق نية المتكلم حرك نية السامع ، وإذا خالفها زل عن قلبه ولم يتأثر منه شىء . وإذا عتب عليك فى شبهة لاحت فى أمرك، فلا تقبل رضاءه عنك إلا بعد أن تقوم حجتك ، وأَرِه أنك لاتوثر الحياة إلا ببراءة الساحة [٤٤ ا] من سوء الظِّنَّة وقبيح العرف ، فان ذلك زائد فى محلك ، ومُنبِّه على خطرك .

فيما ينبغى للوزير أن يتحرز فيه من تقدّم الملك إياه إليه

واعلم أن عاراً عليك ونقيصة بك أن يتقدمك الملك فى الصبر عن الملاذ وهجر الدعة وشدة اليقظة وقوة التفكر فى مصلحة المملكة . فانه إن سامحك بذلك وسَرَّه فى نفسه تقدُّمه عليك فيه فهو يَحُطُّك لديه ، ويرى أنه لاموازر له فيما عداه ونابه . فاجتهد أن يراك متقدماً له فيها ، ولا يُحِسّ منك بتقصير عنها .

(١) أى : وساوى الملك بينك وبينهم فى الفوائد .

ومما أخافه عليك ان تسوِّل لك قُوةُ الإمكان الزيادةَ فى الاحتكار من الضِّياع والأموال وما تدعو إليه جلالة المحل ، فيتقسمَ شُغُلُك ويشيعَ سعيك ويحصيَه عليك مَنْ لا يمكنك الاحترازُ منه : مِنْ محرومٍ لديك ، ومتطلع إلى أوفى من منزلته عندك ، قد أضرم الحسدُ قلبه وأذكى نوازع صدره فيعظِّم صغيره ويزيد فى مقداره ويتشوف [٤٤ ب] إلى مناهضتك من كان مقصراً عنها ، فيستدعى بذلك الارتياب بك والاستظهار عليك وقوة طبع الخاصة فيك . فان استطعت ألا تحرز مع الملك إلا البُلْغة التى تقيمك وشملك(١) < ــ فافعَلْ > . ولتعلم أنك بقليل ما فى يديك أغنى منه بالكثير الذى عنده .

وتجنَّبْ الانهماكَ فى طلب كثرة الولد والزيادة فى الحشم ، فان الشانئ والحاسد يراهم ؛ وما تضطرُّه(٢) له من نَعَمٍ وأُبَّهٍ فإنما هم مؤونة مستهلكة لعائدك : لهم وِردها وعليك صَدَرُها . والاقتصاد فى أمورك أدوم لسلامتك وأغضُّ لطرف الشانئ لك ، وأروَحُ لقلبك وجوارحك .

وليكن وُكْدُك ونهايةُ حِرْصِك فى استقراء حال المملكة وتأمُّل أقطارها ، وما عليه كل جزء منها من زيادةِ جَلْبٍ أو نقصانِ انتفاع(٣) أو سداد ثغر أو تدبير مصلحة يبقى لك شرفها ويحسن بك أثرها . وخَفْ مصارع الدالّة(٤) ، فانها أكبر أعدائك فى سمو حال واستقامة أمر . واعلم أن الاقتصاد مع إمكان التوسعة ينبىء عن قوة رأيك وعزيمتك ، وأن الرغبة فى الشرف [٤٥ ا] فيها تدل على غلبة الهوى عليك وظفره بك . ولا تنْسَ نفسك فى حال عِظَم قدرها فانه أدوم لحريتك . واذكر ما قيل : يا أيها الإنسان ! تجرد من غَشَمك فى كل يوم ، وتأمل زيادة

---

(١) شمل القوم : مجتمع عددهم وأمرهم . شمل الرجل : جماعته .

(٢) ص : وما يضطر لهم نعمه وابهم وإنما . (٣) ص : ارتفاع .

(٤) الدالة : ما تدل به على صديقك . الجرأة ، يقال : « له عليه دالة » أى جرأة ، بسبب وجاهته عنده .

فضائلك فى زيادة الأحوال الخارجة عنك ونقصانها . واعلم بأنك مُصَوَّر فى ملكوت السماء بما تسلفه من خير وشر ، فثابر على الباقى لك واهرب من الباقى عليك ، فان بارئك لايترك ديون عباده ولا ينسى (١) ما فرط لك . واستقبله بحسن المراجعة وغلبة (٢) من يأمرك وينهاك من خلقه ، فانه يعصمك منهم ويتكفل بحراستك من كيدهم .

واذكر ماخُلِّد لجدك فى ديوان الفضائل ، حين دُفع إلى (٣) المُتَسَلِّط — <الذى> كان على هذه المملكة — بَعْضُ أعلامها . فلما أقام عنده يوماً ، أمره بقتله . فقال له : «إن رأى الملك أن يُعَرِّفنى استيجابه للقتل ؟ » فقال له الملك : « إنك حملت نفسك من مخالفتى على حالٍ لايستجيزها رشيد » . فقال : « لوكنت ، أيها الملك ، مالكى وحدك لأنفذتُ ما تأمرنى به من غير مسئلة ولا استرابة . [٤٥ ب] ولكنك تملك ظاهرى ، ولى من يملك سرى وعلانيتى وأحصل لديه إذا خرجت عن يديك . وإنما لك علىَّ الطاعةُ فى طاعته ، وليس لك الطاعة فى معصيته . » — فبكى المتغلب واستدناه وزاد فى إكرامه وعفا عن المحبوس وأحسن إليه .

واعلم أن خدمة الشريعة وإحياء سُنَنها وقمع البدع فيها مما يُحَسِّن آثارك ويُطَيِّب أخبارك ، فتولَّ ذلك بنفسك ولا تَكِلْه إلى غيرك . فاذا وقعت على غُمْرةٍ (٤) قد حدثت واستقر الرأى على تغييرها ، فنَبِّه الملك عليها وحُلْ بينه وبينها ، وأظهر للناس أن قلقه بما أتعبك منها أكثر من قلقك ، فانك تُهدى إليه فيه ما يزيد فى مكانتك .

واستعمل التواضع فى عزك وهبوب ريحك : بالصبر على ذوى الفاقة ومعاهدى الشريعة ، وارتض بخشونة العيش ، فانه يكسبك عادة جميلة قد حرمها من غَلَب (٥) عليه الترفُّه . — وفيما يؤثر من علمائنا المتقدمين : أن المتواضع المتقلل من الوزراء فى أكثر الأمور طويل العمر ، مُظَفَّرٌ بأعدائه ، قريب الحال المرضية عند [٤٦ ا] ربه عز وجل .

---

(١) ص : ينس . (٢) مهملة النقط فى ص . (٣) ص : إليه .

(٤) ص : غميرة — غمرة = شدة . (٥) ص : غلبت .

فيما يستشعره الوزير مع خاصة الملك وبطانته

واعلم أن من خاصة المملكة مرتضياً (١) لشدائدها ومهماتها ، وآخر متعلقاً (٢) بقرابة من الملك وحُرمته أو وكيد ميْل إليه وسالف محافظة (٣) . وليست حظوتهم من الملك على حسب قوة أسبابهم ووكيد حقوقهم . وإن أطعته فيهم زُلْتَ عما تستحقه المملكة . وإن أجريت [إلى] العدل فى أمورهم جانبت موافقة الملك . والصواب لك أن تتمسك بترتيب (٤) الناس ، وتضعهم حيث وضعهم الاستحقاق من المملكة ، وتستعمل إرضاء الملك فى تفضيل من آثره بحسن العطية ووفور البِرّ ، فان ميل أعلام الدول إلى رفعة المنزلة أكثر منه إلى الثروة . وتراعى أمر الجماعة ، فتتم بحسن التلطف ماوقع بالمستحقين من التقصير ، وتعتذر إليهم بما يصلح قلوبهم . واجذب الجماعة إلى طاعة الملك ، واهد إليه جميل سعيك [١٤٦] وحسن أوصافك ؛ وانحَلْه فضائلك تَصْفُ لك نيته ويأمنك على جميع أمره . واحذر انصباب هذه الجماعة عليك والتحافها بك وإخلالها بمراكزها من دار الملك اعتماداً على نصرتك لها وقيامك بأمرها ووضعها إياك من قلوبها بحيث لا يُؤثره الملك ، فانهذا ومثاله يثبت لك فى قلبه سوء الطوية وفساد النية . ومَكِّنْ فى نفوسهم أنك لاتعمل إلا ما رآه ولا تؤثر إلا ما رضيه ، وأن لك منزلة من الملك من زاد عليها فقد أخطر بك ، وأن قبولها يزرى على اختيارك . واذكر ما قاله أفلاطن ، وقد قَدِمَ على ابنه روذس (٥) الوزير ؛ فانه ما استقر فى مجلسه بعد استقبال ابنه له بأعلام المملكة وجماعة أقرباء الملك حتى قال : « يابُنَيَّ ! لقد غمَّنى نظامُ أمرك وما رأيتُ من فساده » . فقال له ابنه : « وما أنكرتَ منه ؟ » فقال : « رأيتُ هيئة (٦) ابن الملك وعدده أقل من

---

(١) ص : مرتضاً . (٢) ص : متعلق . (٣) محافظة : دفاع ، حماية ذب .

(٤) ص : تتمسكه . (٥) كذا ! وفيه خلط وتحريف ، أولا لذكره أفلاطون ، رغم أن الكتاب منسوب إلى أفلاطون ! وثانياً لذكره إبناً لأفلاطون اسمه « روذس » ، ولا نعرف لأفلاطون ابناً بهذا الاسم ، بل ابنه المذكور فى وصيته والمعروف لنا هو أدمنتس ، ولم يكن وزيراً ولا شيئاً مذكوراً !

(٦) أولعلها : هيبة ؟

هيئة ابنك وعدده ؛ ورأيت الجيش وقد أعطوك من إعظامهم ما ليس عندهم فيه مستزاد للملك . ولا أحب لك أن تعمر منزلته . فاترك عما رقيت [١٤٧] إليه ، من قبل أن يرميك الملك عنه » .

فان انصرفَتْ إليك رغبةُ واحدةٍ من حُرُمه(١) فى مُهِمّ لها فلا تسمعن رسالتها إلا من موثوق به من خدمه ، وخاطبها فى جوابك خطاب الأخ لأكابر أخواته . ولا تُصْغِ فى مخاطبتها إلى خضوع فى قول أورقة فى لفظ ؛ وانفر من ذلك فربما جنى عظيم الإبارة(٢) . ولا تفشين لأحد – وإن عظم قدره لديك – سراً للملك ، واجعل قلبك قبراً له . فان كثرت لديك أسرار فأثبتها(٣) بخطك بترجمة(٤) اخترعتها لايعرفها سواك . وتصفحها فى أول أوقاتك . ولا تغفل فى كل يوم وليلة عَرْض ما جرى الرسم بعَرْضه على الملك من جوامع الكتب الواردة عليه والصادرة منه ، واستئماره فيما تقدم وما ذكره المتقلدون للرد والأخبار ، وإن خصت منزلتك عنده ولطف محلك منه . وأعد جميعه على سمعه وأذِقْه حلاوة الاستبداد بأمره . وأقم فى داره منفذاً لأشغاله لما يحتاج إليه حتى يغلب الشراب عليه أويظعن فى بعض دورحُرُمه ، فتنصرف إلى منزلك وتجتمع مع [٤٧ب] كتابك وعمالك وذوى الرأى والنصيحة على إحكام حال المملكة ، وتقيم على هذا إلى أن تمسى . ثم تشعر طائفة بمدارسة أحكام الشريعة . وتختم سعيك عند نومك برقائق الصحف وأدعيتها ، لينختم يومك بالعفة والطهارة .

وليَهُونْ عليك تعبك أنك مقتدٍ بربك – عز وجل – بمقدار طاقتك ، وأن ثوابك عليه ومزيدك لديه .

فيما يستشعره الوزير مع المتطلعين إلى منزلته والحاسدين له

واعلم أنه لايخلو مَنْ حَلَّ محلَّك من فريق يعانده ، وحَسَدَةٍ تنبزه ، ومتطلعين إلى مرتبته من ذى قرابة من الملك أو حظوة عنده ، يوهم أنه يبلغ بها ما تطاول إليه

(١) الحرم (بضمتين) : النساء لرجل واحد . (٢) الإبارة : الإهلاك .
(٣) ص : أثبتها . (٤) أى بلغة أوكتابة (نوع من " الشفرة " chiffre) .

سُؤله من منزلتك، وذى همة جمحت به إلى أعنان[1] شرفها لايرى أن المراتب تنال إلا بما أخلد إليه، وأنك شاغل لمحله من المملكة ومتمسك بشُعْبة من المعرفة وطائفة من علوم الاصطلاع زادت على [١٤٨] مكانك منها؛ وهو بجهله يذم الزمان فى تقديمه إياك، ويرى أنك قد بخسته ما فضلت به عليه؛ — وآخر رآك فقيراً فيما آثرت فيه رضى ربك وحُسْنَ الاتقاء فى المملكة واحتمل المدافعة به حُسْنُ موقعك وجلالة محلك، فظن أن تراخيك عنه لنقص بك؛ — ومُحْصٍ عليك ما سامحت به مما يُخِيلُ تَنَحُّسَك فى بدنه ويرى عورة فى عواقبه، وهو يظن بك الاختلال فى التدبير.

والصواب: أن تجاهد هذه الجماعة بالزيادة فى فضائلك والتقدم بمناصحتك والترفع عن قصدها، فان المقايسين لفضل ما بينك وبينها كثير، والمناضلين لهم عنك عددٌ جمٌّ. واصطنع ممن ضادهم وطلع عليهم، فانك تنشر بهم معايبهم وتَزُمُّهم بأشكالهم، وتتلقى فوارطهم بحسن الإقالة، وسوءَ قولهم بكرم العفو؛ فان تسلُّطَ الجاهل على نفسه فيما قصر عنه أضرُّ له من سوء ظفر أعدائه به؛

وتأخذَ حاشيتك بالإنصاف للناس، وتتخطى بالعدل فيهم إلى الفضل عليهم. وتختار من تصطنعه، فان اختيار الصنيعة يرد عنك سوء [١٤٨] الذكر وقبيح القول،

وترغبَ إلى الله — جلَّ وعزَّ — بعد هذا فى كفايتك ما فات معرفتَك وقصَّر عنه خوفُك واحتياطُك، فانه لطيف الحراسة، جميل الكفاية.

وأنا أسأل الله — العالم بفاقتى إلى سداد قولك وفعلك، ونجاح سعيك وبقاء حسن الذكر بك — أن يجمع لك بين الرشاد والسداد والتوفيق وثبات النعمة وترادف المزيد، حتى تحب ما أحبَّ لك وتكره ما كَرِه منك؛ ويختم مدتك بأسعد ما انتهت إليه آمالك وتطاول نحوه سؤالك فى الدنيا والآخرة. إنه واسع الفضل قريب الإجابة.

تم عهد الوزير إلى ابنه، بحمد الله وحسن توفيقه

---

(١) أعنان السماء: نواحيها، واحدها عنن وعن؛ وأعنان الشجر: أطرافه ونواحيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقـــة

عهد العامى إلى ولده

كان ملوك اليونانيين يطبّقون العامة ثلاث طبقات : أرفعها مَنْ خَدَم المملكة بماله مثل البزازين(١) والجهازين والصيارف ومن جرى مجراهم ؛ والثانيـة من خدمها بصنعة مثل الصاغة والنجارين والبنائين ؛ والثالثة من خدمها بخبرته وأمانته مثل السماسرة والأمناء والوكلاء .

وكانت تحظُر على الطبقة الأولى قُبْحَ الاحتكار والاشتطاط فى الأرباح ؛ وعلى الطبقة الثانية التجوز(٢) فى الصناعات ؛ وعلى الطبقة الثالثة غبن المسترسل وغش المسترشد .

وكان فى الطبقة العليا منهم رجل محمود السجية ، جميل المعاملة ، كثير المال ، عريض الجاه . قد عَلَتْ سِنّه وله ولد قد لابس الأمور وحَسُن تصرفه فيها . فاستأذن أباه فى الخروج بتجارة إلى نُجْعَةٍ بعيدة ، فلم يأذن له وقال : « يابنى ! إنى أرانى أنقص فى كل يوم ، والنقص مِرْقاة للفناء . وليس [٤٩ب] يعود عليك فى نأْيك عنى بمقدار ما يفوتك بمحاضرتى . ولهذه القطعة من عمرى ربيتك وخرّجتُكَ ، لأنى قدرت مقاومة(٣) قوتك لضعفى وتيقظك لما يشدّ بعلو السنّ عنّى . ورجوت أن يجتمع بنا جميعاً — فيما نصدره — قوة الحُنْكة وسرعة التنفيذ ، إلى أن يحين أجلى فتستر سقطاتى عن تباين قواى ومعاسرة(٤) بعضها لبعض فىّ ، وتُوارى جثتى ، ويكون بك

---

(١) البزاز : بائع البز ، والبز الثياب من الكتان أو القطن ، أو متاع البيت من الثياب . والجهاز : الذى يجهز الجيش بالمؤن والسفن بالبضائع والعروس بالجهاز للعرس الخ .

(٢) التجوز : الإهمال وعدم الإتقان .

(٣) قاومه مقاومة : قام مقامه ، يقال : قاوم الثمن المتاع : أى قام مقامه .

(٤) ص : معاصرة .

تمام صيانتى ؛ ثم تشتمل بعد ذلك على أمرى فتعمر منزلتى وتنفيأ بهدبى . وفى ذلك الوقت تحتاج إلى مجاهدة ظن الحاسد وإجحاف القاصد ورأى المُعْنِت وإطراء المتملق وتكذُّب المحروم . فان صَبَرْتَ لها وقابلتها بحسن الروية وسداد التدبير ، قهرت هذه الجماعة عنك حسيرةً مدحورةً ، وبَعُدَ على القادح أن يقدح فى شىء من أمرك . وإن صرفت(١) بعضها وأخللت مع بعضٍ ، مَلَكَ عليك اختيارك وتهورت فيما لاتستقبله من لؤم ظفر الأيام وتسلط النوائب .

واعلم أن آفة [٥٠ ا] الأحداث فى مِهَنِهم الزيادةُ فى بعض ما تركبت منه تلك المهنة إيثاراً لحسن الذكر، فيخرجون بذلك عن جملتها . والحازم منهم من استعرض أوحادها ، وتأمل مقادير بعضها من بعض فجعلها مثالا لأعماله وأصلاً لما يصدر عنه . واعلم أن مَالك أكبرُ ما أحرز لك المكانة فى أهل طبقتك ، فأقمه مقام الشريك الذى تثق بسرعة إجابته وتحمد حُسْنَ صحبته وترى زيادة جاهك ونقصانه بزيادته ونقصانه . ولا تجمح بك الرغبة فى الازدياد منه إلى طلبِ مُزْرٍ بك أو محظور عليك : فان قليل ما خَبُثَ من المال يمحق كثير ما طاب منه . واعْلم أن ركوب الأخطار فيه من أعظم التغرير به وبمالكه — فتنكَّبْه ما كانت لك مندوحة عنه ، واستحْى لنفسك أن تخلّف منه لولدك دون ما خلّفته لك ، فان السعيدَ مَنْ زاد على حدّه وسلفه وتعدّدَ ذِكْرُه .

واقبض أيدى ولدك عن التتريف(٢) ، فانه أوضح طريق إلى فسادهم وأسوأ ما جاوزت به [٥٠ ب] نِعَم الله عندهم ، لأنه يفسد نفوسهم مع أموالهم حتى يضعفوا عن حراسة النعمة والصبر على ما يُدْفَعون إليه من هجر الدَّعة ومقارعة الإعنات ومَنْ(٣) ساء جواره وقَبُح أثره .

---

(١) ص : وإن صرفت بعضها واحليت مع بعض ..

(٢) أى أى اتخاذ الترف .

(٣) أى : ويضعفوا أيضا عن الصبر على من ساء جواره وقبح أثره ، فيستسلموا له ويفسدوا .

واستعمل الحيلة فى حسن المدافعة عنك وتقريب ما بَعُد عليك . فانها طلق لمن عجز عن المكافحة ولم تأذن له طبقته فى المصالتة (١) . وإذا رأيت مستحسناً لبعض الخاصة فى قدرتك إصلاحه فلا تحفل به ، واذكر ما يركبه صاحبه له ولأمثاله من الأخطار التى قد عوفيت منها ، وأن عدوه فيه وحاسده عليه أكثر من عدوك وحاسدك فيما قصرت به عنه .

واعلم أن الشهوات حُلْوة الموارد مُرّة المصادر ، وأن طاعة الرأى مُرّة المورد حلوة المصدر . وتحمل ما فى بدئها لما فى غِبها .

ولا تَنْسَ التطامن لمن فوقك ، والرأفة بمن دونك ، والإنصاف والتعمد لأهل طبقتك .

وأطع الحرص ما لم يخرجك إلى الحسد والمهانة . واستعمل التلطف ما لم [٤٢ ا] (٢) يبلغ بك إلى المكر والخديعة . وانتهز الفرصة ما خلت من البغى وسوء التحكم . واستصحب فى سعيك من الأمل طائفةً تروِّح بها عن قلبك وتُجِمّ معها قوتك وذلل نفسك للناس . يسهُلْ عليك ما عصاك . وارْضَ بالله لك وعليك . فانك لا تنفك من السروح بين عدله وفضله .

ولا يحملنك ما تراه من قرب الأمور على أهل طبقتك بالسلطان — إلى ملابسته والإكباب عليه والترسم به ، فان موقعك منه موقع السخلة (٣) من الأسد : يحميها فى شِبَعه ، ويطرقها فى جوعه . وقد شبه علماؤنا المخالط للسلطان مِنْ أهل طبقتنا برجل شَقَّ عليه نَقْلُ الماء إلى دراه (٤) ليسقى بستاناً له بها وإصابة حاجاتها منه ، فاحتفر من بحرٍ يجاوره نهراً إلى داره ، فاستمتع به وحسن أثره عليه فى سكون الماء وتقاصره عن الزيادة . فلما زاد ماء ذلك البحر وجاشت أمواجه ، غلب النهر

---

(١) المصالتة : المضاربة بالسيوف ؛ يقصد : المصاولة، الكفاح .

(٢) هذا موضع الورقة ٤٢ التى وضعت من قبل فى غير موضعها .

(٣) السخلة : الشاة .   (٤) أى حاجات الدار (أهل الدار) من الماء .

على الدار فغرق جميع ما فيها من نَبْت وآلة، وكان ما خسره [٤٢ ب] به أضعاف ما توفر عليه منه . — ولا يَغُرُّنْكَ سهولةُ الأمر عليه(١) فى موافقتك ، فانها عليه فى خلافك أسهل . واحذر أن يراك إلا بَيْنَ الإعظام له والحذر منه . وتنكَّبْ الاعتماد عليه فى مطالبة معامليك ، فتنسى حسن المدارة ولطيف التأتى ومزاولة الأمور بالرفق ، وتفسد به عليك نيات مَنْ عاملك . واحذر أن تخرج بأحد إليه إلا بعد أن تعجز حيلتك وتُكْدِى استعانتُكَ عليه بأهل طبقتك ، ويمنعك(٢) وهو واجد لما أوجده الحق لك عليه .

وأثبت مكارمَ إخوانك المحسنين إليك عندك كما تثبت ديون معامليك . وخَلِّص نَفْسَك منها بحسن المكافأة وجميل المراعاة — تَسْلَمْ لك حريتك .

ولا تقرضَنَّ صديقك ما لايسهل عليك أن تهبه له لئلا يشظى(٣) بينكما اقتضاؤك له وتراخيه عن قضائك .

وليكن صبرك على استصلاح مَنْ دونك أكبر من صبرك على استعنات من فوقك ، واحتمالُ من ضَعُف عنك أزيدَ من احتمالك مَنْ قَوِى عليك .

واعلم أن [٥١ ا] أضر مَنْ عاشرته مغريك ومطريك ومن قصرت همته عن همتك ؛ وأن من أخذ نفسه بالطمع الكاذب كذبته العطية الصادقة ؛ وأنه لاتسلم مودة مُعَامِلَيْن حتى تكون رغبتهما فى الحق أزيدَ من رغبتهما فى الربح ، ولا تتم مبايعة(٤) بين صديقين لأن حق المبايعة استغزار البائع الثمن واستصلاح المبتاع السلعة ، وليس تحتمل الصداقة هذين .

واعلم أنه ليس يضبط النعم إلا الراغب فى المسائلة . الصابر على المكافحة ، المستهين باللذة ، الشره على حسن الذكر ، الحسن الانقطاع إلى الشريعة والمداراة للسلطان .

---

(١) أى على السلطان . (٢) الفاعل : من تطالبه بالحق . أى : يمنعك من تطالبه بالحق حقك مع أنه واجده . (٣) أى : يفرق . (٤) مبايعة : عقد صفقة بيع .

واعلم أنه إذا كان موقع البائع منك أكثر من غنائه عنك فهو من صنائع الهوى ، وباليسير يَتَمَحَّصُ مَيْلُكَ إليه . وإذا كان موقعه منك موازياً لغنائه عنك كان من صنائع الرأى وطالت مدة إخلاصه . وإن كان موقعه منك دون غنائه عنك فَنِيّتك مخالِفةٌ لنيته ، ويخاف بذلك فساد ما بينكما . [٥١ ب] .

واعلم أنك إن ظننت بالشىء أكثر مما فيه قعد بك أحوج ما كنت إليه ؛ وإن ظننت به دون ما فيه تظلمت منك قواه ، وكانت موافقته لك أكثر من موافقتك له .

ومن الخطأ البَيِّن أن تستوفى شرائط العلامات وما يُوجبه لك[(١)] العَدْلُ عند استقامة الأمور — فى الأزمنة المضطربة ، فيضيع سعيك وتُنْسَب إلى التخلف فيما عانيت . ولكن ناسِبْ بعملك طبيعة الزمان ما لم يقدح ذلك فى مروءتك ودينك وأخلاقك . فاذا بلغ إلى هذه الثلاثة فخَلِّ عنه ، وإلا خَسِرْتَ من نفسك أكثر مما تربحه فى ذات يدك .

ولا تستهن[(٢)] بصغير الخطأ فى كثير الصواب ، فانه مثل الخِلط المقهور بما ضاده : يخاف تسلطه عند تقصير موانعه .

واحذر أن تستصغر عدواً فتقتحم عليك مكروهةٌ من[(٣)] زيادة مقداره على تقديرك فيه . واعلم أن الإنسان فى سعيه كالعائم يكافح الجرية[(٤)] فى إدباره ويجرى معها فى إقباله .

وإذا استشارك عدوُّك فَجَرِّدْ له النصيحة [٥٢ أ] لأنه بالاستشارة قد خرج من عداوتك إلى موالاتك .

---

(١) ص : له .   (٢) ص : تستهين .

(٣) من : بسبب زيادة ... — أى يصيبك مكروه بسبب زيادة مقداره على تقديرك له .

(٤) الجرية : التيار .

واعلم أنه يثقل على العاقل نَقْلُ صديقٍ له من الصداقة إلى الاستخذال أو إلى المعاملة ، لأنه يحتاج فى الاستخدام إلى تمكن الهيبة منه فى قلب المستخدم ومنافسته على ما توكل به وَرَدْعه عما يخاف وقوعه . وهذا يثقل عليه فيمن صادقه ، وهو فى المعاملة يخاف فرط الدالَّة عليه فيها ويخطئه ما يؤثره العامل منها . والواجب على الحَزَمة من ذوى اليسار إذا قَلَّتْ أموالُ الملك أن يظهروا الفاقة ويقبضوا التوسعة حتى ترجع أمواله إلى وفورها ، فان انتقاص أموال الملك مِحْنَةٌ لحقت الأغنياء بمملكته .

ولا ينبغى لك أن تُظْهِر الأسف على شيء اغتصبته فى هذا العالم ، فلو كان بالحقيقة لما وصل إليه غيرك . واعلم أن الزمان الردئ يَقْلِبُ أعيانَ المنعمين إلى المنع والإساءة بما يظهر فيه من كفر الإحسان ومقابلة الجميل بالقبيح . وينبغى للعاقل أن يخدم فى شبيبته زمانَ هَرَمِهِ [٥٢ ب] قبل مجيئه كما يخدم فى الصيف زمانَ الشتاء قبل هجومه : فانه يجمع الحطب وما لا يصل فى ذلك الوقت إليه لصعوبته عليه — . ولا تَغَيَّظَنَّ بتخليف نعمة لولدك خلفت معها أعداءً وَتَرْتَهم واستحققت قَصْبهم (١) وثلبهم . واعلم أن السيء الحال من انتقلت رئاسة آبائه . فاجعل حذرك من الناس أكثر من رجائك لهم ، وتحرُّزك منهم أكثر من استنامتك إليهم : إذا ضاق عنهم وفرك فليَسَعْهم بِشْرك .

واعلم أن تكبر الحُرّ على مَنْ فوقه ، وتكبُّر النذل على مَنْ دونه .

وإذا شاورت من يضطلع بالمشورة عليك فاصدقه فيها عنك وفى كثير مما يتحرك إليه طِباعُك لتقف على صبرك فيما يوجبه الحق من ذلك . واعلم أن مغادرة المشير عليك من الرأى بمقدار ما خلفته عنه من الصدق . واعلم أنه لا يتبين كلامك مَنْ كان كلامُه لك أحبَّ إليه من استماعه منك ، ولا يعلم نصيحتك مَنْ غلب هواه على رأيك ، ولا يسلم لك من اعتقد أنه أشد معرفةً بما أشرت به عليه منك [١٥٣] .

(١) قصب الرجل قصبا : شتمه .

وينبغى أن تخاف الضعيف إذا كان تحت غاية الإنصاف أكثر من خوفك القوىَّ إذا كان تحت غاية الجور ، فان التضرر بما أتاه من حيث لايشعر .

واعلم أن مَنْ ظَلَمَ العدْلَ كان الله خصمه ، ومن لم تسكن الرحمة قلبه قل لقاؤها له فى خوفه . ومن استعمل الدالَّة هان غيبه وأخطر بمودته . واعلم أن الإنفاق يشبه المحتال عليك الذى يعطيك القليل لتعتمد عليه فى الكثير فيضيعه .

واعلم أن احتمال المكاره فى هذا العالم والصبر على المحن كراء للمحيا وخرج[(1)] يلزمه العاقل لأيام البقاء . واعلم أن مَنْ غَلَبَ الشباب ومساعدةُ الحظ لم ينسياه عن الأمور الفاضلة فهو القوىُّ ؛ ومن تصور صَدَره فى وِرْده وجعله نصب عينه ونجى فكره فهو السعيد البخت ؛ ومن قضى ما أسلف من الإحسان بغير اقتضاء فهو تام الحرية ؛ ومن لم يتأثر بالبلاغات قطع بعدوه[(2)] عليه . واعلم أن الحر ينقص بالنقص إذا لحقه ، والسافل[(3)] ينقص [٥٣ ب] بالمزيد إذا تهيأ له . ومهما نسيت فلا تنس منزلتك فيما تساوره ، ومناهضة ما فى طاقتك والاستعانة بالمحقين فيما أعجزك ولا تغفلن فى كل الأحوال عن ثمرة حسن المداراة . واعلم أن الميل إلى الراحة غفلة عن عدو لا يغفل ، وأنّ من ضعف عن سره لم يَقْوَ بشىء من أمره .

واعلم أن الأحرار تخاف التبكيت كما تخاف العبيدُ الضربَ . والأحسن بك أن تلحق أحوال المستورين قبل فسادها فتمسكها باليسير ، فان مَرَمَّتها أسهلُ من تجديدها . واعلم أن المستور إذا بلغ إلى كشف حاله إليك فقد أطلعك على سره مع بارئه عز وجل ؛ فاحذر ردَّه . واعلم أن الجِـدَة[(4)] لاتكاد تهدى إلى صاحبها صديقاً فيه خير، والشّدة لاتكاد تهدى إلى صاحبها صديقاً فيه شر . واعلم أن أعظم مِنْ فقد النعمة مايتخلف فى نفوس من زالت عنهم من الشهوات المُردية[(5)] والمذاهب الذميمة ، وأفضلَ مِنْ فقد الشدائد ما يتخلف فى نفوس من زالت عنهم من قوة

---

(١) بمعنى فدية وضريبة . (٢) بعد قوله : « بعدوه » بياض بمقدار ٢ سم .

(٣) ص : السفلة . (٤) الجدة : الغنى والنعمة والرخاء . (٥) المردية : المهلكة .

الصبر وذكاء الجوارح وسكون النفس إلى الأمر المحمود . واعلم أن أعظم الفاقات فاقةً [٥٤ ب] الرجلُ إلى حاشيته ، وأن الأخيار يرغبون عند الحاجة والشُّرار يرغبون فى الحاجة والشهوة . واعلم أن تهنّيك ما تكسبه إنما يكون بعد إحماد الناس مذهبك ورضاهم باكتسابك وإصابتهم منه ما تُحرِزُ به الحجةَ عليهم ليكونوا عصمةً لك من ذوى الشِّرَّة ، فان سياسة الغنى للفقير أشد من سياسة الملك للرعية .

واعلم أن إحسانك إلى من كادك من الشُّرار والحَسَدة أغلظُ عليهم من موقع إساءتهم منك ، لأنك تمنعهم به ما تتطلع نفوسُهم إليه من تمام كيدهم لك وبلوغهم المحنة فيك . وليس ينكسر منهم باحسانك إلا مَنْ أفرط من ضيق أحواله وكان فيه ضعف عن معاركتك . واعلم أن المعروف ذخيرةٌ لا يحتاج لها صاحبها إلى حراس : فعاشر الشَّكِس بالتواضع ، والمَهِين بالتمايل ، والباخل بالمسامحة ، والسخىَّ بالرغبة إليه ؛ ولا تُطْلِقْ منها إلا بمقدار ما يرتهن إحمادك والمقاربة لك .

واعلم أن أخبث الأزمنة زمانٌ [٥٤ ب] استفاد المشايخُ عجائبه ولم يشاهدوا(١) ما تواريه ، وأضيق المذاهب(٢) مكان لم تجد فيه مُعيناً لك ولا مشيراً عليك ، وأخوف المسالك حال حَسُنَ فيها مفارقةُ حريتك وجميل أوصافك وتعتذر فيها لرذائلك . وأسوأ المجاورين لك مخالِطٌ يُحرِّفُ حَسَبك ويَحْسُد فضلك ويُشِيع غوائلك .

وإذا حاولت أمراً فلا تجمح فيه ولا ترمِهِ بأكبر جهدك ، وكن فيه مثل الملاح فى قطع عُرْض البحر يسرق له الجرية والرياح ؛ واستعمل الإخلاص فيما عجزت عنه ، لأنه ربما كان الإغراق فى الأمر سبباً لفيولته(٣) والإخطار بصاحبه فيه .

واعلم أن كساد السلع أسهل من مقامها فى ذمة من ساء قضاؤه وكان تصرفه مع الأيام فى معاشه ، وأن المضطر إليها يستميلك فيها بالزيادة بالربح ليحتازها ،

(١) ص : يشادوا (!) . (٢) ص : مذهب .

(٣) ص : لقبوله . والفيولة : مصدر فال رأيه يفيل : أخطأ وضعف .

وإنما يعطيك قولا لايصح لك ، بفعلٍ قد صحّ له ؛ ويغيظك[١] من حسن مجاورتها الإحضار فى ميدان المواعيد . فان كان الإخلاف مع هذا سهلًا عليه والحياء بعيداً[٢] منه احتجت إلى مقابلة [٥٥ ا] هـذا بما يزيل مروءتك فى الحقيقة وموقعك من الشرف . وليس يعدل هذا شيءٌ من مطالب السعى .

واعلم أن اعتقادك[٣] المستغلات التى لاضريبة فيها للسلطان ولا شركة لإنسان من تمام سترك ومروءتك ؛ فاحرص أن تحرز منها ما تقيمك غَلّتُه فانها ضَمْدٌ لما عوملته متكفل بينك وبين أصحابه . ولا تُخلِ نَفْسَك مِنْ دَيْنٍ يكون عليك لمن تأمن ناحيته وتسكن إلى مودته من أهل طبقتك ؛ ولا تتحمل مِنَّةً إلا ما كان فى يديك أضعافه ، فانك تعرف به من قصر عنك ، ويعتذر بك من عاناه ليتم أمره ويكون ستراً عليك فى وقت ضرورتك إليه . ولا يخرجنّك كثرةُ مالك إلى التصدى للناس بهيئةٍ[٤] توازى فى الهيئات حالك فى الأحوال ؛ ولتكن هيئتك دون منزلتك فى الجدة ومن قلوب الناس ، فانك تبتاع بذلك حُسْن النيات وتردع به حسد الحاسد وطَعْن الطاعن .

واستعمل المحاجزة بينك وبين الشُّرار ، وكُنْ منهم فى ستر ، ولا تُؤنسهم [٥٥ ب] بقضاء حوائجهم وبلوغ محبتهم فيزيد[٥] أمرُهم عليك وتُعْجِز رغبتُهم طاقتَك وتُمكِّن لهم سبيلا إلى ذمك واستقصارك .

ولا تبذل العفو من مالك إلا لمن ضعف عن الاكتساب بزمانةٍ لحقته أوسِنّ علت به أو عيلَةٍ زاد نابُها على مقدار اكتسابه[٦] . وما تخطى ذلك فَحَرِّكه إلى التشاغل ، وأَوْسِعْ عليه فى الأجرة بمقدار ما تصله من الصلة .

---

(١) ص : ويعصك (بغير نقط) .
(٢) ص : بعيه .
(٣) اعتقد ضيعة ومالا : اقتناهما .
(٤) ص : هيئة .
(٥) ص : ويريد .
(٦) ص : نابها (!) .

واعلم أن للجاه زكاةً تجب على صاحبه ، وهى : السعى فى إنصاف المظلوم وقضاء حاجة المستور ، وتقريب النُّجح ممن أَعْجَزَ جاهُه وعَزَبَ عليه ما عاناه من أمره — فهذه تزينه وتزيد فيه (١) .

واعلم ، يا بنى ! أنه ما أتلف أصولَ الأموال مثلُ الإغراق فى طلب الربح ، ومقارعةِ الرجل أهلَ طبقته ومَنْ هو أعلى منه ، وتشبُّهه فى زيه بمن يزيد عليه فى الجِدَة والقدرة ، واستهانته بمن قصر عنه من أهل الثَّرْوة ، و إغفال الشكر على المواهب — فتنكَّبْها تَسْلَمْ من هذه الأخطار .

واعلم انك بعين الله تعالى فى تصرفك وتقلبك ، وأنه مُطَّلع على [٥٦ ا] خائنة قلبك وما عقدت عليه نيتك . فَخَفْ خِلافه واجْرِ إلى طاعته — يجمعْ لك بين إحسانه فى الدنيا ورضاه فى الآخرة .

وأنا أسأل الله — الذى وسِعَ خلقه مِن جُوده ما أعجز أذهانهم وفَضَل عن آمالهم — أن يُرْشِد سَعْيك و يحسِّن الاختيار لك ، و يحيى بك ما رَثَّ من ذِكْرى ودَرَس من أمرى ، ويجعل سعيك فى هذه الدنيا لك ، ولا يجعله عليك . إنه سميع الدعاء ، قريب الإجابة .

آخر عهد العامّى إلى ولده

][تم كتاب "العهود اليونانية" ، بحمد الله وحسن توفيقه والصلاة على خيرته مِنْ خلقه محمد نبيه وآله وصحبه أجمعين][

][كتبه العبد الفقير الى رحمة ربه أبو الحسن بن أبى طالب ابن الدقاق ، حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد وآله وصحبه][

---

(١) أى : هذه الأعمال المذكورة تنمى الجاه وتزيد فيه وتزينه .

كتاب السياسة فى تدبير الرياسة

المعروف بـ « سر الأسرار »

الذى ألفه الفيلسوف الفاضل أرسطاطاليس لتلميذه الملك المعظم الإسكندر بن فيلبس

المعروف بـ « ذى القرنين »(1)

رموز المخطوطات

ى — مخطوط ليدن ٧٤٩ (٣) ڤارنر .

ن — مخطوط رقم ٦٥٠ فى منشن (مونيخ) بألمانيا .

ج — مخطوط برلين رقم ٥٦٠٤ (ألڤرت) .

ق — مخطوط رقم A.F.354d فى ڤينا .

ب — مخطوط برلين رقم ٥٦٠٣ (ألڤرت) .

ص — مخطوط رقم ٢٤١٧ بالمكتبة الأهلية بباريس .

س — مخطوط رقم ٢٤١٨ » » »

ع — » » ٢٤١٩ » » »

م — » » ٢٤٢٠ » » »

ل — » » ٨٢ » » »

---

(١) هكذا فى م ؛ وفى ص لم يرد عنوان ؛ وفى س : "كتاب السياسة فى تدبير الرياسة المعروف بسر الأسرار" ، الذى ألفه أرسطاطاليس لتلميذه الإسكندر ذى القرنين ؛ وفى ع : "كتاب السياسة فى تدبير الرياسة والفراسة" تأليف الفيلسوف الفاضل الرئيس الحكيم أرسطاطاليس، وفى ب : "كتاب السياسة فى تدبير الرياسة" تصنيف الحكيم الفاضل أرسطاطاليس لتلميذه الملك الإسكندر بن فيلبس اليونانى المعروف بذى القرنين .

[١ ب] بسم الله الرحمن الرحيم (١)

أما بعد !

أصلح الله أمير المؤمنين ، وأيده على حماية الدين ، وأبقاه لرعاية أحوال المسلمين (٢) . فان عبده امتثل أمره ، والتزم ما حدّه من البحث عن كتاب «السياسة (٣) ، فى تدبير الرياسة » ، المعروف بـ « سر الأسرار » الذى ألفه الفيلسوف الفاضل أرسطاطاليس بن نيقوماخوس المقدونى (٤) لتلميذه الملك الأعظم إسكندر بن فيلبس الفلوذى المعروفُ بـ «ذى القرنين» — حين كَبِرَ سِنّه وضَعُفَت قوته (٥) عن الغزو معه والتصرف له . وكان إسكندر قد استوزره وارتضاه واستخلصه واصطفاه ، لِما كان عليه من صحة الرأى واتساع (٦) العلم وثقوب الفهم ، وتفرُّده بالخلال السنية والسياسة المرضية والعلوم الإلهية (٧) ، ولهذا عدّه كثيرٌ من العلماء فى عداد الأنبياء . ولقد رأيتُ فى كثير من تواريخ اليونانيين أن الله أوحى إليه : "إنّك إلى أنْ أسميك ملكاً [٢ ا]

---

(١) س : الحمد لله رب العالمين ، وصلوات على أنبيائه أجمعين .

(٢) س : العالمين ، وفى الهامش تصحيح : المسلمين .

(٣) ص : ما حده على البحث على علم السياسة ، ع : البحث على كتاب ... ق ، م : والتزم ما أخذه من البحث على كتاب ...

(٤) فى س ناقصة . وفى ص ، م : المحدوى ، وكذا فى ق — وفى سائر النسخ : المجدونى .

(٥) الضمير يعود إلى أرسطاطاليس . الفلوذى : نسبة إلى مدينة فلا Πελλα فى مقدونية ، وتقع على مرتفع قريب من مستنقع ناشىء عن فيضان نهر لوداس . وكانت تسمى « بونوميا » Bounomia وظلت ضئيلة الشأن إلى أن جاء فيلبس الذى ولد فيها فجعلها عاصمة الملك . واستعمرها الرومان وسموها Colonia Julia Augusta Pella . وقد بقى منها الآن بعض الخرائب . والأصل فى النسبة إليها « فلاوى » ، ولكن لعل المترجم نسبها على غرار النسبة إلى مرو : مروزى (فتكتب بالزاى إذن) ، أو ظن أن النسبة Πελλαδος فجعلها : فلوذى .

(٦) ص : اتباع ، وكذا فى س ، م .

(٧) س : مع التمسك بالورع والتقى والتواضع وحب العدل و إيثار الصدق ولهذا ... (وفى هامشها : والتنسك والورع ...) . ع : مع الورع والتقى والتواضع وحب العدل و إيثار الصدق . م : مع التمسك والورع والتقى ...

أقربُ من أن أسميك إنساناً " . وله غرائب عظيمة وعجائب كثيرة(١) يطول ذكرها(٢) . واختُلِفَ فى موته : فقالت طائفة بأنه مات موتاً(٣) وله هرمٌ معروف ، وقالت طائفة إنه ارتفع إلى السماء فى عمود من نور . فبلغ الاسكندرُ — بحسن رأيه واتباع أمره — إلى ما(٤) شاع عنه من الاستظهار على المدن والأمصار وتملكه جميع الممالك ونفوذه فى أقطار الأرض والمسالك طولا وعرضاً حتى(٥) دانت له الأمم عرباً وعجماً ولم تنقُض(٦) له قولًا ولا خالفت له رسماً .

وله إليه(٧) رسائل سياسية أُلِّفَتْ على محبته القلوبَ وبلغته غاية المحبوب .

فمنها : رسالته التى جاوب بها الاسكندر(٨) . وذلك أنه لما افتتح بلاد فارس وتملك عظماءهم خاطب أرسطاطاليس يقول : "أيها المعلم الفاضل ، والوزير العادل ! إنى أعلمك(٩) أنى قد وجدت قوماً بأرض فارس لهم عقول راجحة وأفهام ثاقبة يتوقعُ(١٠) ممايلتهم على المملكة وقد عَزَمْتُ على قتلهم جميعاً — فرأيك(١١) فى ذلك " .

---

(١) كذا فى ص . وفى س : متسعة (وفى هامشها : وعلوم حكمية) . وفى م : سنية . وفى ع تنقص العبارة : وله ... ذكرها .

(٢) س : شرحها .

(٣) س : مات موتة وله هرم معروف . ع : مات موتة وقالت طائفة إن له قبراً معروفاً وقالت طائفة إنه ارتفع فى عمود من نور .

(٤) س : شهرعنه . م : اشتهرعنه . وفى ع ابتداء من هنا اختصار ولهذا لن نتابع قراءتها حرفياً .

(٥) س : وذلت له الأمم عرباً وعجما حتى ملك الدنيا بأجمعها وكل ذلك (فى الهامش : بإرادة الله تعالى) وسياسة أرسطاطاليس وتدبيره لأمره .

(٦) م : ولم تعص له أمراً ولا خالفت له عملا .

(٧) إليه : ناقصة فى م .

(٨) ص : اسكندر .

(٩) إنى : ناقصة فى ص ، وموجودة فى م ، س .

(١٠) س : متوقع أمثالهم ، وفى هامشها : وترأس على الملوك وعصيان للمهالك ، وفى ص : متوقع أميالهم على المملكة . وفى م : ناقصة . ومايله ممايلة : أغار عليه . يقال : مايلنا الملك فمايلناه : أى أغار علينا فأغرنا عليه .

(١١) م : فما رأيك .

فجاوبه الحكيم (١) أرسطاطاليس : « إن كنت عازماً على قتلهم جميعاً وقادراً على ذلك بملكك (٢) إياهم ، فلست بقادر على تغيير هوائهم ومائهم وبلدهم . فاملكهم بالإحسان إليهم والمبرة بهم (٣) — تظفرْ بالمحبة منهم . والسلام ! »

فبلغ الاسكندر كلامه فامتثله . فكانت الفرس جميعاً (٤) أطوع أُمّةٍ دانت له .

قال الترجمان يوحنا (٥) بن البطريق : فلم أدع هيكلا من الهياكل التى أودعت الفلاسفةُ فيها أسرارها إلا أتيته ، ولا عظيما من عظماء الرهبان الذين لطفوا بمعرفتها (٦) وظننت مطلوبى عنده إلا قصدته — حتّى وصلت إلى الهيكل الذى كان (٧) بناه [٢ب] اسقلابيوس لنفسه ؛ فظفرت فيه بناسك متعبد (٨) مترهب ذى علم بارع وفهم ثاقب فتلطفت له واستنزلته وأعملت الحيلة حتّى أباح لى مصاحف الهيكل المودعة فيه ، فوجدتُ فى جملتها المطلوبَ الذى نحوه قصدتُ وإياه ابتغيت .

فصدرتُ إلى الحضرة المنصورة ظافراً بالمطلوب والمراد ؛ وشرعت — بعون الله تعالى وتأييده (٩) وسعد أمير المومنين وجده (١٠) — فى ترجمته . ونقلته (١١) من اللسان اليونانى إلى اللسان الرومى ، ثم من اللسان (١٢) الرومى إلى اللسان العربى .

---

(١) فجاوبه الحكيم : ناقصة فى ص . وفى م : فأجابه أرسطاطاليس : إن كنت قد عزمت ...
(٢) س : على ذلك منهم تملكك إياهم . (٣) س : لهم ، وكذا فى م .
(٤) جميعاً : وردت فى ص . وفى م : جميعهم . وناقصة فى س .
(٥) س : يحيى . (٦) س : لمعرفتها .
(٧) س : إلى هيكل عبدة الشمس . وفى الهامش : عبد ... ؛ — كان : ناقصة فى م .
(٨) متعبد : ناقصة فى س . وفى "طبقات الأطباء" لابن جلجل : براهب متناسك .
(٩) وتأييده : ناقصة فى ص . تعالى : ناقصة فى س ، م .
(١٠) ص : وجدته — وهو تحريف . (١١) م ، س : ونقله .
(١٢) اللسان : ناقصة فى م . من اللسان الرومى ... : هذا الكلام غريب ! فما هو المقصود بقوله : من اللسان اليونانى إلى اللسان الرومى ؟ هل يقصد باللسان الرومى اللسان اللاتينى ؟ لا يمكن ، لأنه ليس من المعروف أن أحداً من مترجمى القرن الثالث فى الشرق قد ترجم من اللاتينية . لهذا فسرها Fulton — كيف ، لسنا ندرى ! — بأنه يقصد السريانى . وقد اقترح علينا الدكتور طه حسين : « الإرمية » أى السريانية ؛ والاقتراح بارع ، لقربه من رسم الكلمة ، ولكن ما الحيلة إزاء إجماع النسخ كلها على كتابتها : «الرومى» ؟ فضلا عن أننا لم نعثر فى ذلك العصر على التعبير : «الإرمية» للدلالة على السريانية .

وكان أول ما ألفيت فيــه نسخة جواب(١) الفيلسوف أرسطاطاليس إلى الملك الاسكندر وهي :

وَقَفْتُ أيها الابن النبيل(٢) والملك العدل الجليل — أرشدك الله إلى سبيل الهدى ، وعصمك من الزيغ والهوى(٣) ، ووفقك لحيازة(٤) الآخرة والأولى — على كتابك الذي تذكر فيه ما داخلك من الاشتياق لتخلفى عنك(٥) وقعودى عن مشهدك . ورغبت أن أجعل(٦) لك قانوناً تجعله لجميع مآربك ميزاناً تقيمه مقامى فينوب فى جميع أمورك منابى . على أنك قد علمت أن قعودى عنك لم يكن لزهد فيك ، ولا كان إلا لكبر سنى وضعف قوتى(٧) . وبعد !

فان الذى سألته من ذلك الأمر لاتحمله الصدور الحية فضلًا عن القراطيس الميتة ! لكن الذى حَقَّ علىَّ بسؤلك ألزمنى إسعافَك ، كما أنه يجب لى عليك أن لاتكلفنى من إذاعة هذا السر أكثر مما أودعتُه هذا الكتاب(٨) ، إذ بلغتُ فيه حداً [١٣] أرجو أن لايكون بينك وبينه حجاب بما جَبَلَكَ الله عليــه من الفهم ، ومنحك من فاضل العلم . فتدبَّرْ رموزه بما تقدم إرشادك إليه(٩) وتوقيفى لك عليه — يَسْلَسْ لك القياد ويمكنك من ذلك المراد ، إن شاء الله تعالى(١٠) . وإنما رمزت الأسرار المحظورة وغَوَّرْتُ(١١) المعانى المكتومة لئلا يقع كتابُنا هــذا فى أيدى جَوَرَةٍ(١٢) مفسدين وفراعنة متجبرين فيطلعوا على ما لم يجعلهم الله أهلًا لعلمه ولا ارتضاهم لفهمه ،

---

(١) جواب : ناقصة فى ص . (٢) س : الابن البار النبيل .

(٣) ص : الزيغ بالهوى . س : زيغ الهوى . م : الزيغ والردى .

(٤) كذا فى س . وفى سائر النسخ : بحيازة . (٥) ص : منك .

(٦) س : فى أن أقيم لك قانوناً تجعله لجميع تدابيرك (فى الهامش : مآربك) ...

(٧) ص : لكبر سنك (وهو تحريف) وضعف مروقى .

(٨) س : فإذا بلغت فيه إلى حد أرجو...

(٩) إرشادك إليه : ناقصة فى س . (١٠) تعالى : ناقصة فى ص .

(١١) ص : وعورات — والتصحيح فى س ، م . (١٢) ص : المفسدين .

فأكونَ قد جُزْتُ(١) العهد الذى أُخِذَ علىَّ ، وفضحتُ سراً أظهره الله إلىَّ ، وأنا أعهد إليك فى حفظه كما عُهِد إلىَّ(٢) . فمن أذاع سره وهتك ستره فهو غير آمنٍ سوءَ عاقبةٍ مُعَجّلة . والله يعصمك وإيانا برحمته .

وبعدُ ! فانى أذكر لك قبل كل شىء ما أجعله رَيْحانة أُنْسك : من أنه لابد لكل ملِكٍ من مَدَدَيْن يخصه أحدهما وهُو قوى النَّفْس : تقوى بها نفسه ولا يتم له ذلك إلا باجتماعها ، فان باجتماعها يقوى الرئيس على المرءوس ، كما أن باختلافها من المرءوس يقوى عليه الرئيس . وأنا أوضّح العلة التى توجب اجتماعها للرئيس . والعلة فى ذلك علتان : ظاهرة وباطنة . وقد أوقفتك على الظاهرة منها ، وهو(٣) أن تسوسهم وتعينهم ، وذلك مجموع فى المال بسياسةٍ سيأتى ذكرها فى موضعها(٤) . والمدد(٥) بالمال هو التالى لمدد النفوس فى العمل ، وهو السابق فى المرتبة . وله علتان : ظاهرة وباطنة . فالعلة الظاهرة هو ما تجمعه الرعية ببسط العدل فيها والرفق بها . والعلة الباطنة هو سر الأولياء الفضلاء الذين ارتضاهم الله — عز وجل — له وأودعهم علمه . وأنا أودِع لك هذا السر فى فصول من هذا الكتاب ظاهرها [٣ب] حكمة ووصية ، وباطنها هى البِغْية . فاذا تدبَّرْتَ أمورها وتفهَّمْتَ رموزها ، نِلْتَ بها غاية أمانيك(٦) وأقصى أراجيك ؛ فكن بها سعيداً . وفقك الله لفهم العلم وتفضيل أهله .

وكتابى هذا عشر مقالات(٧) :

المقالة الأولى : فى أصناف الملوك ؛

المقالة الثانية : فى حال الملك وهيئته وكيف يجب أن يكون مأخذه فى(٨) خاصة نفسه ، وفى(٩) جميع أحواله وتدابيره(١٠) .

---

(١) س : خسرت . (٢) ص : على — والتصحيح عن س ، م . (٣) س : وذلك أن ...

(٤) ص : موضعه . (٥) م : والمراد بالمال . س : والمال هو المدد الثانى لمدد النفوس فى العمل .

(٦) كذا فى س ، م . وفى ص : آمالك . (٧) فى مخطوط ى (= ليدن ٧٤٩ (٣) فارنر) وهو يمثل الرواية المغربية لهذا الكتاب : « وكتابى هذا ثمانى مقالات . فالمقالة الأولى ... » وذلك أن الرواية المغربية أدمجت الرابعة والخامسة والسابعة معاً فجعلتها مقالة واحدة . (٨) حـ : عن . — هيئته : فى ن : هيئته . (٩) بغير واو فى ن . (١٠) كذا فى ى ، ن — وفى غيرهما : وتدبيره .

المقالة الثالثة : فى صورة العـدل الذى به يكمل المـلك وتساس به الخاصـة والعامة جميعاً[١] ؛

المقالة الرابعة : فى وزرائه وعددهم ووجهة سياستهم[٢] ؛

المقالة الخامسة : فى كُتّاب سِجِلّاته ومراتبهم ؛

المقالة السادسة : فى سفرائه وهيئاتهم ووجه السياسة فى بعثهم ؛

المقالة السابعة : فى النـاظرين على رعيتـه والمتصرفين فى خدمـة خـراجاته وما يتعلق بذلك من أمور دواوينه[٣] ؛

المقالة الثامنة : فى سـياسة قُوّاده والأكابر والأساورة من أجناده ومَنْ دونهم[٤] من طبقاتهم ؛

المقالة التاسعة : فى سـياسة الحروب وصـورة مكايدها والتحفظ من عواقبها وتوجيه لقاء الجيوش ، والأوقات المختارة لذلك[٥] ، وفى[٦] وقت خروجه ، واسم القائد المتولى للجيوش والحروب ؛

المقالة العاشرة : فى علوم خاصّيّة[٧] من علم الطِّلّسمات وأسرار النجوم واستمالة النفوس ، وخواص الأحجار والنبات وغير ذلك ممـا ينتفع به فيما قدمناه — إن شاء الله تعـالى .

---

(١) س : والعامة به . م : فى صورة العدل الذى يكمل به النظام وتساس الخاصة والعامة به جميعا. س : فى صورة العدل الذى به يكمل الملك وتساس الخاصة والعامة به (بالهامش : أتم سياسة) . ى : العدل الذى به يكون الملك وتساس الخاصة والعامة . من الملك : ناقصة فى س ، ص ، م.

(٢) س : ووجه . ى : فى وزرائه وكتابه والناظرين على رعيته وجنده ووجه سياستهم .

(٣) وما يتعلق ... دواوينه : ناقصة فى س . — ن : فى الناظرين على رعيته والمتصرفين فى خدمته .

(٤) ى : ومن دونهم منهم على اختلاف طبقاتهم . (٥) س : لذلك ، وفى وقت تدبيره وعقد ألويته . م : وعقد الثورة والوثبة . ن : من ذلك . (٦) س : ووقت خروجه واسم القائد المتولى للحرب . ى : والتحفظ من عواقبها وترتيب الجيوش < و > الأوقات المختارة لذلك فى وقت تدبيره وعند الوثبة ووقت خروجه وتحريكه فى جميع أعماله . (٧) ص : خاصة . ى : والمقالة الثامنة فى علوم خاصية وأسرار ناموسية من الطلسمات واستمالة النفوس وخواص الأحجار ومنافع الحيوان ونكت غريبة من أسرار الطب ما تدفع به السموم وتغنى عن طبيب ، وغير ذلك مما ينتفع به فيما قدمنا إن شاء الله تعالى . — ق : فى علوم خاصية من علوم الطلسمات . ر : المقالة السابعة فى علوم خاصية وأسرار ناموسية من الطلسمات واستمالة النفوس وخواص الأحجار والنبات والحيوان ، ونكت غريبة من أسرار الطب وما تدفع به السموم القاتلة <وتغنى> عن طبيب وغير ذلك مما ينتفع به فيما قدمناه إن شاء الله تعالى (وإذن يتفق مع ى) .

المقالة الأولى فى أصناف الملوك

الملوك أربعة (١) : ملك سخىٌّ على نفسه ، سخى على رعيته ؛ وملك سخى على نفسه لئيم على رعيته ؛ وملك لئيم على نفسه [٤ ا] لئيم على رعيته ؛ وملك لئيم على نفسه سخىٌّ على رعيته .

أما الرُّوم فقالت : لاعيب على المَلِك إذا كان لئيماً على نفسه سخياً على رعيته . وقالت الهند : اللؤم على نفسه (٢) وعلى رعيته صواب . وقالت الفرس — رداً على الهند : الملك السخى على نفسه وعلى رعيته مصيب . وأجمع الكل منهم على أن السخاء على نفسه مع اللؤم على رعيته عيب وفساد للملك .

وقد وجب علينا — إذ نصبنا أنفسنا للبحث — أن نبين ما السخاء ، وما اللؤم ، وما إفراط السخاء ، وما الآفة (٣) التى تكون مع (٤) تقصيره . وقد ظهر أن الكيفيات لا (٥) تعاب إذا بعُدَتْ مع الخاستين ولا يلزمها ذمٌّ فى القول (٦) ، وأن تدبير السخاء صعب ، وتدبير اللؤم سهل .

وحد السخاء بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة ، وأن يُوَصَلَ ذلك إلى من يستحقه بقدر الطاقة . فمن جاوز هذا فقد أفرط وخرج عن حد السخاء إلى التبذير والسَّرَف ، وذلك أن من بذل ما لايُحتاج إليه كان غير محمود ؛ ومَنْ بَذَلَه فى غير وقته كان كالباذل (٧) على شاطئ البحر . ومن أوصل ما لايحتاج إليه وكان ذلك على غير

---

(١) ن : الملوك أربعة : ملك سخى على رعيته ، وملك لئيم على نفسه وعلى رعيته فأما الروم — (وهنا نقص) . — ر : الملوك أربعة : ملك سخى على نفسه سخى على رعيته ، وملك لئيم على نفسه لئيم على رعيته ، وملك سخى على نفسه لئيم على رعيته وملك لئيم على نفسه سخى على رعيته .

(٢) ى : على نفسه مع اللؤم على رعيته عيب وفساد للملك (وهنا تحريف ونقص) .

(٣) ص : الألفة — وهو تحريف ظاهر . (٤) س : من .

(٥) لا : ناقصة فى س . (٦) م : القبول .

(٧) م : كابذال . س : كالطارق الماء .

استحقاق ، كان كالمجهِّز عدوَّه على نفسه . وكل من يبذل ما يحتاج إليه فى وقت الحاجة إليه ويُوصِل ذلك إلى المستحقين له فهو سخىٌّ على نفسه وعلى رعيته ، مصيبٌ فى أفعاله ، سائسٌ لأمره . وهذا الذى سمته الأوائل سخياً كريماً لا الذى[1] يبذل المواهب ويعطى الرغائب من لايستحقها — فذلك المبذر المفسد لأموال المملكة . والبخل ، بالجملة ، اسم لايليق بالملوك ولا يقترن بالمملكة . ومتى كان فى جِبِلَّة مَلِكٍ من الملوك ، فواجبٌ عليه أن يُسَلِّم عطايا مملكته إلى ثِقَةٍ يرتضيه مِنْ خاصّته مِمَّنْ يمسك عليه[2] .

يا إسكندر ! [٤ ب] أنا أقول : أىُّ مَلِكٍ تجاوز فى السَّعة ما ليس فيه[3] وكَلَّفَ مملكته ما لاتحتمله ، فقد هلك وأهلك . كما أنى أقول : يا إسكندر ! وقديماً لم أزل أذكر لك[4] أن السخاء والكرم وبقاء الملك إنما هى بالإمساك عما فى أيدى الناس والكفِّ عن أموالهم[5] . ولقد رأيت لهرمس الأكبر فى بعض وصاياه : « من المروءة التامة للملك ورجاحة عقله وبقاء ناموسه أن يكفَّ عن أموال الناس » .

يا إسكندر ! لم يكن سبب خراب ملك هنانج[6] إلا أن همّتهم شَفَتْ على خراجاتهم فامتدوا إلى أموال الناس فلجأوا إلى هيكل أبرق فاستغاثوا إلى الله تعالى فأرسل عليهم ريحاً عقيماً أهلكتهم وقامت الجماعات عليهم فباد ملكهم . ولو لم يكفهم الله بما كفاهم ، لكان وجه العقل[7] مؤدياً إلى فساد أحوالهم وخراب ملكهم ، لأن المال علة[8] لبقاء النفس الحيوانية فهو جزء منها ، ولا بقاء للنفس بعد فناء ذلك الجزء .

---

(١) أى : ليس هو الذى ... (٢) م : من يمتسك عليه . س : من خاصة ، كما يلزم من كان فى جبلته التبذير أن يسند أمر عطاياه إلى ثقة يرتضيه من خاصته ممن يمسك عليه .

(٣) ص : ليس فيه تقصير . (٤) س : أقول لك . (٥) م : والكف عما فى أيديهم وأموالهم .

(٦) ص : هنامج . م : هتانيج . س : هناخج . ى : هناخيج .

(٧) كذا فى ص ، م . وفى س : العدل . (٨) س : هو علة .

يا إسكندر ! ومن السخاء والكرم تركُ التجنى وتركُ البحث عن باطن العيوب والإمساكُ عن ذكر المواهب ، كما أن من(١) تمام الفضائل الصفحَ عن التوبيخ(٢) وإكرام الكريم والبِشْرَ فى اللقاء وردَّ التحية والتغافل عن خطأ الجاهل .

يا إسكندر ! قد بينتُ لك ما لم أبينه لهم . وقد تقرر من هذا فى نفسك ما أرجو أن يكون بامتثالك له وفورُ عقـلك . والآن أقول لك حكمة مختصرة < تُغْنِي > ولو لم أقل لك غيرها(٣) :

يا إسكندر ! العقـل رأس التـدبير وهو صلاح(٤) النفس ومرآة العيوب وبه تذل المكروهات وتعز المحبوبات ؛ وهو رأس(٥) الممدوحات وأصل المفاخر .

يا إسكندر ! أول آلة العقل الميلُ [٥ ا] إلى الذِّكْر وإنه لمن مال إليه بالإفراط سبب مكروه مذموم ؛ فالذكر هو المطلوب . والرياسة ليست تراد لنفسها وإنما تراد للذكر الجميل(٦) . فأول منازل العقل الذكر ، والرياسة تنتج حُبَّ الذِّكْر . فان طُلِبَتْ على غـير وجهها أنتجت الحسـد ، والحسد ينتج الكذب ، والكذب هو أصـل المذمومات . ونتيجة الكذب النميمة ، والنميمة تنتج البغضاء ، والبغضاء تنتج الجور ، والجـور ينتج التصادم ، والتصادم ينتج الحقـد ، والحقد ينتج المنازعة ، والمنازعة تنتج العـداوة ، والعداوة تنتج المحاربة ، والمحـاربة تنتج نقض البنية وتنفى العمارة ؛ وذلك إلى مخالفة الطبيعة ، ومخالفة الطبيعة فساد الأمر كله .

وإذا نازعت الرياسـة(٧) العقـل من جهتها ينتـج منها الصـدق ، والصـدق ينتج الورع ، والصدق أصل الممدوحات وهو ضد الكذب . ونتيجة التُّقَى العدل ، ونتيجة العدل الألفة ، ونتيجة الألفة الكرم ، والكرم ينتج المؤانسة ، والمؤانسة تنتج

---

(١) من : ناقصة فى ص .   (٢) التوبيخ : كذا فى س ، ى . وفى ص : اللوم . وناقصة فى م .

(٣) ص : عنها .   (٤) س : سلاح .   (٥) ص : أس .

(٦) الجميل : ناقصة فى س ، ى .   (٧) فى المخطوطات : نازعت حب الرياسة ...

الصدق ، والصداقة[1] تنتج البذل والمحاماة . وفى ذلك ما أقام البنية[2] وعمر الدنيا ، وذلك موافق للطبيعة . — فقد ظهر أن طلب الرياسة من وجهها ممدوح باق .

يا إسكندر ! تجنب مساعدة الشهوات فإنها تُهلك ؛ لأن الشهوة تنتج الميل إلى تبليغ النفس البهيمية نفسها من غير روية فيُسَرّ[3] الجسمُ الفانى ويهلك العقلُ الباقى .

فمساعدة[4] الشهوة تنتج السمن ، وحب السمن يورث البخل ، والبخل يورث حب الغنى ، وحب الغنى [٥ ب] يورّث النذالة ، والنذالة تورث الطمع ، والطمع يورث الخيانة ، والخيانة تورث السرقة ، والسرقة تهتك المروءة ، ومنها تكون المحاربة التى تسوق[5] إلى نقص الدين ونقض الألفة وخراب الدنيا . وذلك خلاف الطبيعة .

والله سبحانه وتعالى أعلم[6] .

---

(١) ص : المحاباة .   (٢) س : السنة . وكذا فى ى .

(٣) ص : فيسود الجسم الفانى ويحزن القلب الباقى .

(٤) من هنا حتى آخر المقالة ناقص فى ى .   (٥) ص : تؤول .

(٦) غير موجودة فى ن ، ق الخ .

المقالة الثانيـــة

في حال الملك وهيئته[(١)] وكيف يجب أن يكون مأخذه[(٢)] في خاصة نفسه

أول ما يجب على الملك في خاصة نفسـه أن يختص باسم علم مشهور يعرب[(٣)] به عنـه ويُخاطَب به ليشرف[(٤)] به على من سـواه ، وذلك أنه علَمٌ يشار إليـه وغرض يُقصَد نحوه .

يا إسكندر ! أي ملك أَخْدَمَ مُلْكَه دينـه فهو مستحقٌ الرياسـة . وأي ملك جعل دينـه خادماً لملكه فهو مستخف[(٥)] بناموسه . ومن استخف بالناموس قتله الناموس . وأنا أقول — وطالما قاله الفيلسوفون[(٦)] الإلهيون المطهرون الذين حذونا حذوهم رضوان الله عليهم : إن أول ما يجب على الملك أن يحذر نفسه به رعاية[(٧)] جميع حدود الله كلها من غير تضييع لشيء من أوامرها ونواهيها ؛ وأن يظهر للعامة التقشف مع اعتقاد لذلك ، لأنه متى أظهر خلاف ما يضمر لم تجمل جبلته[(٨)] ، إذ لا يخفى على الأنام ؛ وأن لا يرضى بشيء من ترك واجباتها ، ولو جر ذلك المال الجسيم ، فان هذا يرضي بارئه ويتحبب < به > إلى عباده .

ومما يقترن بهذا[(٩)] تعظيمُ مَنْ تدور أعباء المِلة عليهم كالقضاة الصالحين العاملين والفقهاء المتدينين والأئمة . ثم يكون عظيم الهمة من غير جبروت ، واسع الفكرة ، جيد البحث ، متطلعاً إلى العواقب ، رؤوفاً رحيما ، إذا غضب لم ينفذ غضبه [١٦]

---

(١) ن : وهيبته. (٢) ص ، م : عن . وما أثبتناه في س ، ى الخ . ن : إنما يجب على الملك .

(٣) به : ناقصة في س . ن : مشهور يعرف به عنه ويخاطب للشرف به على ما سواه .

(٤) س ، م : ليشف . وفي هامش س تفسيرها : أي يظهر .

(٥) الرياسة ... مستخف : نقلناها عن ن ، وساقطة في عدة نسخ . وفي ق وردت محرفة .

(٦) س : وأنا أقول ما قاله المتفلسفون ... — ن : قاله المفلسفون ... إن أقل ما يجب على الملك ...

(٧) س : رعاية جميع حدود ديانته كلها من غير ... م : تضييع شيء لأوامرها ونواهيها .

(٨) كذا في س ؛ وفي هامشها : لم تحمد جبلته . وفي م ، ص كما أثبتنا .

(٩) ص : بها . م : تعظيمه .

سريعاً من غير روية ، وإذا تحركت الشهوة فيه ردها بعقله وملّك نفسه ، وإذا وافق الصواب أنفذه غير لجوج (١) ولا وقح ولا متهاون . وكذلك يتزين لهم بزينة جميلة وكسوة شاذة (٢) تروق العيون وتبهج النفوس ، يتميز بها عمن سواه .

ويجب أيضاً أن يكون عذب اللغة فصيح اللسان جهير الصوت ، وذلك أن جهارة الصوت سلاح (٣) له فى وقت الزجر . ويقلّل (٤) الكلام بالجهارة إلا عند الضرورة وفى الندرة لئلا يكثر على الأسماع فتسكن إليه النفوس وتألف حديثه وتقل هيبته . والأصلح له ألا (٥) يكلم أحداً إلا جواباً . وكذلك يقلّل من مباشرة (٦) الناس ويخفف من مجالستهم لاسيما العامة ؛ فما أحسن مذاهب الهند فى تدبير ملوكهم حيث قالوا : إن (٧) ظهور الملك للعامة يجرّئ عليه ويهوّن أمره ! ويجب أن لايظهر لهم إلا على البُعد وفى جلال (٨) المواكب وجُملة السلاح . فاذا كان فى فصل من فصولهم حفلٍ مرةً واحدةً فى العام فيظهر للناس كافةً ويقوم بين يديه مِنْ فصحائهم (٩) ووزرائهم مَنْ يخطب خطبة يشكر الله فيها ويحمده على طاعتهم له، ويخاطبهم بالرضى عليهم وحسن الرأى فيهم، ويرغّبهم فى الطاعة ويحذّرهم المعصية . ثم يتصفح رقاعهم ويقضى حوائجهم ويكثر مِنَحهم ويعفو عن مذنبهم، ويريهم الإسعاف لكثيرهم وقليلهم ؛ — فانما ذلك مرةً واحدة فى العام ؛ ويخفف ما يتحايل (١٠) لهم فيه ويتجافى عنه (١١) . فيجلُّ موقعُ هذا من نفوسهم ويعظم سرورهم وتتشرب ذلك قلوبُهم ، ويتحدثون بذلك عند أهليهم وبنيهم ، فينشأ [٦ ب] الطفل منهم على طاعته ومحبته ، وتسر

---

(١) ص : من غير نجوح ولا تهاون . م : من غير لجوج ولا وقح ولا تهاون . — وما أثبتناه فى س .

(٢) كذا فى س ، م . وفى ص : سارة . (٣) ص ، م : صلاح .

(٤) ص ، م : يقال . والتصحيح عن س . (٥) والأصلح ... جوابا : ناقصة فى س .

(٦) ص : مماشرة . (٧) س : بأن . (٨) س : خلال .

(٩) ص : من فصحاء وزرائه ؛ وكذا فى م . (١٠) ص : يتحامل ، وكذا فى ى .

(١١) ص : يتجافى لهم عنه . ى : لهم فيه عليه ويتجافى عنه فيجل ...

نساؤهم بما تُسرُّ به رجالهم، فيحسن ذكره فى السر والعلانية، ويأمن بهذا قيامَ الجماعات عليه ومداخلة المفسدين لهم، فلا يطمع طامع فى تغيير شىء من رئاسته بسببهم.(١)

وكذلك يجب(٢) أن يَحُطَّ عنهم كلَّ خراج يصير إليه من طريقهم، ولا سيما من يصل إلى حضرته من التجار وجالبى البضائع، فان بالكفّ عن أموالهم وإنصافهم يكثر ترددهم وينمو عددهم وتعظم فوائد بلاده من أنواع المتاجر والنعم. وهذا سبب للعمارة، لأن التجار رواة أخبار يُظهرون السُّمْعة ويعظّمون الشُّنْعة. وعلى كل حالٍ ففى هذا عمارة لبلاده، وزيادة فى(٣) خراجه وجمال حاله، والفخر والجلبة على أعدائه.

فازهدْ فى قليلٍ تظفَرْ بكثير؛ ولا تَمِلْ إلى ما يَسر(٤) وفقده قريب؛ واطلب الغنى الذى لا يفنى، والحياة التى لا تضمحل، والمُلْكَ الذى لا يزول، والبقاء الذى لا يتغير. وكن طَيِّبَ الذِّكْر يَعُمّ الخير(٥). ولا تمل إلى أخلاق الدواب والسباع فى استلاب ما وجدت، ومطالبة ما فقدت(٦)، وقلة الرحمة على من(٧) ظفرت به، والإعراض عما تفيده، ومتابعة الشهوات من الأكل والشرب والنكاح والنوم.

يا إسكندر! لا تمل إلى النكاح فانه من خواص الخنازير. فما الفخر فى شىء الدوابُّ أكثرُ فيه منك؟! وهو ينقض الجسم ويُهْلِك العمر ويفسد البنية ويُكْسِب أخلاق النساء. وكفى بالتشبيه بما ذكرنا عجزاً.

ومما يجب على الملك اعتماده الراحةُ بالملاهى مع أهله، فان فى ذلك جَمام النفس وإراحةَ الحواس ونشاطَ الجسم. وإذا كان هذا فليواصله أياماً [١٧ آ] ثلاثة أو على قدر ما يراه من حاله. ولا يُحِسَّنَّ خاصتُه بذلك. وليُرِهِمْ أنه مدبِّرٌ لكثير من أمورهم فى غيبته عنهم، ويكون له عيون يثق بهم فى إيصال الأخبار إليه، ولا

---

(١) ى: لسببهم. (٢) ص: يجب عليه. ى: وكذلك أن يحط ...
(٣) فى: ناقصة فى م. (٤) ص، م: يبيد. (٥) ص: البر.
(٦) صض: ما لم تنفذه. ن، س: ما لم تفقده. وما أثبتنا عن م، الخ.
(٧) ن: على ما ظفرت به.

يخلى خاصة أصحابه ووجوهَ رجاله من المؤاكلة معهم والراحة بهم ، ولا يكثْر من ذلك — ويكون مرتين أو ثلاثاً فى العام .

ومما يجب أن يستعمله إذ ذاك معهم ترفيعُ من يجب ترفيعه وإنزالهم مراتبهم . ومن التحبب إليهم(١) الثناءُ عليهم فى وجوههم ، وقصدُهم بالشُّرْب واحداً واحداً وخلع الكسوات على من أمكن منهم ؛ وإن كان مما يخلعه الملك على نفسه — قاصداً لذلك — كان أتمَّ فى المنحة وأوكد للمحبة . ثم لايزال يفعل ذلك بمن بقى منهم فى غير تلك المرة حتى يأتى على آخرهم بأمر الله تعالى .

ومما يجب على الملك أن يلزمه فى أحواله كثرةُ الوقار وقلة الضحك ، فان كثرة الضحك تُذْهِب الهيبة وتعجل بالهرم ؛ وأن يُلْزِم جميعَ من يحضر مجلسه الوقارَ وإظهارَ الخشية . ومتى ظهر من أحد استخفافٌ عوقب عليه ؛ وإن كان ممن يلطف محله كانت عقوبتَه إقصاؤه عن المجلس حتى ينتهى عن استخفافه . وإن صح عن أحد أنه فعل ذلك عن قصد للاستخفاف بالحضرة كانت عقوبته قتله . وفى كتاب للهند(٢) : « ليس بين أن يملك الملك رعيته(٣) أو تملكه إلا حَزْمٌ أو توانٍ » .

ولا سقلابيوس(٤) فصل فى السلطان : « خير السلاطين من أشبه النسر حوله الجيفة(٥) ، لامن أشبه [٧ب] الجيفة حولها النسور » .

يا إسكندر ! طاعة السلطان لاتكون إلا بأربعة أوجه وهى : الديانة والمحبة والرغبة والرهبة . واحسِمْ عِلَلَ الناس كُلِّهم وارفَعْ الظلْمَ عنهم ، ولا تُحْوِجْهم إلى القول : فان الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت أن تفعل . فاجهد أن لاتقول تَسْلَمْ من أن تفعل . واعلم أن الهيبة بهجة المملكة . وفى « كتاب للهند(٦) » : « لتكن

(١) فى ص ناقصة : واحداً . (٢) ن ، ص ، س ، م : الهند . وما أثبتنا عن ى .
(٣) م : الملك نفسه . (٤) كذا فى ص ، ى ، ن . وفى س : قال اسقلا بيوس : فصل فى السلطان : قال : خير ... وفى م : أو توان . فصل فى السلطان ...
(٥) ص ، س : الجيف . — ن : لامن أشبه بالجيفة حولها النسور .
(٦) كذا فى ى ؛ وفى س ، ص ، م : الهند .

هيبتك فى النفوس أمضى من سلاحك فى المهج . فانما مثل السلطان مثل الغيث الذى هو سقيا الله وبركة سمائه وحياة أرضه ومَنْ عليها . وقد يتأذى به السَّفْرُ(١) ويتداعى به(٢) البنيان وتنزل به الصواعق وتدر السيول فيهلك الناس والدواب ، ويموج < البحر >(٣) فتشتد منه البلية على أهله ، ولا يمنع الناس ذلك إذا نظروا إلى آثار رحمة الله، التى أحيا بها النبات وأخرج بها الرزق ونشر بها الرحمة، أن يعظموا نعمة الله عليهم ويشكروها ويُلْغُوا غير ذلك من البلايا التى حلت بهم . ومَثَلُ السلطان مَثَلُ الرياح التى يرسلها الله تعالى نُشُراً(٤) بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحاً للثمرات وإرواحاً للعباد ، وتجرى بها مياههم وتَقِدُ بها نيرانُهم وتسير بها سفنهم . وقد تضر كثيراً فى البر والبحر ، وقد(٥) يتعدى ذلك إلى أنفسهم وأموالهم وتحدث به الطواعين والسمائم فيشكو العباد إلى الله تعالى [٨١ أ] ذلك فلا يزيلها عن منزلتها التى قدر الله تعالى وسخرها له من قوام عباده وتمام نعمته . وكذلك الشتاء والصيف اللذان جعل الله حَرَّهما وبَرْدَهما صلاحاً للحرث والنسل ؛ وقد يكون الأذى والضرر بحرهما وبردهما وسمائمهما وزمهريرهما — فكذلك السلطان ما أتى منه مما لايرضى الناس فهو صلاح لهم فى وجوهٍ غيرها .

يا إسكندر ! تفقد أمر ضعفاء بلادك وجهاتك ، وواسِهِمْ عند المسغبة من بيت مالك . ويحاول هذا من ثقاتك(٦) من يعلم مصابهم ، ويكون حرصه على مواساتهم كحرصك ، فان فى دَفْعِ(٧) إلحاحهم عن المسائلة حرزاً(٨) للناموس وتسكينَ نفوس العامة مع إرضاء الخلق .

---

(١) فى هامش س : السفن .   (٢) به : ناقصة فى ص .   (٣) فى س وحدها .

(٤) ص : بشراً . ونشر : جمع نشور (بفتح النون) ، والنشور من الرياح : التى تنشر السحاب .

(٥) قد : ناقصة فى ص .   (٦) س : من نفقاتك من يعلم بمظانهم .

(٧) س ، م : رفع . وفى ص : دفع .

(٨) م : حرصاً . وفى ص ناقصة .

يا إسكندر[(١)] ! تفقد أمرك يصحَّ لك فعلُك . ومِنْ حسن التدبير أن يأمن أهل الورع والسلامة خوف عقوبتك ، ويوطِّنَ أهلُ الريبة والدعارة أنفسهم على نفوذ نقمتك حتى يتخيلوا فى خلواتهم أنَّ لك عيوناً على صنائعهم .

يا إسكندر[(٢)] ! استكثِر من ادخار الحبوب حذراً من السنين . فان كانت سنة جدب فأَخْرِجْ ما ادخرته من ذلك فى بلادك ، فان فى هذا تسكينَ كلِّ فساد وبقاءً للناموس .

يا إسكندر ! أُوكِّدُ أمرٍ أوصيك به ، وطالما أوصيتك به — فبامتثاله يصح أمرك ويدوم ملكك : هو التعفف عن الدماء فى غير[(٣)] حق وإقامة حد ، فانها قضيةٌ نهى الخالق عنها[(٤)] ؛ وأنت إنما تُقدِم فى ذلك على شُبْهةٍ لستَ تدرى باطنها . فتحفَّظْ من هذا جَهْدَك . فقد صح عن هرمس الأكبر أنه قال : « إن المخلوق إذا قتل مخلوقاً مثله بغير حق ضجت الملائكة [٨ ب] إلى بارئها ينادون : تَشَبَّهَ عبدُك هذا فلان بك ! فان كان قتله فى قصاص قال الله[(٥)] تعالى لهم : قَتَلَ فَقُتِل . وإن كان قُتِل لبغى أهل الدنيا أو ظنٍّ كاذب قال الله لهم جل جلاله : وعزتى وقدرتى[(٦)] ! إنى هدرت دم عبدى — فلا تزال الملائكة تدعو عليه عند كل تسبيح واستغفار حتى يؤخذ بدمه . وإن مات حتف أنفه للأجل[(٧)] المقدر ولم يقتل ، فذلك الذى غَضَبُ الله عليه أشد ، لأنه من المخلَّدين فى عقابه وعذابه ، إلا إن مات على توبة » .

يا إسكندر ! لك فى سائر العقوبات كفاية : من السجن الطويل والأدب الأليم . ولستَ بمفرِّقٍ[(٨)] فى ذلك . فامتثل فى حدودك وعقابك صُحُفَ آبائك الإلهية — يقترنْ الصوابُ بفعلك .

---

(١) هذه الفقرة كلها ناقصة فى س . (٢) هذه الفقرة وردت فى ى قبل الفقرة السابقة مباشرة.

(٣) ى : عن الدماء ، فإنها عقوبة انفرد بها الخالق العارف بالسرائر ؛ وأنت إنما تقدم فى ذلك على شبهة لست تعلم باطنها... (٤) م : نهى عنها الخالق. (٥) م : قال لهم الله تقدست أسماؤه .

(٦) م : وجلالى . س : وعزتى وجلالى وقدرتى إنى ما هدرت ...

(٧) للأجل ... يقتل : ناقصة فى س .

(٨) س : بمعرف بذلك . ى : ولست بمعروف بذلك فامتثل ... ق : والأدب الأعظم .

يا إسكندر ! عامِلْ ضعيف أعدائك على أنه فى الدرجة العليا من القوة ، ولا تحتقر صغيراً من ذلك ؛ فربَّ صغير حقير عاد كبيراً يُعْيِي علاجه ويُعْضِلُ داؤه .

يا إسكندر ! (١) إياك والغدر ! فانه من أخلاق الصبية السفهاء ، وعاقبته وخيمة ؛ وهو وإن ظفر بيسير ، فانه يحرم الكثير . وكذلك تحفَّظْ مِنْ نكث أيمانك وخَتْرِ عهودك ، فانها شُعْبة قوية شديدة فى النفاق ونقص فى المروءة وهدم لكثير من ديانتك (٢) التى قدمت تحذيرك من الاستخفاف بشىء منها (٣) .

يا إسكندر ! قد علمت أن عن يمينك وشمالك روحانيين يحصيان (٤) عليك الدقيقة والجليلة (٥) من قولك وصنعك (٦) ويعرِّفان به بارئك ، وهو أعلم . فحصِّلْ أمرك تحصيل من يعرف جميع ما يُسِرُّه ويعلنه على بارئه .

يا إسكندر ! ما الذى يدعو الملك إلى الحلف ، ولا يد (٧) على يده إلا يد الله عز وجل ؟ ! فلا تستعمله إلا فيما لو حُزَّتْ بالموسى لم تنكثه . فوالله ما خربت ممالك ايناخ (٨) وسفور وهنانج إلا بنكثهم أيمانهم فى دنياهم ، ورياستهم منكوثة لاستعمال الغدر ونكث العهد فى تدبير المملكة ، خاصة فى مواضع قد أوقفتُك عليها بالسياسات المُخْرِجة لك عن الخاصة والعامة من ذلك . وليس هذا موضعها . وسأوردها فى مواضعها — إن شاء الله — فى هذا الكتاب (٩) مختصرة مرموزة — فتفهمها هنالك تُصِبْ (١٠) إن شاء الله تعالى .

---

(١) ى : يا إسكندر ! تحفظ من نكث أيمانك وختر عهودك ...

(٢) كذا فى س . وفى ص ، م : دنياك .

(٣) ص : قدمت تحذيرك بشىء من الاستخفاف منها .

(٤) ص ، س ، م : يحصلان .

(٥) م : يحصلان عليك كل جليل وحقير والدقيقة والجليلة .

(٦) ص : صنعتك . (٧) ولا يد ... جل : ناقصة فى س .

(٨) كذا فى ص ، م . وفى س : ايباج وسقور وهناسم إلا أنهم استعملوا أيمانهم فى دنياهم ...

(٩) وسأوردها ... الكتاب : كذا فى م . وفى ص : وسأوردها فى هذا الكتاب ... وفى س : وسنوردها فى موضعها من هذا الكتاب . (١٠) ص : وتصب .

يا إسكندر! لا تحزن[١] على ما فاتك، فان ذلك من خواص النساء الضعفاء، وأَظْهِرْ الأدب والمروءة فانه يُنَمِّى مالك ويُذِلُّ أعدائك. وأْمُر[٢] فى أهل بلادك بقراءة العلوم ومطالعة الفنون. وجازِ مَنْ أحسن منهم وشُهر بالفهم والعلم فيهم؛ وأَصْغِ إلى رقاعهم المرتفعة إليك فى الفصول؛ وتشكَّرْ صنيعهم، فان هذا مما يزيد فى محبتهم لك. وهو من بديع السياسة مع ما فى ذلك من بهجة الحال وظهور الآداب والعلوم وبقاء التواريخ وحسن الذكر.

يا إسكندر! ما حمدت[٣] مملكة اليونانيين وبقيت أخبارهم إلا لإيثارهم العلم ورغبتهم فيه حتى كانت العذراء فى خدرها عند أبيها[٤] تتعلم سننهم الواجبة عليهم فى دياناتهم ومواضع الكواكب السبعة وقيس[٥] الليل والنهار والأوتار والجيوب[٦] ودوران القمر فى الأيام والقضاء بأحكام النجوم والاختبارات وغير ذلك من فنون العلم كالطب وما أشبهه.

يا إسكندر! لا تثق من خدمة النساء من دياناتك إلا من اختبرت[٧] ثقتها على نفسها[٨] ونفسك ومالك: فانما أنت وديعة بين أيديهن [٩ ب] وتَحَفَّظْ من السموم فقد صرعت الملوك. ولا تثق فى طبك بواحد، فالواحد مخدوع؛ وإن أمكنك أن يكون أطباوك عشرة فافعل. ولا تستعمل دواء إلا باتفاق منهم، ولا يصنع لك دواء إلا بمشاهدة جميعهم مع ثِقَةٍ مأمونٍ من ثقاتك مميز[٩] لأصناف العقاقير والتراكيب والأوزان[١٠]. وتذكَّرْ أَمْ[١١] ملك الهند إذ بعث إليك البعثة وفى جملتها الصَّبِيَّة التى غذيت

---

(١) ى: لاتجزع على ...   (٢) من قوله: «وأمر فى أهل بلادك ...» حتى قوله ... «لاتثق من خدمة النساء» ناقص فى ى.   (٣) س: حملت.

(٤) س: فى خدر أبيها. م: فى خدرها تعلم ...   (٥) فى بعض النسخ: قسى.

(٦) فى ص بغير نقط. وفى س كما أثبتنا. وفى م: الجنوب.

(٧) م: اخترت. س: إلا بمن خبرت ثقتها ...   (٨) س: نفسك.

(٩) كذا فى س. وفى ص، م: يميز.   (١٠) ناقصة فى م.

(١١) كذا فى ص، م. وفى س: أمر ملك الهند إذ بعث ...

من صغرها بالسم حتى صارت فى طبيعة الأفعى ، ولولا أنى تفرست ذلك فيها ، مع ما كان فى النفس من توقع حُذّاق تلك الجهة وسُوّاسها حتى أخرجت التجربة أنها تقتل بَبَضْعها وعَرَقها ، فلولا ذلك ومعرفته لأهلكَتْك .

يا إسكندر ! تحفظ بهذه النفس الشريفة العلوية الملكوتية ، فإنما هى وديعة عندك . ولا تكن من جُهّال الهياكل المستبكمين (١) . وإن أمكنك أنِ لاتقوم ولاتقعد ولا تأكل ولا تشرب ولا تصنع صنعاً إلا عن اختبار من علم النجوم — فذلك مِلاكُ أمرك . فما خلق الله من شىء عبثاً . — وبهذا البحث علِم الفاضل أفلاطون مواقع الأجزاء المؤتلفات باختلاف ألوانها عند تصورها بالنِّسَب التأليفية ، فقامت له صناعة الديباج والمُصَوَّرات . ولا تُصْغ إلى كلام الجهال (٢) الذين يعتقدون (٣) أن علم النجوم عَبَثٌ وعلْم الغائب عَبَثٌ لايوصل إليه ، أو رأىِ من يعتقد أن علمه يَكْذِبُ فيما ينذر به . وأنا أقول إنّ تَقْدِمَة عِلْمه لواجبة (٤) . لأن الإنسان وإن كان غير ناج مما قدر عليه فهو يوطن نفسه عليه ويقدم دوافعه [١٠ أ] بحسب استطاعته كما تفعل الناس لدفع برد الشتاء : بجمع العدة للاصطلاء وإصلاح السكن وإعداد الحطب والفراء (٥) وغير ذلك مما تستدفع به مضرته ، ولحر الصيف : بأنواع المبرّدات ، ولسنين الغلاء : بالجمع للأقوات وادخارها ، ومن خوف الفتن : بالهرب منها . — وخصلة ثانية وهى أنه متى علم الناس بالحوادث قبل كونها أمكنهم أن يستدفعوا الله إياها ويقدموا قبل نزولها بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى والاستقالة والاستغفار والتوبة والإنابة والصوم والصلاة وسؤال الله عز وجل أن يصرف عنهم ما يحذرون ويرفع عنهم ما يخافون (٦) .

---

(١) م، ص : الهياكلة المستسلمين . (٢) ص : الجهال ويجهل أن علمه فى الأزل لم يكن من وحى من الله الذين يعتقدون ... (٣) س : يعتدون . (٤) م : لواجبة : ناقصة . س : واجب .

(٥) ص : لاصطلاء الكن . س : العدة من إصلاح الكن وإعداد ... م : للاصطلاء وإعداد الحطب ... — والفراء : ناقصة فى س . (٦) ما يحذرون ... يخافون : ناقصة فى ص . ويرفع عنهم ما يخافون : ناقصة فى ق ، م وما أثبتناه عن س . ى : ويدفع ما يخافون .

وعلم النجوم ينقسم[1] ثلاثة أقسام : تركيب الأفلاك ، وجهة الكواكب ، وأقسام[2] النجوم وأبعادها وحركاتها . ويسمى هذا الفن علم الهيئة . ومنها قسم وهو معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر . ويسمى هذا العلم علم الأحكام .

وأصل علم النجوم معرفة ثلاثة أشياء : الكواكب والأفلاك والبروج . فالكواكب التى أُدْرِكَتْ بالرصد ألف وتسعة وعشرون كوكباً . وقد أفردتُ لكل معنى من هذا كتاباً فتأمله هناك . وأنا واضع لك نُكَتاً من الطب وأسراراً كافية فيه تغنيك عن كل طبيب فى استدامة الصحة ، إذ كانت أسباب السلامة والصحة أنفع مدلول عليه ومعمول به فى أمر الدنيا والآخرة . ولا سبيل إلى شىء ولا إلى أمر من أمور الآخرة إلا بالقوة ، ولا قوة إلا بالصحة ، ولا صحة إلا باعتدال المزاجات الأربع . وقد جعل الله إلى [١٠ب] تعديلها سبيلا وأسباباً ، أعلم عبادَه بهذا أنبياؤه المصطفون — صلى الله عليهم أجمعين — وغير ذلك بما ألهم إليهم[3] من التجربة ، فاستنبطت حكماء[4] الهند والروم والفرس واليونانيين من ذلك كله ما لايسع أحداً من العقلاء جهلُه ، لأن المرء إذا ضيَّع حال نفسه فهو لحال غيره أضيع . ومرامه قريب إذا صحت القريحة . وأصح هذه الفرق رأياً وأعلمهم به اليونانيون[5] . فما أتيتك به فى جميع هذا الكتاب فعلى رأيهم . وبالله التوفيق .

يا إسكندر ! أجمعت العلماء والفلاسفة الحكماء على أن الإنسان مركب من مزاجات معتدلة ، ويحتاج إلى أغذية وأشربة إن فقدها تَلِفَتْ نفسُه ، وإن أمعن فى الأكثار منها أو الإقلال أورثته الأسقام والوَهَن . وإن اقتصد فيها نفعته ونفعت

---

(١) من هنا حتى أول المقالة الثالثة ناقص فى ى .

(٢) ص : وتقسيم النجوم . س : وأقسام الروح (وهو تحريف ظاهر) .

(٣) ص : مما إليهم إلا من التجربة . س : مما ألهم أولياءه من التجربة . م : وغير ذلك مما آل إليهم فاستنبطت ...

(٤) ص : الحكماء ... واليونانيون .

(٥) س : اليونانيون المطهرون .

جسمه وقوته . واتفقت آراؤهم جميعاً على أن من جاوز الحد فى الامتلاء أو الخلاء أو النوم أو السهر أو الحركة أو السكون أو الإسهال (١) أو إخراج الدم أو الإسراف فى المباضعة — لم يأمن من هيجان العلل وبَغَتات الآفات التى أنا ذاكرها وواصفٌ ما فى الاقتصاد فيها من المنفعة ، وفى السرف والإفراط من المضرة (٢) . واتفقوا على أن (٣) من توقَّى ذلك ولزم الاعتدال والقصد وَجَبَتْ له الصحة وطول البقاء . فلم أر من (٤) المتقدمين خلافاً فى أن جميع أمور الدنيا : من مُلْكٍ ومال ولذات وشهوات إنما هو تَبَعٌ للبقاء . فمن أحب البقاء لزم ما يرفقه ويوافقه ، وهجر فى جنب ذلك الشهوات ولم يؤثر أكلة على أكلات . [١١] ولقد بلغنى عن أبقراط (٥) الفاضل أنه كان يحمل على نفسه فى الحِمْية . فقال تلميذه : أيها الحكيم ! لو زِدْتَ فى غذائك شيئاً ازددت قوة ونشاطاً به . فقال : « أى بُنَىّ ! إنما أطلب الغذاء حرصاً منى على البقاء ، ولا أطلب البقاء حرصاً منى على الغذاء » . ورأيت مَنْ قَلَّل واقتصر فى الشهوات واقتصر على البُلْغة من القُوت واستعمل الرياضة كان أصح بدناً وأقوى شهوة وأخف حركة ممن أكثر منها . وذلك بيّنٌ موجود فى أهل الكد والعتب ، وفى أهل البوادى وأصحاب التعبد . فهذه منحة صادقة فى أن الطب هو الاقتصاد فى الأشياء .

يا إسكندر ! حفظ (٦) الصحة يكون باذن الله على وجهين : أحدهما الاغتذاء بما يوافق سِن (٧) الإنسان وزمان السنة التى هو فيها والعادة التى اعتادها والأطعمة والأشربة التى ألِفها ونَبَتَ بدنه عليها . والوجه الثانى : إخراج ما يتولد من الفضول بالكيموسات الرديئة المواد (٨) المفسدة . ولما كانت أبدان الناس وما يصل إليها من الأغذية والأشربة تتحلل وتنفش (٩) أولا فأولا بالحرارة الغريزية التى تنشف الرطوبات

---

(١) س : أو إسهال بطن . (٢) م : من المضرة ما لا يخفى . (٣) أن : ناقصة فى ص .
(٤) س : بين . م ، ص : اختلافاً . (٥) ق : بقراط . (٦) س : وإن حفظ ...
(٧) ص : من . وفى س ناقصة . (٨) ص : المراد . س : والمواد .
(٩) ص : سحں (!) .

من الأبدان كلها ومن الأنهار كلها والبحار أيضاً — فاذا كان البدن متخلخلا[(١)] حاراً نفعته الأطعمة الغليظة ، لأن ما ينفش ويتحلل من ذلك البدن يكون كثيراً[(٢)] لسعة منافذه وقوة حرارته ؛ وما كان من الأبدان ملززاً[(٣)] يابساً فانه تنفعه الأشياء الرطبة اللطيفة ، لأن الذى يتحلل من هذا البدن يكون قليلا لضيق منافذه . [١١ب] والوجه فى الصحة أن يتغذى الرجل بما يوافق مزاج بدنه فى حال صحته : فمن كان حار المزاج وافقته الأشياء الحارة المعتدلة ، ومن كان بارد المزاج وافقته الأشياء الباردة المعتدلة ؛ وكذلك القول فى الرطب واليابس من المزاجات . فان زادت الحرارة والتهبت التهاباً كثيراً إما من أغذية حارة أوغَلَبَةِ حِدَّةٍ انتفع حينئذ بما يضادها ويخالفها من المبرِّدات . وإذا كانت المعدة حارة قوية جيدة ، كان أنفع الأغذية لصاحبها ما غلظ وقوى مثل النار العظيمة التى تقوى على إحراق الحطب الجَزْل . وإذا كانت باردة ضعيفة كان أنفع الأغذية لها ما خف واستمرأ كالنار الضئيلة التى توقد بالقصب ودقائق الحطب . ومن الدلائل على ذل الاستمراء خفة البدن وصغر الحشا[(٤)] وحركة الشهوة[(٥)] . والدليل[(٦)] على سوء الاستمراء استرخاء البدن والكسل وانتفاخ الوجه وكثرة الريق وثقل العينين وكثرة الجشأ إما حامضاً وإما عفصاً وإما مراً وإما مائياً أو منتناً وتهييج قراقر ونفخ فى البطن وثقل الشهوة . فان كان الأمر أزيد حدث عن ذلك المُطَوَاء[(٧)] والعدواء والثُؤَباء والقشعريرة — وهذه أوصاف كلها مفسدة للجسم مهلكة له هادمة لبنيته ، فيلزم تقدمة التحفظ من[(٨)] هذا كله .

---

(١) ص : متحللا . م : متحلحلا . (٢) ص : كثيرا المنفعة .

(٣) س : مكززاً ، وكذا فى ق . والملزز (كمعظم) : المجتمع الخلق الشديد الأسر .

(٤) ص : صفرة الجنا (!) . والذل : الانقياد والسهولة .

(٥) ومن الدلائل ... الشهوة : ناقصة فى م . (٦) س : والدلائل .

(٧) ص، س، م : المطو . المطواء (كفلواء) : التمطى والتمدد . والثؤباء : التثاؤب .

(٨) م : عن .

الرتبة[١] الفاضلة : فينبغى لك يا إسكندر ! إذا قُمْتَ من مقامك أن تستعمل قليلا من المشى ، وتمد أعضاءك مداً معتدلا [١٢أ] وتمتشط ، فان التمدد يصاب البدن ، والتمشط يخرج البخارات من الرأس المتصعدة إليه فى حال النوم . ثم تغتسل فى زمن الصيف بالماء البارد ، فان ذلك يشد الجسم ويحبس الحرارة الغريزية فيكون سبباً للشهوة . ثم تلبس نظيف الثياب وتتزيا بأجمل الزى ، فان حاسة العين تسر بالنظر إلى ذلك فتقوى القوة النورانية بانبساطها . ثم تستاك بسواك من أشجار مرة[٢] عَفِصة حِرِّيفة ، ولا يكون من أشجار[٣] مجهولة فان منافعه عظيمة ، وذلك أنه يفتح سُدَد الدماغ ويُغلِّظ العنق والعضد ويُدسِّم الوجه ويقوى الحواس ويبطئ بالشيب . ثم تتطيب بعد ذلك بما يوافق زمانك الذى أنت فيه . فانه لاغذاء للنفس الروحانية إلا باستنشاق الروائح العطرة والرياحين المستلذة ؛ فانه إذا تغذت النفس وقويت ، يقوى الجسم ويفرح به القلب ويجرى الدم فى العروق بانبساط القلب . ثم ضَعْ فى فيك حبة من قَرَنْفُل وقطعة من عود رطب أو قطعة من جوزبوا[٤] ، فان من منافع ذلك أنه يجلب البلغم من الفم ويذهب بأوجاع جميع الحلق والفم . — ثم تتلقى أكابر الناس وتستعمل لهم ومعهم الكلام والمراوضة ، وتقضى حوائج الذى قد يجب عليك قضاؤه من دِينٍ أو دنيا ، وغير ذلك كله من شئونك[٥] فلا يجدون فى فمك خُلوفاً . فاذا تحركت الشهوة للطعام مع وجود وقت العادة فتقدم إلى النبانام[٦] — تفسيره : إتعاب البدن للضُّمور — بصراع أو شىء عنيف أو ركوب أو دفع [١٢ب] أثقال ، وما أشبه هذا . ومن منافعه أنه يكسر الريح وينشط البدن ويقويه ويخففه ويوقد[٧] نار المعدة وانتباه النفس . — ثم تضع بين

(١) ن : المرتبة . (٢) ص : مر . (٣) ن : شجرة .

(٤) الجوزبوا : يسمى جوز الطيب لعطريته ودخوله فى الأطياب ، وهو ثمر شجرة فى عظم الرمان لكنها سبطة رقيقة الأوراق والعود . ويسمى باللاتينية myristica fragrans ويؤتى به من الهند ، وأجوده أشده حمرة وأدسمه وأوزنه ؛ وأدناه أشد سوادا وأخفه .

(٥) ص : شوقك (وهو تحريف ظاهر) . — والخلوف : النتن وتغير الرائحة . (٦) النبانام ... للضمور : ناقصة فى س . للضمور : ناقصة فى ص . (٧) ن ، م ، س : يوثر (!) .

يديك أطعمة كثيرة وتأكل مما وقع اختيارك عليه وتحركت شهوتك إليه . فان أمكنك أن لاتتعدى الحد ولا تستتم الأكل إلى غاية الشبع فهو المراد والبغية . وإن لم يمكنك فقلل ، وقدم ما ينبغى أن يُقدَّم من الطعام وأَخِّر ما ينبغى أن يؤخَّر : مثال ذلك أن يجمع الإنسان فى أكلة واحدة طعاماً يليّن البطن وطعاماً يحبسه ، فان هو قدم الملين وأتبعه الآخر سَهُل انحدار الطعام بعد انهضامه . ومتى قدم الحابس وأتبعه بالملين لم ينحدر وأفسدهما جميعاً . وكذلك إن جمع فى أكلة واحدة طعاماً سريع الانهضام والآخر بطىء الانهضام فينبغى أن يقدم البطىء الانهضام فى قعر المعدة ، لأن قعر المعدة أسخن وأقوى على الهضم ، لما فيه من أجزاء حرارة اللحم المخالط له ومجاورة الكبد الذى هو الطابخ . وأعلى المعدة عصبىٌّ بارد ضعيف الهضم ، فلذلك إذا طفا الطعام على رأس المعدة لم ينهضم سريعاً .

ومن أدب الأكل(١) أن ترفع يدك وقد بقيت بقية من شهوتك ، لأن الإكثار من الأكل يضيق النفس ويبقى الطعام فى قعر المعدة ، ولذلك يحبس نفسه عن الشرب عقب الطعام حتى يصير عادة ، فانّ شُرْب الماء إِثْر الطعام يبرد المعدة ويطفئ نار الشهوة ويشيط الطعام ويولد التخمة التى هى أعدى الآفات على الجسم وتسمى بالسم [١٣ ا] المؤجل . فان لم يكن بُدٌّ من شرب الماء لحر الزمان(٢) أو حر المعدة أو حر الطعام فليقلل وليكن صادق البرد . ثم يتناول فى آخر طعامه قليلا من الخمر الممزوج نحو عشرة أستاتير(٣) . فاذا تنظف من طعامه استعمل المشى اللطيف على الفرش اللينة ؛ ثم يضطجع(٤) على جنبه الأيسر فيستتم على نومه ؛ فان الشق الأيسر بارد ، فهو يحتاج إلى ما يسخنه . فان أحس بثقل فى الشراسيف فينفعه أن

---

(١) ن : ومن أدب الأدب (وهو تحريف فيما يظهر) . (٢) س ، م : الزمن .

(٣) ص ، س : اساتير وفى م : أشابير . وفى ن مهملة النقط . استاتير : يونانية معربة عن στατῆρ وهو وزن ٤½ مثقال أو ٦½ درهم . وكان الاستاتير الذهبى فى أثينا يساوى ٢٠ درهما .

(٤) س ، م : ينقلب . ن : ثم ينقلب على جنبيه ويستتم عليه نومه ، لأن ... (وهنا نقص)

يضع(١) على بطنه ثوباً ثقيلا مدفئاً ، أو يعانق صبية حارة الجسم . فان أحس بجشأ حامض دل على برد المعدة فليشرب الماء الحر بالسكنجبين(٢) ثم يتقايأه ، فإنّ حَبْسَ الطعام الفاسد فى المعدة مفسدة عظيمة على الجسم . والحركة قبل الطعام توقد نار المعدة ، فأما بعده فرديئة لأنها تنزل الطعام غير نضيج فتورث لذلك سَدَداً وأسقاماً. والنوم قبل الطعام يهزل البدن وينشف رطوبته . والنوم بعد الطعام يغذو ويقوى ، لأنه حينئذ(٣) إذا نام الإنسان برد ظاهر البدن واجتمعت الحرارة الغريزية المنتشرة فى البدن كله إلى المعدة وما والاها فتقوى حينئذ المعدة على الإنضاج ويخلو البدن بالخدمة وتذهب القوة النفسانية لراحتها . ولهذا ما فضلوا العشاء على الغداء ، لأن الغداء يستقبل حر النهار مع شغل الحواس والنفس بما يسمع الإنسان وبما يباشره ويفكر فيه ، وبما يحاول(٤) جسمه من التعب والحركة فتنتشر لذلك الحرارة الغريزية فى ظاهر البدن ، فتضعف المعدة عن إنضاج الطعام . وأما العشاء فانه بخلاف ذلك ، لأنه يستقبل به سكون البدن وهدوء الحواس [١٣ ب] والنفس وهجوم الليل البارد الذى تهرب الحرارة الغريزية منه إلى أغوار البدن . وتتحفظ من أن تتناول غذاء ثانياً إلا بعد تيقنك استيفاء(٥) هَضم الأول وتَعْلَم ذلك بالشهوة وبجاب الرّيق إلى الفم ، لأن من تناول الطعام على غير حاجة من البدن إليه وافى الطعامُ الحرارةَ الغريزية خامدةً بمنزلة النار الخامدة فى النار. فاذا أخذه على غير شهوة وحاجة وافى الطعامُ الحرارةَ الغريزية متقدة(٦) بمنزلة النار المستعملة . ويجب إذا تحركت الشهوة للطعام أن يسرع إلى تناوله ، لأنه إذا لم يبادر إلى ذلك(٧) اغتذت المعدة من فضول

---

(١) ص : يضطجع .

(٢) سكنجبين : هو العسل المذاف بالخل . اسم فارسى ، مركب من سك = خل ، وانگبين = عسل (ويطلق عادة على العبيد أسماء لهم) ، يقال : انگبين شيرين كوار أى : عسل حلو سهل الهضم. وتكتب بالفارسية سكنگبين ، وهو بالانجليزية Oxymel .   (٣) حينئذ : ناقصة فى ص ، س .

(٤) ص : يحاوله بجسمه .   (٥) س : إلا بعد تنقيته باستيفاء الهضم الأول . م : انهضام .

(٦) م : خامدة بمنزلة النار الخامدة إذا اشتعلت . س : الحرارة الغريزية بمنزلة النار إذا اشتعلت.

(٧) ص : لذلك .

البدن وجلبت إليها أخلاطاً فاسدة وتبخر الدماغ ببخار فاسد . فاذا صار الطعام فيها بعد ذلك فَسَدَ ولم ينتفع الجسمُ . ومن اعتاد أكلتين فى يومه واقتصر على واحدة ، عظم ضرر ذلك عليه . كما أنه من كانت أكلته واحدة فجعلها أكلتين لم يستمرئ طعامه . ومن كان عادته أن يجعل طعامه فى وقت من الأوقات فنقله إلى غير ذلك الوقت تبين له عيب ذلك ، لأن العادة طبيعة ثانية ؛ فان وجدت شيئاً مما يدعو إلى الانتقال عنها فأوفق الأمور فى ذلك أن تنتقل عنه قليلا درجة بعد أخرى (١) .

ومما يجب (٢) أن تمتثل ذكره فى هذا الباب ذكر الزمان وأرباعه وتغييرات الهواء (٣) :

فأول أرباع الزمان **فصل الربيع** : إذا حلت الشمس أول دقيقة من برج الحمل فهو أول زمن الربيع . ومُدَّته على رأى الأطباء (٤) ثلاثة وتسعون يوماً وثلاث وعشرون ساعة وربع ساعة ، وذلك من عشر تبقى من آذار إلى ثلاث وعشرين [١٤ ا] يوماً تخلو من حزيران ، وهو الاستواء الربيعى . فاذا كان هذا ، استوى الليل والنهار فى الأقاليم واعتدل الزمان وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية ومدت الأنهار ونبعت العيون وارتفعت الرطوبات إلى فروع الأشجار ونبت العشب وطاب الزرع ونشأ الحشيش وتلألأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النوار واخضر وجه الأرض وتكونت الحيوانات ونتجت البهائم ودَرَّتْ الضروع وانتشر الحيوان فى البلاد عن أوطانها وطاب عيش أهل الوبر وأخذت الأرض زخرفها وازينت وصارت الدنيا كأنها جارية شابة قد تزينت وتجلت للناظرين . — وهذا الفصل حار رطب معتدل نسبة الهواء والدم وينفع فيه كل شىء معتدل

---

(١) م : بعد أخرى إن شاء الله تعالى .

(٢) ص : وما ... س : ومما يجب أن نبتدئ بذكره فى هذا الباب . وفى م ناقصة .

(٣) الهواء : ناقصة فى م ، س . فأول أرباع الزمان فصل : ناقصة فى ن .

(٤) الأطباء : ناقصة فى س . على رأى الأطباء : ناقصة فى ن .

القوى مثل الفراريج والطيهوج (١) والدرّاج والبيض النيمرشت والخس والهندبا ولبن المعز ، ولا وقت للتفجير والحجامة أفخر منه (٢) ، ويصلح فيه كثرة الجماع وإسهال البطن ودخول الحمام والتعرق . وكل خطأ فى علاج أو إسهال أو تفجير يقع فيه فالفصل يحميه ويجبره إن شاء الله تعالى .

فصل الصيف : إذا حلت الشمس أول دقيقة من السرطان فهو أول زمن الصيف . ومدته اثنان وتسعون يوماً وثلاث وعشرون ساعة وثلث ساعة ، وذلك من ثلاث وعشرين يوماً تمضى من حزيران إلى أربعة وعشرين يوماً تمضى من أيلول . فاذا كان هذا تناهى طول النهار وقصر الليل فى الأقاليم كلها ، وأخذ النهار فى النقص [١٤ ب] والليل فى الزيادة ، واستوى الحر وحمى الهواء وهبّت السمائم ونقصت المياه ويبس العشب واستحكم الحَبّ (٣) وأدرك الحَصاد ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان وصارت الدنيا كأنها عروس منعّمة بالغة تامة كثيرة العشاق . — وهذا الفصل حار يابس ، سلطانه المِرّة الصفراء ، فينبغى أن يُتوقى فيه كل شىء حار (٤) من الأطعمة والأشربة والأدوية والأفاويه (٥) ، ويتحفظ من الامتلاء لئلا تنطفئ الحرارة . ويؤكل كل بارد من الأطعمة والأغذية مثل لحوم العجاجيل بالخل ، والقرع ، والفراريج المسمنة ، ودقيق (٦) الشعير ، وتؤكل الحصرمية . ومن الفواكه : التفاح المز والإجاص والرمان الحامض . ويكون المشموم ومايدهن به بارداً . ويشرب الماء المبرد بالثلج ، ويقلل الجماع ويجتنب (٧) فيه إخراج الدم والحجامة (٨)

---

(١) ن : والطهوج (!) . والطيهوج : ذكر السلكان (فراخ القطا أو الحجل) ويسمى بالإنجليزية Hazel grouse وباللاتينية Tetrastas bonasa . قال فى « حياة الحيوان » : " الطيهوج طائر شبيه بالحمل الصغير، غير أن عنقه أحمر، ومنقاره ورجلاه حمر مثل الحمل، وما تحت جناحيه أسود وأبيض " . راجع " معجم الحيوان " لأمين المعلوف ص ١١٩ ، ١٨٤ — ١٨٥ .

(٢) ص ، س (هامش) : أفضل . (٣) ص : العنت (وهو تحريف) .

(٤) م : حاد . (٥) والأفاويه : ناقصة فى ص . (٦) س : بدقيق . (٧) ن : ويتجنب .

(٨) س : إلا أن يدفع إلى ذلك مس ضرورة ، ويقلل الحركة ، ودخول الحمام ويستعمل فيه القىء . — ق ، م : فإنه موافق . ن : والحجامة إلا الحمام ويستعمل فيه ...

إلا الحمام فهو موافق ، ويستعمل فيه القيء ، لأن فضول البدن ترق فى الصيف وتطفو فوق المعدة . ولا تُستعمل الغرغرة والإسهال فيه إلا عند الضرورة .

فصل الخريف : إذا حلت الشمس أول دقيقة من الميزان فهو أول زمن الخريف . ومدته ثمانية وثلاثون يوماً وسبع عشرة ساعة ونصف سدس ساعة ، وذلك من أربعة وعشرين يوماً تمضى من أيلول إلى اثنين وعشرين يوماً من كانون الأول . فاذا كان هذا ، استوى الليل والنهار مرة أخرى ، ثم ابتدأ الليل فى الزيادة على النهار وانصرف الصيف ودخل الخريف وبرد الهواء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون وجف النبت وفنيت الثمار وخزن الناسُ الحَبَّ والتمر وعُرِّى [١٥ ا] وجه الأرض من زينته وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف الطَّير والوحش يطلب البلدان الدفئة وخزن القوت للشتاء وتغير الهواء وصارت الدنيا كأنها كهلة مدبرة قد تولت عنها أيام الشباب . — وهذا الفصل بارد يابس ، سلطانه المِرّة السوداء ، فينبغى أن يُتوقى فيه كل طعام بارد يابس ، ويستعمل من الأغذية والأطعمة ما كان حاراً ليناً رطباً مثل الفراريج والخرفان والعنب الحلو والشراب العتيق ، ويُتجنب كلُّ ما يولد السوداء . وتكون الحركة فيه والجماع والغرغرة (١) أكثر مما فى الصيف وأقل مما فى الشتاء والربيع . ويُتعاهد فيه الحمّام . وإن احتاج إلى القيء كان ذلك وسط النهار ، لأن الفضول يجتمع فى الإنسان فى هذين الفصلين . ويسهل البطن بالافتيمون (٢) والغاريقون وكل مُرٍّ يخرج السوداء ويرقق الأخلاط بعون الله (٣) .

---

(١) والغرغرة : ناقصة فى م .

(٢) كذا فى ص ، س ، ن . وفى م : بالأنتيمون . — والأفثيمون : من يسقط على نبات شوكى ، ورقه نحو الذراع ، يعرفه عامة الأندلس بالطوبة ، وأجوده ما احمر لونه واحتد ريحه . يجلب من جبال بيت المقدس وجزيرة اقريطش . وقال صاحب « مباهج الفكر ومناهج العبر » : الأفثيمون من يسقط من الهواء على صنف من الصعتر . — ويسمى باللاتينية Cuscuta epithymum وبالفرنسية epithym وبالانجليزية Clover dodder . — أما الغاريقون فهو المسمى باللاتينية Polyporus officinalis وبالفرنسية Agaric . راجع عنه مفردات ابن البيطار ج ٣ ص ١٤٦ — ١٤٧ . وهو أصل شبيه بأصل الانجدان .

(٣) ق ، م : الله عز وجل . وفى س ناقصة .

فصل الشتاء : إذا حلت الشمس أول دقيقة من الجدى فهو أول زمن الشتاء ومدته تسعة وثمانون يوماً وأربع عشرة ساعة ، من تسع تبقى من كانون الأول إلى إحدى وعشرين يوماً تخلو من آذار . فاذا كان هذا تناهى طول الليل وقصر النهار ، ثم أخذ النهار فى الزيادة وانصرف الخريف ودخل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النبات ، وانجحر أكثر الحيوانات فى باطن الأرض وكهوف الجبال من شِدّة البرد وكثرة الأنواء وتواترت (١) الغيوم وأظلم [١٥ب] الجو وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان وصارت الدنيا كأنها عجوز قد هرمت ودنا منها الموت . — وهذا الفصل بارد رطب ، سلطانه البلغم ، فينبغى أن يُمال — بالتدبير فى الأغذية والأدوية — إلى الأشياء الحارة مثل فراخ الحمام والتوابل الحارة والتين والجوز والثوم والشراب الصرف الغليظ الأحمر ، ويستعمل الجوارشات (٢) الحارة والحقن ، ويتوقى الإسهال وإخراج الدم إلا أن تدعو إلى ذلك ضرورة حاضرة فيغير الهواء ويسخن وينعدم بالأشربة (٣) الحارة ويمرخ الجسم بالأدهان الحارة والدخول فى الأبزن (٤) المعتدل . ولا يضر فى هذا الفصل الحركة المفرطة ولا الجماع الكثير ولا الأكل الكثير لأن (٥) انحجاز الحرارة الغريزية إلى قعر البدن يجعل الهضم فيه أكثر ، والبطون فى الربيع والصيف باردة لانتشار الحرارة وانتفاخ مسام الجسم ، والحرارة الغريزية قليلة والهضم فيها يقل والاخلاط تتحرك . فاعلم ذلك (٦) .

(١) ص : وتوالت .

(٢) س : الجوارشينات . والجوارش (فارسية) والجوارشات : الدواء الذى لم يحكم سحقه ولم يطرح على النار بشرط تقطيعه رقاقاً ، ويستعمل غالباً لإصلاح المعدة والأطعمة وتحليل الرياح .

(٣) م : ويقدم بالأشربة . ن : ويقدم الأشربة .

(٤) كذا فى م ، ص . وفى س : الازال — وفى هامشها شرحها : هى الحياض . — والأبزن : الحوض يستحم فيه . راجع دوزى : « تكملة المعاجم العربية » جـ ١ ص ٨٢ .

(٥) فى س زيادة : لأن البطون فى الشتاء والربيع حارة والنوم فيهما كثير لطول الليل و برد الأجسام وانحجاز الحرارة الغريزية إلى داخل الأجسام فالهضم فيها أكثر .

(٦) م : فاعلم ذلك والله أعلم . س : فاعلمه .

الكلام على أجزاء الجسم

اعلم أن البدن أربعة أجزاء : الأول منها الرأس ، فاذا اجتمع فيه فضول كان[1] آفة ذلك ظلمة العينين وثقل الحاجبين وضَرَبان الصُّدْغَين ودوىّ الأذنين وانسداد المنخرين . فمن أحس بذلك فليأخذ الأفسنتين[2] ويطبخه بشراب حلو مع أصول السعتر حتى يذهب نصفه ويتغرغر به كل غداة حتى يخف ؛ ويستعمل فى طعامه الخردل المصنوع بالشمار[3] وزنة درهمين من غبار ايارج[4] ذى الإثنى عشر عقاراً عند النوم . فانه متى[5] أهمل [١٦ ا] ذلك هاجت عليه علل مخوفة[6] كفساد البصر والخنازير والذبحة وأوجاع الدماغ .

الجزء الثانى : الصدر : فاذا اجتمع[7] فيه فضول كان آفة[8] ذلك ثقل اللسان وملوحة الفم وحموضة الطعام على رأس المعدة ووجع الصدغين والسعال . — فينبغى أن يخفف من طعامه ويستعمل القىء ويأخذ — بأثر ذلك[9] — مُرَبَّى الورد بالعود والمصطكى . وعلى أثر[10] طعامه قدر الجوزة من معجون الانيسون الكبير المعمول بالعود والخولنجان[11] ؛ فانه من أغفل ذلك أورثه ذات الجنب ووجع الكلى والحمى[12] .

---

(١) كذا فى م ، س . وفى ص : آية .

(٢) م : الافنتين . — والافسنتين : نبات صغير لا يعلو، يقوم على ساق ويتفرع منه أغصان كثيرة عليها أوراق بيض متكاثفة ، وأنواعه كثيرة . والافسنتين الرومى هو الكشوث الرومى . واسمه باللاتينية Absinthium وبالفرنسية Absinthe . راجع ابن البيطار جـ ١ ص ٤١ — ص ٤٤ .

(٣) بالشمار : ناقصة فى ص وغير واضحة فى م . س : وزاد درهمين . والشمار : هو الرازيانج عند أهل مصر والشام . راجع عن الرازيانج مفردات ابن البيطار جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٤) س : الأرياج . — والأيارج : المسهل .

(٥) س ، م : من .

(٦) ص ، م ، الخ : محقرة .

(٧) ص : إذا .

(٨) ص : آية .

(٩) بإثر ذلك : ناقصة فى س .

(١٠) أثر : ناقصة فى س .

(١١) الخولنجان : عروق متشعبة ذات عقد ، لونها بين السواد والحمرة ، متشبهة بأصول النوع الكبير من السعد المسمى بعجمية الأندلس : بنجه . وهذه العروق حريفة الطعم ، لها رائحة عطرية ، تجلب من الهند والصين . واسمه باللاتينية Alpinia officinarum وبالفرنسية Galanga .

(١٢) فى م زيادة : والله أعلم .

الجزء الثالث : البطن : فاذا اجتمعت فيه فضول كان آفة ذلك النفخ ووجع الركب والقشعريرة والمليلة والرياح الجائلة . — فينبغى لمن أحس بذلك أن يستعمل إسهال البطن ببعض الملينات اللطيفة ويستعمل التدبير الذى قدمنا فى الصدر. فان أغفل ذلك أورثه وجع الوركين والظهر والمفاصل واستطلاق البطن وفساد الهضم وسدد الكبد .

الجزء الرابع : المثانة : فاذا اجتمعت فيها فضول كان آفة (١) ذلك فتور الشهوة وظهور البثر على الإليتين والعانة . — فينبغى لمن أحس بذلك أن يأخذ من الكرفس والرازيانج (٢) ومن أصولها فينقعهما فى شراب أبيض طيب الرائحة ؛ ثم يأخذ منه كل غداة ممزوجاً بالعسل والماء على الريق ، ويحتمى من كثرة أكله . فان أغفل ذلك أورثه وجع المثانة والكبد وحصر البول فى الدبر .

ومذكور فى بعض الكتب القديمة أن ملكاً من الملوك جمع أطباء الروم والهند والفرس ، وأمر أن يصف كل واحد منهم شيئاً إذا لزمه الإنسان واستعمله نفعه وصرف عنه الأدواء (٣) . فكان ما اختاره الرومى وأشار به : شرب جرعات من ماء حار عند كل غداة . وما أشار به الفارسى : الحرف ، وهو حب الرشاد (٤) . وما أشار به الهندى : الإهليلج الهندى .

---

(١) ص : آية .

(٢) الرازيانج : هو الصنف الكبير من الشمار ، ويعرفه العامة بالشومر . ويسمى باليونانية افوماريون ، وبالسريانية برهليا ؛ وبعضهم يسمى الأنيسون رازيانج . واسمه باللاتينية Hippomaratrum libanotis وبالانجليزية Rosemary frankincense .

(٣) م : وصرف الأدواء عنه فكان ما اختاره وأشار به الرومى .

(٤) حب الرشاد : الرشاد نبات يعرف بزره بالحرف ، ويسمى بالعربية : ثفا (بثاء مثلثة وفاء) وبالسريانية : مقلياثا ، وباليونانية : قردامن . والصنف العريض الورق منه يعرف بالخردل الفارسى . — والأهليلج (أو : هيليلج) : أربعة أصناف أحدها الأصفر ، والثانى الكابلى ، والثالث الأسود الهندى وهو البالغ النضج ، يشبه الزيتون فى شكله ؛ والرابع حشف دقيق أسود ، ويعرف بالصينى — وحب الرشاد باللاتينية senebiera coronopus ، وبالفرنسية sénèbière ، أو nasturtium . — والإهليلج (الكابلى) يسمى باللاتينية terminalia chebula وبالفرنسية chébule .

وأنا أقول ، يا إسكندر ! ، من أمسى وليس فى بطنه ثقل طعام لم يَخَفْ الفالج ولا وجع المفاصل . ومن أكل كل غداة سبع مثاقيل من زبيب صادق الحلاوة لم يخف شيئاً من أدواء البلغم وجاد حفظه وفاق ذهنه . ومن استعمل فى فصل الشتاء أكل شىء من الحلتيت الحلو غير المنتن أمن حمى الربْع وريح (١) الشراسيف . ومن أكل جوزتين بثلاث حبات من التين مع أوراق يسيرة من السذاب أمن من السم يومه ذلك .

وتحفظ ، يا إسكندر ! بالحرارة الغريزية ، فانه ما دام فى الإنسان حرارة معتدلة ورطوبة غير مفرطة تغتذى بها تلك الحرارة ، فان البقاء والصحة مضمونة ، فانه إنما يهرم الإنسان ويعيا بدنه بخصلتين (٢) : إحداهما هرم طبيعى باضطرار ، وذلك مِنْ يُبْسٍ يغلب على البدن وفساد الكون ، والأخرى هَرَمٌ عرضى مثل الذى يعرض من الآفات والأعراض وفساد التدبير (٣) .

ذكر الأغذية

اعلم (٤) أن من الأغذية ما هو لطيف ، ومنها ما هو غليظ ، ومنها وسط . فاللطيف منها يولد دماً صافياً جيداً ، مثل الحنطة والفراريج المُرَبَّاة (٥) والبيض . وأما الغليظة فانها تنفع المحرورين ومن كثر تعبه قبل الطعام ونومه بعد الطعام (٦) . فأما المتوسط (٧) من الأطعمة فانه لا يولد السدد ولا الفضول الرديئة . وكيموسه جيد ، مثل

---

(١) ص ، س : ورياح . — والحلتيت (بتائين) : دواء هندى شبيه بالسورنجان وهى صمغة حريفة تجمع من نبات الانجدان بشرط أصله وساقه . والطيب منه يكون من الانجدان الأبيض ، والحلتيت المنتن يكون من الانجدان الأسود ، وأجوده ما كان مائلا إلى الحمرة . — وحمى الربع : هى التى تأتى كل رابع يوم . وفى مفردات ابن البيطار (٢/٢٦) أنه بتائين منقوطتين .

(٢) ص : بخلتين (؟) أحدهما الهرم الطبيعى من اليبس الغالب ...

(٣) فى م إضافة : والله أعلم .

(٤) اعلم : ناقصة فى م ، س ، ن .

(٥) ص : المسمنة .

(٦) ص ، م : ومن كثر تعبه قبل الطعام وبعد الطعام ونومه .

(٧) ص ، م : وفضيلة هذا الوسط من الأطعمة أنه ...

الصافى من خبز الحنطة والجداء والحوالى (١) من الضأن [١٧ أ] وجملة الحملان فانها كلها حارة رطبة وإنما تختلف فى الصنعة : فما شُوِى منه فانه يستفيد قوة من النار وحرارة ويُبْساً ، إلا أن يعالجه آكله بشىء يكسر من حَرّه كالخل والليمون أو ما أشبه ذلك كالتمر هندى والقراصيا (٢) ؛ فاذا أطفئ فيها مايشوى من اللحم كسر من حرارته وأصلحه وكذلك ما يقلى منها بالتوابل . — فَقِسْ على هــذا القياس وقابل الحرارة بالبرودة والعكس ، إلا أن يكون الآكل (٣) يقصــد الأطعمة الحارة لبرودة مزاج أو تحريك شهوة نكاح فلا يضر استعمال ذلك ، وما أضيف إلى اللحومات مما يطبخ معها من سائر المأكولات وأصناف الأطعمة فلا يخفى تدبيرها على الحاذق الفطن . ومن اللحومات ما يستحيل سُدَداً مثل لحم البقر والإبل والأوعال والقطا والسِّمان من المعز لأنها لحوم غليظة وحشــية جبلية . وما كان لحمه فتياً رخصاً وكان مرعاه (٤) السقى والرطوبات ويأوى إلى الظلال فانه أرطب وأنفع . وكذلك القول فى السمك فان ماصغر جسمه ورَقّ جلده وكان عليه قشر وكان فى مياه عذبة جارية فهو أخف وأفضل مما كان فى البحار المالحة والآجام . وتجنَّبْ منه ما غَلُظ وعظم جسمه وكثر

---

(١) ص : الحول . والجداء : جمع جدى وهو ولد المعز فى السنة الأولى . والحوالى جمع حولى : من أتى عليه حول (سنة) من ذى حافر وغيره .

(٢) القراصيا : جنسان : منه ما يكون أسود حامضا ، ومنه ما يكون أحمر حلواً يعرف فى الشام بقراصيا بعلبكى ، ويسمى بصقلية : جراسيا (بالجيم) ، وبالأندلس : حب الملوك . وأغصان شجره سبطة مشوبة بحمرة ، وورقه يشبه ورق المشمش ، وثمره شبيه بالعنب مدور يتدلى من شىء شبيه بالخيوط الخضر اثنين اثنين . — ويسمى شجره باللاتينية prunus cerasus وبالفرنسية griottier .

(٣) ص : الأكل على ضد الأطعمة الحارة لبرودة ... وفى س ورد هذا الموضع مختصراً . وفى ن ورد هكذا : وجملة الحملان فإنها حارة رطبة . وإنما تختلف فى الصنعة فما شوى منه فإنما يستفيد قوة من النار وحرارة ويبسا ، إلا أن يعالج بأكله ، وكذلك بفعل التوابل فيه . ومنها ما يستحيل سدداً ...

(٤) س : مرعاه فى الرطوبات .

شحمه فان السموم متوقعة فيه . — وقد صنفتُ كتاباً فى ذكر الأغذية(١) والأدوية ووضعته للخواص والعوام . فبقدر ما أردت من الاستزادة يا إسكندر فالتمسه(٢) هناك تجده إن شاء الله .

ذكر المياه(٣)

الماء حياة كل ذى روح وكل نبت . وقد أعلمتك أن المياه كلها الحلوة والمرة من البحر والآجام تختلف باختلاف الجهات والبلدان وتربة الأرض ومطالع الشمس والقمر . [١٧ب] وأريتك العلة الموجبة لذلك غير مرة. فأفضل المياه وأخفها يعرف من البلدان والمجارى . فاذا كانت الأرض قاعاً جرداء قليلة العفونة ، فان ماءها فاضل خفيف . وما كان من الماء فى أرض شجر كثيرة العفونة فانه ثقيلٌ ردىء . وتجنَّبْ الماء الذى فيه الطحلب والديدان . وأفضل الماء ما كان خفيفاً أبيض(٤) صافياً يسخن سريعاً ويبرد سريعاً وتلتذ به الطباع . وأما المياه المالحة الكدرة الزاعقة فانها تيبس البطن وقد تطلق فى بعض الأحيان . ومياه الثلوج والجليد رديئة ثقيلة . ومياه البطاح والسِّياح حارة غليظة لركودها ودوام طلوع الشمس عليها ، فهى تولد المرة الصفراء وتعظم الطحال والكبد . ومياه العيون التى تنبع من الأرضين حارة رديئة لأن فيها أجزاء من تلك الأرض . وشرب الماء البارد قبل الطعام يهزل البدن ويطفىء نار المعدة . وشربه على أثر الطعام يسخن البدن ويزيد فى البلغم . فان أُكْثِر منه أفسد الطعام فى المعدة(٥) . وعليك بشرب الماء البارد فى الصيف بعد

---

(١) ذكر فى « ثبت كتب أرسطوطاليس على ما ذكره رجل يسمى بطلميوس فى كتابه إلى أغلس » الذى نقله القفطى (ص ٣٥ طبع مصر) من بين كتب أرسطو الكتاب التالى : « كتابه الذى رسمه فى تدبير الغذاء ، ويسمى « باريدياتاطس — مقالة » . — وهو كتاب منحول على أرسطو ؛ ولكن من عهد قديم واسمه باليونانية περι διαιτητης .

(٢) م ، ص : فالتمحه . وفى س : فتفقد ما أحببت الاستزادة هناك تجده .

(٣) ن : صفة أحوال المياه . (٤) أبيض : ناقصة فى م .

(٥) ص : أفسد الطعام بساعات . وعليك بالماء الفاتر فى الشتاء .. — وهنا نقص وتحريف كثير .

تناول الطعام بساعات . وعليك بالماء الفاتر فى الشتاء ، فان شرب الماء السخن فى الصيف مُرْخٍ للمعدة مُهْلِكٌ لها ، كما أن شرب الماء الصادق البرد فى الشتاء مطفئٌ للحرارة مفسد لآلات الصدر مهلك للكبد ، وربما أهلك مَنْ حينه لعلة يطول شرحها .

القول فى الشراب

وأما الأشربة فما كان من عنب جبلى غَذِىٍّ فانه أبين من السهلىِّ السقىِّ . وأما الجبلى الغَذِىُّ فانه ينفع المشايخ أصحاب الرطوبات والبلاغم وهو مُضِرٌّ بالشبان وأصحاب الحرارات والنحافة . والسهلىُّ السقىُّ ينفع الشباب والمحرورين . وكلما عُتِّق يزداد (١) حرارة ولطافة وينفع من الفضول الباردة الغليظة . وكلما اشتدت حِرَّته (٢) وغِلْظته كان أشدَّ للدم توليداً [١١٨أ] وما كان منه عَفِصاً قوياً شديد المرارة والقِدَم فهو أقلُّ دماً وغذاء ، وهو أشبه بالدواء منه بالغذاء . والدوام عليه يُضِرُّ بكل أمة ضرراً عظيماً . — وما كان من الشراب حلواً فانه يفسد المعدة ويقرقر وينفخ ويولد سَدَداً . وأفضل الأشربة وأنسبها لكل الأمزجة ما كان فى أرض متوسطة بين الجبل والسهل والسقىِّ والغذىِّ ، وكان عنبه صادق الحلاوة وقد بلغ غاية الصحة ، ولم يُبالَغ فى عصره حتى تخرج قوة عَجَمه (٣) ومائية قشره وعفاصة عرجونه ، ويكون ذهبىَّ اللون بين الحمرة والصفرة حِرِّيف الطعم لذيذاً قد رسبت أثقاله ورقت أجزاؤه . فاذا حصل الشراب من عنب على هذه الصفة فخُذْ منه باعتدالٍ على قدر الأزمنة والأسنان (٤) فانه يغسل فم المعدة ويقوى الحرارة الغريزية ويعين على الهضم ويمنع الطعام من المفاسد والتشيط ويزعج الطعام ويطبخه فيها حتى يصير دماً جوهرياً ، ويصل إلى الدماغ منه بخار معتدل فى الحرارة والرطوبة فيبعد عنه

---

(١) ق : فهو يزداد . (٢) الحرة (بكسر الحاء) : العطش .

(٣) العجم (بفتحتين) : كل ما كان فى جوف مأكول كالذبيب والعنب الخ .

(٤) ناقصة فى م . وفى ص : الإنسان .

الآفات المؤذية . وهو فى هذا كله يفرح القلب ويحسن اللون ويطلق اللسان ويشجع الجبان ويسوق إلى كل شىء مونق مبهج ، ويبعث على كل منقبة كريمة وخصلة حميدة . فأما الإفراط والإكثار منه وموالاته حتى يفسد العقل ويذهب الحس فانه يفسد الدماغ ويضعف القوة الغريزية النفسية ويردى العقل ويورث النسيان ويضعف الحواس الخمس التى عليها مدار الجسم ويذهب شهوة الطعام ويضعف العصب الحامل للبدن ويورث الرعشة والعمش [١٨ب] والفالج ويلهب الكبد ويغلظ دمها ويسود دم القلب — فيكون من ذلك الوحشة والخفقان والفزع وحديث النفس وفساد اللون وضعف المثانة ، ويرخى العضل المطيف بها وعضل المعدة ويولد فساد المزاج وغلظ البشرة والجزام . وهو من أردأ(١) السموم فلا تكثر منه فهو بمنزلة الراوند الصينى الذى هو حياة الكبد وفيه من المنافع ما يكثر وصفه وصُنّف فى الدواوين ذكره ، وهو أحد السموم القاتلة لمن لم يَدْرِ مقدار استعماله ؛ وكما تفعل أقراص الأفاعى التى لا يقوم الدرياق إلا بها وفيه من دفع الآلام الحادة والأمراض الشاقة ما يطول وصفه .

ولا تَمَلّ شُرْب السكنجبين(٢) أبداً على الريق وغير الريق(٣) عند استيلاء الرطوبات وإحساس البلاغم الطافية ، فهو فاضل . وللفاضل أوميرس(٤) فى شراب الكرم كلام عجيب حيث قال : «عجباً لمن كان شرابه شراب الكرم وأُكْلُه خبزَ الحنطة واللحم الفتىّ من الضأن ! » ثم اقتصِدْ فى أكله وشربه ولا تسرف فى ذلك ، وكذلك يكون فعله فى الجماع . فاذا كان متلطفاً فى ذلك مختصراً فيه ، عجباً له كيف يهرم

(١) ص : أحل ا ء (!) — وتقرأ أيضا : أعداء . وفى م : أعدا . ولعل أصلها : أعدى . والتصحيح عن س .

(٢) سكنجبين : هو العسل المذاب بالخل . فارسى : معنى سك : خل ، انگبين : عسل .

(٣) كذا فى ص : وفى م ، س : استعمال .

(٤) كذا فى س ، أى هوميروس Homerus . وفى ق ، ص ، م : أميروباس وفى ن : والفاضل أميروباس فى شراب الكرم ...

أو يموت ! وينبغى لمن أكثر من ذلك أن يغتسل بماء سخن ، ثم يستقبل الماء الجارى ويجلس فى مظالّ معمولة من الصفصاف والآس ، ويكون قعوده على شاطئ نهر أو بركة لطيفة ؛ ويرش فوق مظلته من ماء الورد والخِلاف والآس ، ويطلى جسده بالصندل المزرود ويروح بمراوح مطيبة بالأخلاط المبردة ، فان هذا(١) التدبير صالح لذلك ، ويدفع مضرة الإكثار من الشراب . كما أنه من أراد تركها فلا [١٩ا] ينبغى أن يقطعها جملةً ، بل يقلل منها أولًا فأولًا ، ثم ينتقل عنها إلى نبيذ الزبيب القوىّ ، ثم لايزال يمزُجه بالماء شيئاً بعد شىء حتى يشرب الماء وحده ويدمن عليه . فهذا التدبير يُسْلِم المزاج من الآفات المحذورة بحول الله تعالى .

وبعد يا إسكندر ! فان مما ذكرنا أشياء تقوى البدن ، وأشياء تُسَمِّنه ، وأشياء تهزله ، وأشياء(٢) توهنه ، وأشياء ترطبه ، وأشياء تيبسه ، وأشياء تنشطه وتهيجه ، وأشياء تورثه الملالة والفتور . فما يقويه الأغذية المعتدلة اللطيفة والأشياء الخفيفة الموافقة إذا استعملها الإنسان فى أوقاتها وعند الحاجة إليها على ما بيناه — إن شاء الله تعالى .

وأما ما يسخنه ويرطب بدنه فالراحة والدعة والرائحة الطيبة الزكية ، وأكل الأسفيداجات(٣) والأطعمة الحلوة الرطبة وشرب الحلو من الربوبات والعسل الرطب المربّى بالجوز فى الأوقات الباردة ؛ والاقتصاد فى هذا كله ؛ والنوم بعد الطعام على الفرش الوثيرة والحشايا اللينة فى المواضع الباردة فى الصيف والدفئة فى الشتاء ، والاستحمام بالمياه الدفئة العذبة وقلة اللبث فى الحمام لئلا يأخذ الحمام من رطوبته ، ويشم الرياحين الفياحة المعتدلة فى كل زمان مثل الياسمين فى الشتاء ، والورد والبنفسج فى الصيف ؛ ويستعمل القىء ثلاث مرات فى الشهر لاسيما فى الصيف ،

(١) هذا : ناقصة فى م . (٢) وأشياء توهنه : ناقص فى ص .

(٣) ص : الأسفيدياجات . س : الأسفيذياحات (بالحاء المهملة) — وفى هامشها : والاسفاناخ . — راجع عنه « مفرادت » ابن البيطار (ج ١ ص ٣١) ؛ وهو مسحوق يستعمل للمرهم وما إليه .

فان القيء يغسل المعدة وينقيها من المواد الرديئة والرطوبة العفنة . فاذا أقبلت تلك المواد فيها قويت الحرارة الغريزية على هضم الغذاء فابتل البدن لذلك وامتلأ . ويعينه على هذا التدبير ويزيده [١٩ أ] نفعاً الفرح والغناء والعزة والغلبة على الأعداء وإدراك الرجاء والتشاغل بالملاهى والنظر إلى الوجوه الحسان وقراءة الكتب المؤنسة وسماع الأغانى المطربة ومضاحكة الأحبة وأحاديث الحذاق من الرجال ذوى المودات والصداقة الخالصة ونقلة(١) الأخبار الغريبة والحكايات المستحسنة ، والملابس المصبغة الموشاة من الحرير(٢) والخز ، والشراب الفاخر — فان هذا كله مما يجمل بالملوك استعماله وهو أليق بهم من سائر الناس لأنهم أقدر عليه وأولى به ؛ وتعاهُد السواك ، والادّهان بالأَدْهان الموافقة للزمان .

فأما ما يُهزِل البدن وييبّسه فخلافُ ذلك كله ومضاده : من قلة الطعام والشراب ، وكثرة التعب ، والحركات فى الشمس والحرّ والسموم ، والسهر الطويل ، والنوم قبل الطعام على الفرش الخشنة لأن الحرارة تنعكس على ما فى البدن من الرطوبة فتنشفها ، والاستحمام بالمياه الكبريتية والمالحة والمحلولة والباردة فى الشتاء ، وأكل الحريفية والقلايا فى الصيف وشرب الشراب العتيق صرفاً ، والإكثار من إسهال البطن وإخراج الدم وإفراط المجامعة وشغل البال والفقرُ والخوف .

وأما(٣) ما يسمّن البدن ويهيجه ويكثر لحمه : فقلة المجامعة وأكل الخبز السميذ ولحم الدجاج المسمنة ، والقيء فى كل غداة بالسكنجبين فى أيام الصيف وركوب الفارهة(٤) الطيبة المشى من الدواب(٥) والشرب فى الأوانى الجديدة الطيبة الرائحة واطراح الهم والحزن(٦) .

---

(١) ص : نقل . (٢) الحرير : ناقصة فى م .

(٣) من هنا حتى قوله : والأفكار الرديئة والهموم المترادفة . القول فى الحمام ... — كله ناقص فى س

(٤) ناقصة فى ص . (٥) من الدواب : ناقصة فى ص .

(٦) واطراح ... الحزن : ناقص فى ص .

وأما ما يهزله (١) ويسقمه فكثرة الهم (٢) والخوف والسهر وشغل القلب والعشق المفرط [٢٠ ا] والنوم على الأرض ومضاجعة المسنات (٣) من النساء والنظر إلى مايكرهه المرء ويشنؤه ولا يمكن (٤) أن يفارقه . وأشد ذلك وأضره (٥) الأفكار الرديئة والهموم المترادفة .

القول فى الحمام

إن الحمام ، يا إسكندر ، من أعجب ما فى العالم وأغرب ما وصفته حكماء الأرض ودبرته لراحة الجسم ونقاء البدن وتحليل الأعضاء وفتح مسام الجسم وإظهار البخارات والفضلات ونقاء الجلد من بقايا الآلام والأمراض . وذلك أنه مبنىٌّ على فصول السنة : فالحار للشتاء ، والذى يليه للخريف ، والذى يليه للربيع ، والذى يليه للصيف . ومن صواب التدبير فيه أن يلبث الداخل فى البيت الأول قليلا ، ثم يصير منه إلى الثانى فيلبث فيه قليلا ، ثم يدخل إلى البيت الثالث . وكذلك يفعل إذا خرج : يلبث فى كل بيت هُنَيْهَةً لئلا يَهْجُم من حر شديد إلى برد شديد، أو من برد شديد إلى حر شديد . — ويكون بناؤه مرتفعاً وهواؤه كثيراً وماؤه عذباً . وتوضع المجامر فيه بالدواخن الموافقة للأزمنة (٦) — يعنى الربيع والصيف — والدُّخنة (٧) فيهما بالند المربع والمثلث ، وفى الخريف والشتاء : الند المثنى والعود الرطب . — ثم يجلس على كرسى محشولين حتى يرشح جسمه ، ثم يمسحه ، الحين بعد الحين ، بمنديل كتان . فاذا قضى منه وطراً انتقل إلى (٨) منزله الذى يغتسل فيه ثم دخل أبزنا (٩) فاتراً . فإذا غلبه الحر واستشاط ، استعمل أحد الصوابين المجلية المُنَقِّية على قدر الأزمنة : ففى الربيع والصيف صابون قيصر (١٠) المعمول بالصندل والأملج ، وفى الخريف والشتاء :

(١) م : وأما مايحزن البدن ويسقمه . ص : وأما مايهزله ويشغله . (٢) م : وحمل الهم .
(٣) ص : العجائز . (٤) م : ولا يطيق . (٥) إلى هنا آخر النقص فى س .
(٦) ن : للأزمنة : فى الربيع والصيف الند المثلث والمربع ، وفى الخريف والشتاء الند المثنى ثم يجلس على كرسى ... (٧) ص : والتدخين . (٨) إلى : ناقصة فى ص .
(٩) الأبزن : الحوض . (١٠) كذا فى س . وفى م ، ص : قصير (!) . — والأملج : ثمرة سوداء تشبه عيون البقر لها نوى مدور حاد الطرفين ، وأجوده المعروف باسم شير أملج ؛ ويؤتى به من الهند . راجع « مفردات » ابن البيطار (١/٥٤) .

الصابون المعمول بالصبر وماء السلق . ويصب على رأسه المياه المتوسطة المعتدلة ثم يغمر [٢٠ ب] بدنه كله حتى يذهب وسخه ودرنه ، ثم يتضمخ ببعض الأدهان المشاكلة للأزمنة ، ثم يتنظف منها بالنقاعات المجلية وكل دلوك نافع مدبر.(١) ثم يعود إلى أَبْزَنٍ أحرّ من الأول بدرجتين . ثم يتدرج فى خروجه على ماقدمناه . ثم يجلس فى الأحرّ حتى يجف ، وينشف جسمه بالمناديل المطيبة بماء الورد والعنبر . فان كان صيفاً تنشف بمناشف الكتان الرفيع اللين ، وإن كان الشتاء تنشف بمناشف القطن والحرير . فان وجد عطشاً فليشرب من شراب الورد والتفاح الممسك بالماء البارد نحو نصف رطل ، ثم يتمطى قليلا ناظراً إلى كل صورة حسنة مصورة محكمة التصوير ؛ وإن كان إلى آدمى حسن الوجه فهو أفضل وأتم ، وإلى الراشنات(٢) العطرة(٣) . ثم بعد هذا يتناول طعامه ويستوفى غذاءه ، ويستعمل من الشراب الممزوج ما جرت به العادة إلى غير إكثار وإلى شىء يؤدى إلى سكر . ثم يطيب بطيب يوافق الزمان . ثم يصير إلى فراش وثير ، ويستدعى النوم . وليحذر الجماع ذلك اليوم عقيب الحمام وتلك الليلة ، لئلا يهدم الجماع جميع ما ذكرناه ودبرناه فهو أتم للصحة وأبرأ للجسم وأجلب للقوة وأدوم للعافية . ثم يأخذ من نومه حاجة ، ثم يصل بالراحة والدعة(٤) بقية يومه ، فان هذا التدبير ينشئ نشأ حسناً جيداً . ومن كان شيخاً أو غلبت عليه البرودة فانه يلبث فيه طويلا حتى يتصبب عرقاً . وإن كان شاباً فالغالب عليه الحرارة واليبس فيلبث فيه قليلا بقدر ما يبتل بدنه ويأخذ من رطوبة الحمام . وإن كان كهلا فتدبيره [١٢١] مابين هاتين المنزلتين ويستعمل الماء المعتدل

---

(١) وكل ... مدبر : ناقص فى س .

(٢) الراشن : فى تذكرة داوود : الراشن يسمى حزنبل ويقال له الجناح الرومى والشامى . فى « مفردات » ابن البيطار : عرق شجرة من النبات ليس لها فرع يطول كبير طول ، بل قد يغلظ فى بطن الأرض ويرمى بقضبان طوال ، وله ورق أخضر ؛ ومنابته بطرسوس وبغيرها من أرض الشام وبطبرية (جـ ٢/٢٠) . وإذا صح أن هذا هو المقصود هنا فاسم الراشن باللاتينية Inula Helenium أو Aster officinalis وبالفرنسية Elécampe, Aunée .

(٣) س : الغضة العطرة .   (٤) والدعة : ناقصة فى م .

على جسمه . — ويستحب (١) لصاحب البلغم أن لايستحم إلا على الريق ، ويستنقع فى ماء قد طبخ فيه المرزنجوش (٢) والشيح (٣) والغار والقيصوم ويتمرخ بأدهان حارة . ومن (٤) كان الغالب عليه الصفراء فليتناول قبل الحمام ما أمكنه من السكنجبين بالماء البارد فان تقيأ نفعه ، وإن تركه لم يضره ؛ وإن تناول عليه وزن خمسة دراهم من الخبز فهو يدفع عنه الصفراء، ولا يأخذ منه الحمَّام . ومن كان حار المزاج كان على ما قدمناه (٥) .

هذا ، يا إسكندر! إذا تفهمت معانيه وتحفظت مغازيه يغنيك عن كل طبيب .

يا إسكندر ! أما صدمات العِلَل الحادّة فمن البحارين (٦) ، وأحداث العمر تقف على طولها أو قصرها . ومن العلامات المتقدمة تقف على مائيتها (٧) . وفى النبض دليل قوى وهو مما لايوقف (٨) على علمه إلا مُلامسةً . وقد أوقفتك على تقاسيمه . والماء دليل آخر فاضل على تقدمه . وفى كتابى المشهور فى الماء (٩) كفاية عن ذكره هاهنا فتدبره هناك . كما أن الكتاب الذى ألفته فى الأدوية المركبة والأشربة المؤلفة (١٠) والأدهان والمراهم على مذاهب (١١) الروم والهند والفرس واليونانيين وما استنبطته تجربة وعلماً ما يغنينا عن إعادته هاهنا . إلا أننى لما اعتقدت إفشاء كل سر علمته إليك لم أر أن أكتمك الدواء الذى يعرف بالعصمة وهو كنز الحكماء المكنون ؛ ولم أقف على أول من ركبه . فطائفة أخذت أن آدم أوحى به إليه ، وطائفة زعمت أن اسقلابيوس

---

(١) فى ص نقص كبير يبدأ من هنا حتى قوله : صفة العسل . (٢) م : المرزنوش .

(٣) مرزنجوش ، ويقال : مرزجوش ومردقوش أيضاً ، وهو فارسى واسمه بالعربية سمسق وعبقر وحبو الفتى وحبو الشيوخ أيضاً ، ويسمى بصقلية امراقن : نبات كثير الأغصان منبسط ذو ورق مستدير مزغب ، طيب الرائحة جداً . وأهل الأندلس يسمون النبات المعروف بلسان السبع : مرزجوشاً . ويسمى باللاتينية majorana hortensis وبالفرنسية marjolaine .

(٤) ومن كان الغالب عليه ... يا إسكندر : ناقص فى س .

(٥) م : كان على هذا . س : كان على ما قدمناه إن شاء الله تعالى .

(٦) جع : بحران . (٧) = ماهيتها . وفى س : غايتها .

(٨) م : يواقف . (٩) أكملنا هنا س بالمخطوط م .

(١٠) م : والأشربة المولدة بالأدهان . . . (١١) م : على مذهب الفرس والروم واليونان .

وهرمس الأوسط وبرس بالى ودادسطيوس(١) وياشورش وابلق وزوبوريس وفاطروس الحكماء الجلة الثمانية الذين اطلعوا على العلوم الخفية من سر الخليقة وما بعد الطبيعة من الخلاء والملاء والنهاية — اتفقوا على تركيب هذا الدواء الجليل وقسموه ثمانية أقسام. وطائفة زعمت أن أخنوخ استعمله بالوحى، وهو هرمس(٢) الأكبر، وهو الذى تسميه الروم أبهجمير(٣) وهو إدريس عليه السلام(٤) وإليه تنسب كل حكمة سرية وعلوم علوية. فَصُنْه جهدك يا إسكندر، فهو من أجلّ الذخائر(٥):

صفة العسل الذى يركب به هذا الدواء(٦)

يؤخذ — على توفيق الله وعونه — من(٧) عصارة الرمان الحلو والحامض عشرة أرطال ومن عصارة التفاح الحلو عشرة أرطال، ومن رُبّ العنب الصافى الحلو قسط(٨) ومن السكر الطبرزد عشرة أرطال — يوضع الجميع فى قدر برام < نظيف(٩) > ويطبخ برفق بنار لينة غير مدخنة شيئاً بعد شىء، ويزاح ما يعلو من رغوة حتى يعود فى قوام العسل الثخين. فهذا هو العسل المدبر الذى تستعمله فيما أذكره لك إن شاء الله تعالى، وهو قوام هذا الدواء النفيس(١٠).

صفة(١١) الدواء الأول:

يؤخذ من الورد الأحمر اليابس رطل واحد، ومن نُوّار البنفسج ربع رطل؛ ينقع الجميع فى عشرة أرطال ماء عذب بعد أن يضاف إليه من ماء الريحان نصف

---

(١) فى ن: اسفلانيوس وهرمس الأوسط وبرس مالى ودادسطيوس ومايورس وابلق ودبورس وفاطروس. وفى هامش س: ذاذسطيوس. وفى الصلب: وناسيورس وايلن ودونورنس وقوطاروس. — وفى الترجمة التى استعملها بيكون هكذا: Esculapius, et Hermogenes medicus, Hirfos, et Domasties et Vatildos Hebrei, et Dioris, et Caraus. ق: ياسورس وابلق.

(٢) س: بالوحى وهرمس الأكبر... (٣) س: أهجد. ن: أبهجد. ق: أبهجهر أخزخ.

(٤) وهو... السلام: ناقص فى س، ن. (٥) إلى هنا ينتهى النقص فى ص.

(٦) كذا فى س. وفى م: وصفة العسل الذى يركب هذا الدواء. وفى ص: صفة العسل الذى يركب من الدواء (!). (٧) هذه الجملة لم ترد فى س. (٨) س: قسط واحد.

(٩) الزيادة فى س. (١٠) ص: إن شاء الله. (١١) صفة: ناقصة فى ص، س.

ومن ماء المرزنجوش ربع رطل ، ومن ماء لسان الثور رطل (١) واحد — يجمع الجميع وينقع فيـه من الأملج (٢) أوقيتان ، ومن القرنفل أوقيـة واحدة . ثم يترك الجميع يوماً وليلة حتى يخرج جميع قوى (٣) ذلك ، ثم يطبخ بنار لينـة حتى ينقص ثلثا المـاء . ثم يترك ويُصَفَّى ويضاف إليه من العسـل المدبَّر المذكور ثلاثة أرطال ويعقـد حتى يثخن ويفتق بدرهم ونصف من المسك ، ودرهم من العنبر ، وثلاثة دراهم من سحاقة العود الرطب .

فهذا (٤) الدواء الأول ، وهو جزء من ثمانية أجزاء يأتي ذكرها . وخاصيته تقوية المعدة والقلب والدماغ إن شاء الله تعالى .

صفة الدواء الثانى :

يؤخـذ من الاهليلج الكابلى (٥) المقشر عن نواه رطـل واحد ومن [٢١ب] لب خيار شنبر ربع رطل ، ومن الترنجبيل ربع رطل ، ومن عرق السوس المجرود الأعلى الأصفر (٦) المعتـدل فى الغلظ أوقيتان ، ومن حب الآس المتناهى فى نضجه أوقيتان . يهشم (٧) ما يجب هشمه وينقع فى عشرة أرطال ماء عذب يوماً وليلة ، ثم يطبخ برفق حتى ينقص نصف المـاء ، ثم يمرس ويصفى . ويضاف إلى الصافى من العسل المدبر رطلان ، ويعقد الجميع حتى يثخن ، ثم يضاف إلى ذلك من مسحوق المصطكى أوقية ومن الطباشير ربع أوقية ويشال لوقته .

فهذا الدواء الثانى . وخاصيته تقوية المعدة وعصرها وإخراج العفونة منها دون كره ولا مشـقة على الطبيعة ، ويقوّى العصب والصدر والدماغ إن شاء الله سبحانه وتعـالى (٨) .

---

(١) رطل : ناقصة فى م . — ولسان الثور باللاتينية : borago officinalis وبالفرنسية bourrache

(٢) الأملـج : ثمرة سـوداء ذات نوى مدور حاد الطرفين ، يؤتى به من الهنـد ؛ باللاتينية Phyllanthus emblica وبالفرنسية embilique officinale .

(٣) ص : حتى تخرج قواه . س : حتى تخرج قوى جميع الأدوية . (٤) م : فهو.

(٥) س : والكابلى. المقشر: ناقصة فى م. — الأهليلج myrobalan، خيار شنبر cassia fistula عرق السوس liquorica . (٦) الأعلى الأصفر : ناقصة فى ص .

(٧) ص : يرض ما يجب رضه . (٨) إن ... تعالى : ناقص فى ص ، س .

صفة الدواء الثالث :

يؤخذ من الأملج (١) نصف رطل ، ومن الأهليلج الهندى نصف رطل ، ومن الدارصينى والخولنجان وجوزبوا (٢) أوقية . يهشم الجميع وينقع فى عشرة أرطال ماء عذب ويترك يوماً وليلة ، ثم يطبخ بنار لينة برفق حتى يذهب نصف الماء ؛ ثم يمرس ويصفى ويضاف إلى الصفو منه من العسل المقدم ذكره ثلاثة أرطال ، ويعقد حتى يثخن ويرفع لوقته .

فهذا الدواء الثالث ، وخاصيته تقوية جميع الأعضاء (٣) الباطنة ، ولا سيما الأعضاء الرئيسة .

صفة الدواء الرابع :

يؤخذ من ماء العوسج الطرى المصفى رطلان ، ومن ماءأغصان العليق الرخصة رطلان ، ومن ماء السريس (٤) المغلى المصفى رطلان ، ومن ماء الكرفس نصف رطل ، ومن ماء الزوفة (٥) الرطبة والمخيطا من كل (٦) واحد ربع رطل — يجمع الجميع ويترك يوماً وليلة ، ثم يصفى ويضاف إليه من العسل المدبّر رطلان أو ثلاثة إن أمكن ، ثم يطبخ بنار [١٢٢] لينة حتّى يثخن .

---

(١) الأملج : ثمرة سوداء تشبه عيون البقر ذات نوى مدور حاد الطرفين ، إذا نزع قشره تشقق النوى ثلاثاً ، مر الطعم عفص ، يؤتى به من الهند . — وهو باللاتينية phyllanthus emblica وبالفرنسية embilique officinale .

(٢) هو جوز الطيب . واسم الجوزبوا باللاتينية myristica fragrans وبالفرنسية muscadier وبالانجليزية nutmeg .

(٣) زوفا : اسم جنسين : يابس ورطب : فالزوفا اليابس حشيشة تعرف بأشنان داود تنبت بجبال ايليا ذات أغصان منفوشة على وجه الأرض وورق يشبه ورق المرزنجوش . والزوفا الرطب هودسم الوسخ الموجود على أصواف ضأن الغنم . وهو باللاتينية hyssopus officinalis و بالفرنسية hyssope .

(٤) الأعضاء : ناقصة فى م ، س . وفى م : والله أعلم .

(٥) س : السرش . وفى ص ناقص .

(٦) كذا فى م . وفى س : ومن ماء الهندبا رطل واحد ، ومن ماء الرازيانج رطل واحد ، يجمع الجميع ... وفى ص : ومن الزوفا الرطبة ومن المخيط من كل واحد ...

فهـذا الدواء الرابع ، وخاصيته : يفتح السـدد وينفع آلات الصدر والرئة إن شاء الله تعالى .

صفة الدواء الخامس :

يؤخذ من الاسطوخودس (١) الطرى نصف رطل ، ومن البرباريس (٢) نصف رطل ومن فقاح الإذخر ثلاث أواق — ينقع الجميع فى اثنى عشر رطلا من ماء عذب ، ثم يضاف إليه من الأنيسون ثلاثة أواق ، ويترك يوماً وليلة ، ثم يطبخ حتى يذهب نصف الماء ، ويضاف إلى الصفو أربعة أرطال من العسل المدبَّر المذكور ، ويعقد حتى يثخن ويرفع لوقته .

فهـذا الدواء الخامس . وخاصيته إحدار (٣) السـوداء والبلغم برفق ، والنفع من المالنخوليا مع إصلاح المعدة وفتح السدد وفش الرياح (٤) .

صفة الدواء السادس :

يؤخذ من لعاب البزرقطونا (٥) نصف رطل ، ومن لعاب حب السفرجل نصف رطل ، ومن الكثيرة (٦) أوقيتان ، ومن الصمغ العربى ثلاث أواق — يُحَلّ الجميع فى

---

(١) ص : الأسطوخوس . والأسطوخودس : معناه باليونانية موقف الأرواح ، ويسمى سنجادس أيضاً ، ويعرف بتونس وافريقية : بالكشة ، وقيل إنه يسمى ضرم . ونباته دقيق الثمرة حريف الطعم ، ويعرفه بعض أهل بر فلسطين بصعـتر الحمار . ويسمى باللاتينيـة lavandula stoechas وبالفرنسية lavande stoechas . راجع عنه « مفردات » ابن البيطار ١/٢٤ .

(٢) س : الامير باريس . وفى كتاب «السمات فى أسماء النبات» لأحمد بن طرخان : « امير باريس ، ويقال برباريس أيضاً هو حب نبات يعرف بأنراز ، ويسمى بالفارسية زرشك وزرتك . وهى شجرة خشنة النبات خضراء اللون تضرب إلى سواد ، تحمل حباً صغاراً متشنجاً ، منه أندلسى ورومى وشامى يجلب من جبال بعلبك وبيروت » — ويسمى أيضا : انبرباريس ، ويسمى باللاتينية berberis vulgaris وبالفرنسية épine-vinette أو vinettier وبالانجليزية barberry .

(٣) ص : تحدير .   (٤) م : بمشيئة الله عزوجل وعرشه .

(٥) البزرقطونا : نبات يسمى بالفارسية اسفيوس ، وباليونانية فسيكون ، أى البرغوثى . ويسمى باللاتينية plantago psyllium وبالفرنسية herbe aux pyces أو pucière .

(٦) كذا فى ص . وفى م : الكثير . وفى س : الاكثير .

ماء الورد ، ويضاف إلى ذلك من العسل المدبر ثلاثة أرطال ، ويعقد عقداً جيداً ويرفع لوقته .

فهذا الدواء السادس . وخاصيته تليين الصدر ، وينفع من داء البشيمة (١) وإصلاح آلات النفس كلها مع إسكان اللهب وإبراد السحج وتفرية الأمعاء (٢) إن شاء الله تعالى .

صفة الدواء السابع :

يؤخذ من السنبل الهندى أوقية ، ومن الدارصينى (٣) والقرفة والكبابة ثلاث أواق أثلاثاً متساوية ، ومن الزراوند الطويل والمدحرج شطرين — ينقع الجميع فى خمسة أرطال من ماء عذب ويترك حتى تخرج قوة ذلك ، ثم يمرس ويصفى ويضاف إليه من العسل المصفى المدبر ثلاثة أرطال ويعقد بنار لينة حتى يثخن .

فهذا الدواء السابع . وخاصيته إسخان المعدة وطرد الرياح من الجوف باذن الله تعالى .

---

(١) كذا فى م . وفى س : الثة . وفى ص : البشمة . (٢) ص : المعا .

(٣) الدارصينى : معناه بالفارسية شجر الصين ، وهو ثلاثة أجناس ، أجودها دارصينى الصين ، ثم دارصينى الدون ، ثم الدارصينى المعروف بقرفة القرنفل . ويسمى باللاتينية cinnamomum zeylanicum وبالفرنسية cinnamone .

والكبابة : حب يسمى باليونانية قرقيسيون ، ونعته نعت الفلفل ، أصهب اللون ، وعيدانه دقاق ، تشبه قضبان الدارصينى ، ذو رائحة عطرية ، وهو صنفان : كبير يسمى حب العروس ، وصغير يسمى فليخه . ويسمى باللاتينية piper cubeba وبالفرنسية cubèbe أو pipre à queue .

والزراوند : وزريوند : نبات ذو نوعين طويل يسمى باليونانية ارسطلوخيا ، وبالبربرية مسمقار وبعجمية الأندلس ببله (ببائين موحدتين) ؛ والنوع الآخر يعرف بالمدحرج ، وهو أفضلهما . وورق الطويل ناعم طيب الريح وزهره أبيض ؛ والمدحرج أقصر ورقاً من الطويل . ومن الزريوند صنف ثالث يقال له قليمياطيطس ذو أغصان دقاق وورق كثير . والزراوند الطويل يسمى باللاتينية aristolochia longa وبالفرنسية aristoloche longue والزراوند المدحرج يسمى aristolochia rotunda .

والسنبل nardus : ويسمى ناردين ؛ وهو نبات ذو ثلاثة أنواع : هندى ورومى وجبلى وهو البرى . فالهندى هو المعروف بسنبل الطيب والعصافيرى أيضاً . والرومى يسمى ناردين قليطى . والجبلى يسمى ناردين أغريا .

صفة الدواء الثامن :

يؤخذ من الراوند الصينى الأصم ثلاث أواق ، ومن الدرونخ (١) الصينى أوقية ، ومن اللك (٢) المنقى أوقية ، ومن الأصناف الثلاثة من الصندل أوقية ونصف — يهشم الجميع ويصب عليه من الماء العذب عشرة أرطال وينقع فيه حتى تستفيد قوتها ، ثم يمرس الجميع مرساً بليغاً ويصفى ويضاف إلى المصفى من العسل المدبر ثلاثة أرطال ، ويطبخ برفق بنار لينة حتى يثخن .

فهذا الدواء الثامن . وخاصيته إصلاح الكبد والقلب وتقوية الأعضاء الباطنة .

فاذا تكملت هذه الأدوية الثمانية المتقدمة الذكر يضاف إليها مثل زنة ربع جميعها تمر هندى طرى منقى من نواه ، يحل فى الماء وتستخرج قوته كما فعل بما تقدم ذكره . ثم تجمع الأدوية الثمانية وماء التمر هندى فى برام كبير ويصب عليه من ماء الورد الطيب ستة أرطال ، ويطبخ الجميع برفق حتى يهم أن ينعقد ، ثم ينزل . فاذا فتر أخذت أوقية من دهن البلسان ويحل فيها من العنبر الشحرى (٣) ثلاثة دراهم ، ومن المسك الأذفر الطيب أربعة دراهم ، ويضاف إلى المعجون ؛ ثم يضاف إليه من سحيق اللؤلؤ نصف أوقية ومن سحيق الياقوت الأحمر والأزرق والأصفر ستة دراهم أثلاثاً ، ومن الزمرد ثلاثة دراهم ، ومن الذهب المنخول ثلاثة دراهم ، ثم يجعل فى برنية من الفخار الصينى ، وإن كانت البرنية من الذهب كان أجود ،

---

(١) الدرونخ : نبات له ورق على الأرض يشبه ورق اللوف ، غير أنه أميل إلى الصفرة ، وعند مخرج الورق قضيب أجوف طوله ذراعان ، وعلى طرف القضيب زهرة صفراء جوفاء . وهو باللاتينية doronicum scorpioides وبالفرنسية doromic .

(٢) اللك : اسمه باللاتينية rhus oxycantha وبالفرنسية lac sumach .

(٣) بالجيم المعجمة فى ص ، م . وبالحاء المهملة فى س .

والبلسان : نبات قريب الشبه بالآس فى قضبانه ، ذو ورق يشبه ورق السذاب غير أنه أشد بياضاً وأرق ورقاً ، لابزر له وإنما ينقل مشتولا . ودهنه من أطيب الأدهان رائحة وأشدها قوة ، ذهبى اللون . والجيد منه ما كان حديثاً قوى الرائحة خالصها . وهذا الشجر يعرف بمصر خاصة فى عين شمس . وهو باللاتينية momordica balsamina وبالفرنسية pomme de merveille .

ثم تبخر الآنية [٢٣ ا] التى يجعل فيها بالعود، ثم يدعيه وينجمه تحت السماء لتنزل فيه القوى الروحانية أسبوعاً ، ولا ينجم فى ليلة يكون فيها القمر منحوساً أو خالى السير أو تحت الشعاع . فاذا كمل على هذه الصفة الموصوفة فقد حصل كنز من كنوز الدنيا وذخائر الملوك .

فتناول منه يا إسكندر على الطعام مثقالا واحداً فى كل يوم ، وعلى الريق مثقالين ؛ فهو غاية كل غاية . وبعض منافع هذا الدواء الجليل النفيس إذهاب السوداء والصفراء والبلغم وتسخين الكلى وطرد البواسير وإذهاب النفخة وهضم الطعام وتعديل المزاج وإلطاف الكيموس وإسكان الصداع وإجلاء البصر وتصفية اللون وطيب النكهة وشد الأسنان وتوقيف الشيب وتبطئته وإحدار الطعام (١) وتسكين جميع الآلام الظاهرة والباطنة ، وتفتيح السدد وطرد الرياح ومنع التعفن وإخراج الأثقال وإدرار البول ؛ ويَذْهَب بالسعال ويُرَوِّق الدم ويسحق الأطعمة ويجيد الهضم ، وينفع من الخفقان على أى وجه كان ، ويفرح القلب ويولد السرور — وغير ذلك مما يطول وصفه . وله خاصية شاذة فى توليد العقل وهو الدماغ ، ويولد الذكاء ويشحذ القريحة ويحسن الفكر . ولا أعلم دواء دبرته الحكماء أحفظ للصحة ولا أبقى للقوة ولا أشد حفظاً للأجساد والأرواح منه .

ويلزمك يا إسكندر أن لاتشرب دواء ولا تفتح عرقاً ولا تشرط موضعاً إلا عن اختيار من علم النجوم ، فان الفائدة فى العلم الطبى (٢) تعظم بذلك .

اختيار الفصد والحجامة :

إذا أردت أن تفجر [٢٣ ب] أو تحتجم (٣) أو تخرج من الدم قليلا أو كثيراً أو تقطع عرقاً فلا تحاول شيئاً من ذلك حتى يهلّ الهلال وحتى يقارب الشمس بثلاث عشرة درجة . واحذر أن يكون القمر فى القوس وهو الطالع ، أو فى الدَّلْو أو فى الجَدْى

---

(١) م : واحذار الخام (!) . س : وتصفية الصوت وإحدار الحمام (!)

(٢) س : الطبيعى .   (٣) أو ... عرقاً : ناقصة فى ص .

أوفى الجَوْزاء . وتحفظ من نظر الشمس إلى القمر والطالع فى التربيع أو المقابلة وكون القمر فى الاجتماع والقمر فى بروج مائية . واحذر أن يكون المِرِّيخ فى الطالع أو مقابلا له ، وكذلك زُحَل .

وأفضل الأوقات للمفتصد النصف الأخير من الشهر لكون القمر ناقص الضوء ولا يكون فى الميزان ولا فى العقرب ولا النحوس إليه ناظرة . وأرداه مايكون القمر فى ثانيه أو ثامنه نحس . — فأما الحجامة فإذا كان القمر زائداً فى الضوء ولا تنظر إليه النحوس ، وبخاصة المريخ ، ويكون القمر فى الزهرة ، أو تنظر الزهرة والمشترى إليه . وإذا كان موضع القمر أو الطالع له سلطان على ذلك الموضع من الجسد ، فلا تتعرضه .

اختيارات لشرب الأدوية :

إذا أردت أن تشرب دواء فليكن القمر فى البروج الجنوبية ، ما خلا الجدى ويكون متصلا بالزهرة أو المشترى ؛ فان يكن فى العقرب أو الحوت فهو أفضل ، أو فى الميزان مع الشمالية . واحذر أن يكون القمر مع زحل ، فانه يجمد الدواء فى البطن . وكلما تباعد القمر من زُحَل كان خيراً . ولا بأس بالمريخ ، إلا أنه إذا اتصل به القمر دل على السحج . ومدار أمورك(١) على إصلاح القمر وتغييبه عن النحوس وإيصاله بالسعود . والله تعالى موفقك ومؤيدك .

وإذ(٢) قد فرغتُ من الطب الجسمانى ، فأقول فى الطب الروحانى : إذ الآلام النفسية يجب(٣) التداوى <منها> . ومداواتها إنما تكون [١٢٤] بالآلات الموسيقانية(٤) الموصلة إلى(٥) الحاسة السمعية النَّغَم التأليفية التى هى نِسَبُ احتكاك الأفلاك ودورانها ونغم الطبيعة الفاعلة بالمجارى الصحيحة . ولما راموا تلك الحكاية وشبهوا تلك النسب

---

(١) س : أمرك كله .　　(٢) كذا فى س . وفى ص ، م ، ق : وإذا فرغت .
(٣) ص ، م : تحب . وفى س : ياذا الآلام النفسية ! يجب التداوى ...
(٤) س : الموسيقية .　　(٥) إلى : فى س ، وناقصة فى ص ، م .

الوهمية وحملوها على الطبائع الإنسانية — وجب لكل إنسان أن يميل إلى طباعه المركبة فيه . فاذا وقع التشاكل وتطابقت الطبائع قامت النفس ففعلت(١) وامتدت روحانيتها وانبسطت وجرى فيها من المادة ما يبعث على الأنس .

ولهذا(٢) كان الفرس إذا أرادت تدبير رأيها أمرت بالنغم والغناء وأشعارٍ تشاكل الغرض الذى يخوضون فيه . فتزعم أن الرأى ينطاع لهم ويطابق الصواب فى مذهبهم. وهذا لعمرى من جملة تجاربهم الصحيحة . ولولا الإطالة وتبيين ما أنت يا إسكندر بأقل إشارة تفهمه لبينت لك فى هذا المعنى كثيراً . وفى الذى ألفته فى علم الموسيقى والضرورة العلمية فيه وأنه أحد العلوم الأربعة(٣) التى هى أركان العالم ما يغنينا عن ذكر تطويله ها هنا(٤) .

ومن(٥) جملة ما لاغناء بك عن علمه ، يا إسكندر ! ، معرفة ما تستشعر النفس بالعلامة الظاهرة إذا صَفَتْ من الشهوات وتخلصت من المُرْدِيات(٦) . وهذا القسم يعرف بالظن . فاذا كانت النفس شافَّةً على الجسم زائدة عليه ، وكانت المادة النورية الكامنة فى القلب لاتحول بينها وبين المادة النفسانية الكائنة فى الدماغ وصفاء الذهن عن الكدر وانعكس على مطلوبه — كانت الكهانة التى توجد فى بعض العالم صحيحة مقدَّرة بالعجائب المغيبة دون أصل . ومدارها أيضاً على طالع القِران الواقع بهذه القوة المولدة ، كما أنه يلزمك أن تستشعر(٧) بالدلائل مع حسن الطبع علم الفراسة فهو عِلْمٌ كبير ، وفى قديم الأيام استعملته الأوائل وتفاخرت بحسن الطبع فيه ، وهو علم صحيح ، ولولا الإطالة لأتيت بالعلة الموجبة فى صحته .

(١) كذا فى س . وفى م ، ص : فعلت .

(٢) ولهذا ... ومن جملة مالا غناء : ناقص فى ص ، ووارد فى م ، س .

(٣) العلوم الأربعة هى الحساب والهندسة والموسيقى والفلك ؛ وتسمى باللاتينية quadrivium . وهذا التقسيم وضعه الفيثاغوريون المحدثون فى القرن الأول للميلاد ، وأورده لنا بوئتيوس ومرقيانوس كابلا .

(٤) آخر النقص فى ص .

(٥) فى الترجمة اللاتينية التى استعملها روجر بيكون يبدأ بهذا الموضع الفصل الرابع (ص ١٦٤ نشرة استيل) .   (٦) س : المؤذيات .   (٧) س ، م : تستشعره .

وممن مهر فيه ونسب إلى صحته من الأوائل صاحب الفراسة أفليمون ، وكان يستدل بتركيب الإنسان على أخلاق نفسه . ولقد جرت له حكاية ظريفة غريبة ، أثبتها لتقف عليها . وذلك أن تلامذة الفاضل أبقراط [٢٤ ب] صوروا صورة أبقراط في جلد ونهضوا بها إلى أفليمون وقالوا له : تأمَّلْ هذه واحكم لنا على أخلاقها . فنظر إلى تركيبه وقرن أعضاء بعضها ببعض ثم قال : « هذا رَجُلٌ خَدّاعٌ فاسق يحب الزنا » . فأرادوا قتله وقالوا : « أيها الجاهل ! هذه صورة الفاضل أبقراط » . فقال لهم : « سألتموني عن علمي فأخبرتكم » . فلما وردوا على أبقراط خبروه بما صنعوا وبما قال لهم . فقال لهم أبقراط : « صدق أفليمون ! (١) » . والله ما أخطأ في ما تفرسه حرفاً . هذه صفتي وهذه خلتي . ولكن لما رأيت هذه الأشياء قبيحة ، ملكت نفسي عنها وغَلَبَ عقلي على شهوتي . وأي حكيم لا يُغْلِّب عقله على شهوته ! » . وهذا من الزيادة في فضل أبقراط ، لأن الفلسفة إنما هي مِلْك الشهوات .

باب مختصر في علم الفراسة (٢)

ويا إسكندر ! أنا أثبت لك من علم الفراسة رسوماً مختصرة وعقداً كافية تغنيك — بحُسْنِ طبعك وكرم جوهرك — عن كثير من علم الفراسة إن شاء الله .

---

(١) في بعض المخطوطات بالقاف ، وصوابه بالفاء كما في ق = Polemon . — راجع عن هذا الموضع R. Foerster في كتاب Scriptores Physiognominici جـ ١ ص VIII . ولفليمون كتاب في الفراسة نشره ج . هوفمن في مجموعة فورستر Foersters Physiognomici Graeci et Latini جـ ١ في ليبتسج سنة ١٨٩٣ ص ٩٨ وما يليها مع ترجمة لاتينية . راجع عن فليمون : « تاريخ الأدب اليوناني » لفلهم فون كرست ص ٦٩٢ — ص ٦٩٣ . منشن سنة ١٩٢٤ . — وقد نقل هذه الحكاية القفطي (ص ٦٥) في ترجمة بقراط ؛ فراجعها .

(٢) هذا الفصل يرد في ترجمة فيلبس الطرابلسي اللاتينية والترجمات التي قامت عليها فصلا أخيراً يختم به الكتاب . وقد درسه ر . فيرستر R. Foerster دراسة وافية في كتابه بعنوان : « المؤلفون في علم الفراسة" (توبنجن سنة ١٨٩٣) جـ ١ ص CLXXVII - CLXXXI ، و جـ ٢ ص ١٨٣ — ص ٢٢٢ . = R. Foerster : Scriptores Physiognominici .

قد علمت أن الرحم للجنين بمنزلة القدر للطبخ . فالبياض الساطع مع الزرقة والشقرة الكثيرة تدل على قلة النضج . فان انضاف إلى ذلك نقص فى الحلق ، فقد نقص الطبع . فتحفظ من كل أزرق أشقر أو جرئ أزعر ، فهى خلقة القحة والخيانة والفسق .

يا إسكندر ! إذا رأيت رجلا يكثر النظر إليك ونظرت إليه فاحمرّ وخجل وظهر منه تبسم لا يريده ودمعت عيناه فهو محب فيك خائف لك . وإذا كان بخلاف ذلك فهو حاسد لك ، مستخف بك .

وتحفظ من كل ناقص الخلقة أو صاحب عاهةٍ تحفُّظَك من عدوك [٢٥ ا] .

وأعدَلُ الخلقة الموافقة توسُّطُ القامة وسواد الشعر والعينين وغورهما وتدوير الوجه ، والبياض المشرب بحمرة أو السمرة المعتدلة مع تمام الخلقة واعتدال القامة وتوسط الرأس فى الصغر والكبر ، وقلة الكلام إلا عند الحاجة إلى ذلك ، والتوسط فى جهارة الصوت ، ورقته وميله إلى النحافة من غير إفراط ، وميل طباعه إلى السوداء والصفراء — فهذه أعدلُ خلقةٍ أرضاها (١) لك ولصحبتك وأنا أفسر لك أشياء على الإفراد (٢) وتمزجها أنت بصحة نظرك :

= وهذا الفصل متأثر بكتاب محمد بن زكريا الرازى : "المنصورى فى الطب" (منه نسخة فى المكتبة الأهلية بباريس برقم ٢٨٦٦ فى ١٨٧ ورقة) ، الفصول ٢٢ — ٣٥ حتى نهاية المقالة ، وذلك فى المقالة الثانية من هذا الكتاب (ورقة ٣٠ ا — ٣٣ ب من مخطوط باريس) ، مع شيء من الاختلاف سنورد له هنا بعض الأمثلة .

والعنوان غير وارد فى ن ، بل يبدأ مباشرة : ملك الشهوات . وأنا يا اسكندر أثبت لك من علم الفراسة ...

وفى بعض المخطوطات ورد شكل يلخص هذا الباب بعنوان « جدول الفراسة فى تدبير الرياسة للحكيم الفاضل أرسطاطاليس ، بحسب صورة الإنسان وأفعاله . فراسة النساء » وقد نقل هذا الجدول مصوراً بالزنكغراف الدكتور يوسف مراد فى كتابه : « علم الفراسة عند العرب وكتاب الفراسة لفخر الدين الرازى » (بالفرنسية مع نشر النص العربى للفخر الرازى ومقدمة وترجمة فرنسية له) . باريس سنة ١٩٣٩ .

(١) كذا فى م . وفى س ، ص : أرضاها لصحبتك . (٢) م : الافراط .

فالشَّعْر اللين يدل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة . والشعر الخشن دليل الشجاعة وصحة الدماغ (١) . وكثرة الشعر على الكتفين والعنق يدل على الحماقة والجرأة . وكثرة الشعر على الصدر والبطن يدل على الوحشة فى الطبع وقلة الفهم وحب الجور . والشقرة دليل الحمق وكثرة الغضب والتسلط (٢) . والأَسْوَد يدل على الأناة وحب العدل والتوسط بين هذين .

ومن عظمت عيناه وجحظتا فهو حسودٌ وقح كسلان غير مأمون (٣) ، ولا سيما إذا كانت زرقاء . ومن كانت عيناه متوسطتين مائلتين إلى الغؤور (٤) والكحلة والسواد فهو يقظان فَهِمٌ . وإن كانتا ذاهبتين فى طول (٥) البدن فصاحبهما خبيث . ومن كانت عيناه يشبهان عيون البهائم فى الجمود وبعد الملاحظة فهو جاهل غليظ الطبع . ومن تحركت عيناه بسرعةٍ وحِدَّةِ نظر فهو محتالٌ لص متربص . وإن كانت العين حمراء فصاحبها شجاع مقدام . وأردأ العيون الزرق الفيروزجية ؛ فان كان حواليها نُقَط بيض أو سود أو حمر ، فان صاحبها شر الناس وأردأهم .

---

(١) م : صفحة . (٢) دليل الحمق ... والتسلط : ناقص فى م .

(٣) ورد هذا الموضع فى "المنصورى فى الطب" لأبى بكر الرازى هكذا : "من عظمت عيناه فهو كسلان . من كانت عيناه غائرتين فهو داه خبيث . من كانت عيناه جاحظتين فهو وقح مهذار . إذا كانت العين ذاهبة فى طول البدن فصاحبها مكار خبيث . ومن كانت حدقته شديدة السواد فهو جبان . ومن كانت عينه تشبه أعين الأعنز فى لونها فإنه جاهل . من كانت عيناه تتحركان بسرعة وحدة وكان حاد النظر فهو مكار محتال لص . من كانت حركة عينيه بطيئة كأنها جامدة (٣٠ ب) فهو صاحب فكرة . من كان فى نظره مشابه من نظر النساء من غير تخنيث فهو شبق صلف . إذا كان فى نظر الرجل مشابه من نظر الصبيان وكان فيها وفى جملة الوجه ضحاك وفرح فإنه طويل العمر . إذا كانت العين عظيمة مرتعدة فصاحبها قليل الحياء جدا محتال محب للنساء . إذا كانت العين حمراء مثل الجمر فصاحبها شرير مقدام . الحدقة السوداء دليل على كسل وبلادة . العين الزرقاء التى فى زرقتها صفرة كأنها صبغت بالزعفران تدل على رداءة أخلاق جداً ... » .

(٤) س : الغور . ن : العرور (بغير نقط) . (٥) طول : ناقصة فى م .

[٢٥ ب] **والحاجب** الكثير الشعر يدل على العِيّ وغَثّ الكلام . فان كان الحاجب ممتداً إلى الصدغ فصاحبه تَيَّاهٌ صَلِف . ومن رقّ حاجبه واعتدل فى الطول والقِصَر وكان أسود فهو يقظان فَهِم .

الأنف : إذا كان الأنف رقيقاً فصاحبه نزق . ومن كان أنفه طويلا يكان يدخل فى فمه فهو شجاع . ومن كان أفطس فهو شَبِق . ومن كان أنفه شديد الانفتاح فهو غضوب . وإن كان الأنف غليظ الوسط مائلا إلى الفطس فهو مهذار كذوب . وأعدل الأنوف ما كان غير طويل فاحش ، وكان غلظه متوسطاً إلى الطرف ، حسناً غير فاحش .

الجبهة : الجبهة المنبسطة التى لاغضون فيها دليل على المخاصمة والشغب والرقاعة والصلف . ومن كانت جبهته متوسطة فى السعة والنتوء وكان فيها غضون فهو صَدُوقٌ فَهِمٌ يقظانُ حاذق . ومن كانت جبهته ظاهرة النتوء فهو سِكّيت متوقف فى الأمور حازم .

الفم : من كان واسع الفم فهو شجاع .

ومن كان غليظ الشفتين عريض الأسنان فهو أحمق .

ومن كان (١) لحيم الوجه فهو جاهل كذاب . ومن كان نحيف الوجه فهو مهتم بالأمور فَهِم . ومن صغر وجهه وكان مائلا إلى الصفرة فهو ردىء خبيث خداع

---

(١) «فى المنصورى فى الطب» لمحمد بن زكريا الرازى ورد هذا الموضع هكذا : « من كان لحيم الوجه فهو كسلان جاهل . من كان كثير اللحم فى الخدين فهو غليظ الطبع . من كان نحيف الوجه فهو مهتمّ بالأمور . من كان شديد استدارة الوجه فهو جاهل . من أفرط عظم وجهه فهو كسلان . من صغر وجهه فهو ردئ خفيف خب خبيث ملق . السمج الوجه لا يكاد يكون حسن الخلق إلا فى الندرة . من كان طويل الوجه فهو وقح . من كانت أصداغه منتفخة وأوداجه ممتلئة فهو غضوب . — من عظمت أذنه فهو جاهل طويل العمر . — من كان صوته غليظا جهيراً فهو شجاع . من كان كلامه سريعا فهو عجول قليل الفهم . من كان كلامه عاليا سريعا فهو سيء الخلق غضوب . من كان تنفسه طويلا فهو ردئ الهمة . من كان صوته ثقيلا فهو رغيب البطن . من كان أغن الصوت فهو حسود مضمر للشر . وحسن الصوت دليل على الحمق وقلة الفطنة » (ورقة ٣١ ب من مخطوط باريس برقم ٢٨٦٦) .

شكس . ومن طال وجهه فهو وقح . وأجود الوجوه ما كان حسن السعة بادى الحياء غير متسع جداً ولا صغير جداً ، سهل الخدين ، رقيق الشفتين ، منتظم الأسنان ، غير كثير شعر اللحية والحاجبين .

الصدغان : من كانت أصداغه منتفخة وأوداجه ممتلئة فهو غضوب .

ومن كان عظيم **الأذن** جداً فهو جاهل ، إلا أن [١٢٦أ] يكون حافظاً . ومن كان صغير الأذنين جداً فهو أحمق سارق زانٍ جبان ، وخيرهما(١) ما كان متوسطاً غير كثير الشعر فيهما .

الصوت : من كان جهير الصوت فهو شجاع جسور مقدام. ومن كان خشن الصوت مائلا إلى الحدة فهو جاهل قَدُمٌ صبور على الجفاء والتعب ، ومن رق صوته إلى الغاية فهو نَزِق سيء الخلق . وخيرهما المعتدل المائل(٢) إلى الغُنَّة واللیونة(٣) .

الكلام : من كان كلامه معتدلا بَيْنَ الغِلْظة والرقة واللُّكْنة(٤) والتأنى فهو عاقل مدبر صدوق طيب الأخلاق حسن المرافقة . ومن كان كلامه سريعاً ، لاسيما إن كان صوته رقيقاً ، فهو وقح جاهل كذوب . ومن كان كلامه غليظاً فهو غضوب سيء الخلق . ومن كان كلامه أغنَّ صِرْفاً فهو حسود متحيل . ومن كان حسن الصوت فهو دليل على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس . ومن يحرك جسده كثيراً من الرجال ويلعب بيديه فهو خفيف سخيف صلف خَدّاع مهذار . ومن كان وقوراً سكيتاً فهو تام الخلق مدبر صحيح العقل . ومَنْ كان ألكن أو ناقص الكلام فهو ناقص العقل .

ومن كان(٥) **عنقه** طويلا رقيقاً فهو صياح أحمق جبان . ومن كان عنقه قصيراً جداً فهو مكار خبيث . ومن كان عنقه غليظاً فهو جاهل أكول . وخيرها المتوسط الظاهر العروق القليل لحم القمحدوة .

(١) وخيرهما ... فيهما : ناقص فى ص ، س . (٢) المائل : ناقصة فى ص .
(٣) والليونة : ناقصة فى م . (٤) م : الكيدة . وفى س ناقصة . وفى ص : الكنه .
(٥) كان : ناقصة فى م . — والقمحدوة : الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين ؛ مؤخر القذال .

ومن كان كبير البطن فهو أحمق جاهل معجب بنفسه يحب النكاح . —

ولطافة البطن وقلة سعة الصدر يدلان على جودة العقل وحسن الرأى .

وعرض الكتفين والظهر يدلان على الشجاعة مع خفة العقل . وانحناء الظهر من غير كبر يدل على شكاسة الخلق .

وترافة [(١)] الصدر واستواء الظهر علامة محمودة . وإذا برزت [(٢)] الكتفان فانهما يدلان على سوء النية وقبح [٢٦ ب] المذهب [(٣)] .

إذا طالت الذراعان حتى يبلغ الكف الرُّكْبة دلَّ [(٤)] على الشجاعة والكرم . وإذا قصرتا ، أى الذراعان ، فصاحبهما محبٌّ للشرجبان .

والكف الطويلة مع الأصابع الطُّوال تدلُّ على النفوذ فى الصناعات وإحكام الأعمال وتدلُّ على الرئاسة . وغلظ الأصابع وقصرها يدل على الجهل والحمق وقصر الهمة .

وكذلك القدم الغليظة المحيمة [(٥)] العريضة تدل على الجهل وحب الجور . والقدم الصغيرة اللينة تدل على الفجور . وخيرها ما كان بيْنَ ذلك حَسَن الاستواء والجودة وخفة اللحم وسلامة الأظفار وانتظام الأصابع . ورقة العقب دليل على الجبن ، وغلظهما دليل الشجاعة .

---

(١) كذا فى ص ، م . وفى س : وتراق (!) . وفى " المنصورى " للرازى لا توجد .

(٢) وإذا برزت : ناقصة فى ص . وفى س : بروز الكتفين يدل ...

(٣) م : المذاهب . (٤) ل : دل ذلك .

(٥) م : اللحمية . وفى س ، ص : اللحيمة — أى الكثيرة اللحم . وفى « المنصورى فى الطب » لمحمد بن زكريا الرازى : « القدم اللحيم الصلب يدل على سوء الفهم . القدم الصغير الحسن يدل على أن صاحبه صاحب فخر وفجور ومزح . دقة (ص : دقيقة) العقب تدل على الجبن ، غلظه (ص : غليظة) وقوته يدل على الشدة . غلظ (ص : غايظ) الساقين والعرقوبين يدل على البله والقحة . كثرة لحم الورك يدل على ضعف القوة والاسترخاء . شخوص عظم الوركين يدل على الشجاعة . إذا كان الحقوان شاخصى (ص : شاخصتان) العظام ، فتلك علامة الشدة والجبروت . دقة الحقو تدل على حب النساء وضعف البدن والحس » (ورقة ٣٢ ا من مخطوط باريس برقم ٢٨٦٦) .

وغلظ الساقين والعرقوبين يدل على البَلَه والقِحة وقوة الجسم . وكذلك كثرة اللحم فى الورك يدل على ضعف القوة والاسترخاء . ومن كانت خطاه واسعة بطيئة فهو مُنْجِحٌ فى جميع أموره وأعماله مفكر فى عواقبه. ومن كانت خطاه قصيرة سريعة فهو عجولٌ شَكِسٌ غير محكم للأمور سيىء النية فيها .

وخير الرجال الرجل المعتدل ، الفَهِم ، الجيد الطبع ؛ يكون لحمه ليناً رطباً متوسطاً بين الرقة والغلظ ، وبين الطويل والقصير ، أبيض مائل إلى الحمرة والسمرة صافى السمرة ، أسيل الخدين ، سهل الوجه ، أزجّ الحاجبين ، حسن الشعر ، بين السبط والسهولة والجعودة ، أصهب الشعر ، متوسط العينين مائلتين إلى الغؤور ، معتدل الرأس ، فى رقبته استواء ، مائل الأكتاف مجتمعهما ، عديم اللحم فى الصلب والأوراك ، فى صوته(١) اعتدال بين الغلظ والرقة ، سبط الكف ، طويل الأصابع مائلة إلى الرقة [٢٧ أ] قليل الضحك والمزاح والمراء ، كأنما يخالط نظره سروره أو فرح ؛ إذا مشى يطيل الالتفات ، قليل الكلام فيما لا يعنيه ، تارك للهلع ، غير متعرض للطمع(٢) .

---

(١) ص : فى صوته مع اعتدال .

(٢) إذا مشى ... للطمع : هذه العبارة غير واردة فى الترجمة اللاتينية ، بل ينتهى الكلام هنا بقوله : Cujus aspectus quasi conmixtus est leticie et jocunditati

ثم يتلوه بترجمة قوله : ويلزمك ... أن لا تسرع فى الحكم ... والأرجح .

وبهذا تنتهى هنا الترجمة اللاتينية هكذا : Explicit Physionomia Aristotelis ad Alexandram

وفى الترجمة التى استعملها بيكون ترد تعليقة له هكذا : Non est hic liber completus in Latino set multa magnalia deficiunt, ut patet ex Graeco et Arabico. Item cum in correccione istius exemplaris habui quatuor exemplaria, scio quod ablata sunt ab eis quedam capitula per stulticiam aliquorum. Et ideo querantur in aliis exemplaribus. Solebam enim habere integrum quantum fuit translatum.

« هذا الكتاب غير تام فى اللاتينية ، بل ينقصه كثير من الأمور الهامة ، كما يبدو من اليونانى والعربى . ولتصحيح هذه النسخة راجعت أربع نسخ أخرى ، وإنى لأعرف أن بعض فصوله قد حذفها بعض النساخ لحماقتهم وجهلهم . ولهذا يجب البحث عن هذه الفصول (الناقصة) فى نسخ أخرى . وكانت عندى نسخة تامة بحسب ما ترجم » .

فاذا ظفرت يا إسكندر ، بمن هذه صفته فاستخلصه لنفسك ووَلِّه أمور رعيتك وحوائجك . ويلزمك ، يا إسكندر ، أن لا تسرع (١) فى الحكم بدليل واحد . ولكن اجمع شواهدك كلها . ومتى جاءتك شواهد متضادة ، فمِلْ إلى الأقوى والأرجح تُصِبْ (٢) وتنجح أمورك بعون الله تعالى وكرمه . والله الموفق .

---

(١) وردت هذه الخاتمة فى آخر فصل الفراسة من كتاب « المنصورى فى الطب » لمحمد بن زكريا الرازى هكذا : « جملة يحتاج إليها فى أمر الفراسة : ينبغى أن لا تسرع إلى الحكم بدليل واحد ، لكن تجمع منها ما أمكن ثم تكون قضيتك بحسب ذلك . ومتى جاءتك دلائل متضادة ، وزنت قواها وشاهدتها وملت إلى الأرجح . واعلم أن دلائل الوجه والعين خاصة أقوى الدلائل وأصحها » (ورقة ٣٣ ب مخطوط باريس) .

(٢) تصب .. الموفق : ناقصة فى ن . ق : الموفق للصواب .

المقالة الثالثة

فى صورة العدل

يا إسكندر! العدل صفة[(١)] كريمة من صفات البارى جل اسمه وتعالى ذكره. والملك — < وهو > مَنْ استرعاه الله أَمْرَ عباده، وقلّده أمورهم وتدبيرهم، وأطلق يده على أبشارهم وأموالهم ودمائهم وجميع أحوالهم — كالإله، فهو متشبه بالإله. وكذلك يجب أن يتشبه به فى جميع أحواله كلها، والله حكيم رحيم. وأسماؤه وصفاته جل جلاله أكثر من أن تحصى.

فالحكمة، يا إسكندر! ضد الجور، وعكس الجور العدل، وبالعدل قامت السمٰوات على الأرض، وبالعدل بُعِثَ الأنبياء المُطَهَّرون، والعدل صورة العقل الذى وصفه الله — عز وجل — فى أحبِّ خلقه إليه، وبالعدل عَمَرَتْ الأرضُ وقامت الممالك وانطاع العباد؛ وبه أَنِس المستوحش وقَرُب المتباعد وسَلِمَتْ النفوسُ من كل دَغَلٍ، وسَلِم ملوكها من كل فساد. ولذلك قالت الهند: «عَدْلُ السلطان أنفع للرعيـة من خِصْب الزمان». ومن كلام حكمائهم أيضاً: «سلطان عَدْلٌ خيرٌ من وطنٍ وإبل». ووُجد فى بعض الأحجار منقوشاً بالسريانية[(٢)]: «إن الملك والعدل لاغنى بأحدهما عن الآخر». والأشياء كلها من عنصر هو سببها، وعلة هو الفعل الموجب كونها، وفاعل هو الحكيم القادر. [٤٧ أ] فقبول العنصر التأثير من الفعل هو الانفعال. فالسبب الذى هو العنصر هو الإمكان، والانفعال هو الموجود وهو المُظْهِر حكمَة الحكيم الصانع. وقبول العنصر المتأثر من الفعل بما له أن يقبل هو العدل.

فقد بان أن العدل قسمان: ظاهر وباطن. فالظاهر ما ظهر من أفعال الصانع المتولى — على شرائط هى السواء فى الوزن والكيل؛ إذ العدل مشتق الاسم منها. والباطن هو اعتقاد الحكيم فى الصانع إتقان مصنوعاته وتحقيق مقولاته. فهـذا قد

---

(١) ن: صنعة كريمة من البارى. والملك من استرعاه... (٢) لاحظ قوله "السريانية"؛ فقد تكون فى هذا شبهة دليل على أن الكتاب ألف فى بيئة تعرف السريانية.

صح لك وقد ترتب أن الملك متشبه بحكمة البارى ، وكذلك يجب أن تثبت[(١)] أفعاله فيمن يليه من الخاصة والعامة مايكون عدلا ومبقياً[(٢)] لحكمة البارى ومشيئته فيهم ، وأن يعتقد ذلك فباعتقاده يتم له الناموس فى كمال سلطانه ، وبما يظهر من أفعاله يستميل قلوب رعيته . والخاصة والعامة طبقات مختلفة ، وانبثاث العدل فيهم يختلف . والعدل اسمٌ معناه الإنصاف ورفع الجور وصحة الوزن وسوية الكيل ، وهو اسم جامع لخلال المروءة وخصال الكرم وأفعال[(٣)] الجميل .

والعدل ينقسم أقساماً[(٤)] : فعَدْلٌ يجب به الحُكْم عند الحكام ، وعدل يلزم الإنسان فى محاسبة نفسه فيما بينه وبين خالقه . ثم أقِمْ العدل فيما بينك وبين الناس على قدر الحالات ومنازل العلاقات .

وأنا مُمَثِّلٌ لك صورةً[(٥)] حكمية فلسفية ناموسية إلهية ثمانية[(٦)] تنبئك عما فى العالم بأسره : تحتوى على سياسة العالم وتشتمل على طبقاتهم وكيفية وصول الواجب من العدل إلى كل طبقة . وقسّمتُها قسمةً دَوْرية فلكية : كل قسم منها طبقة . ابدَأْ بأى قسم أردت ، يتوالَ لك ما بعده كتوالى[١٢٨] دَوْرِ الفلك . ولما كانت التدابير كلها ، أسفلها وأعلاها ، وقفاً على العالَم رأيت أن أبدأ فى هذه النصبة بالعالم .

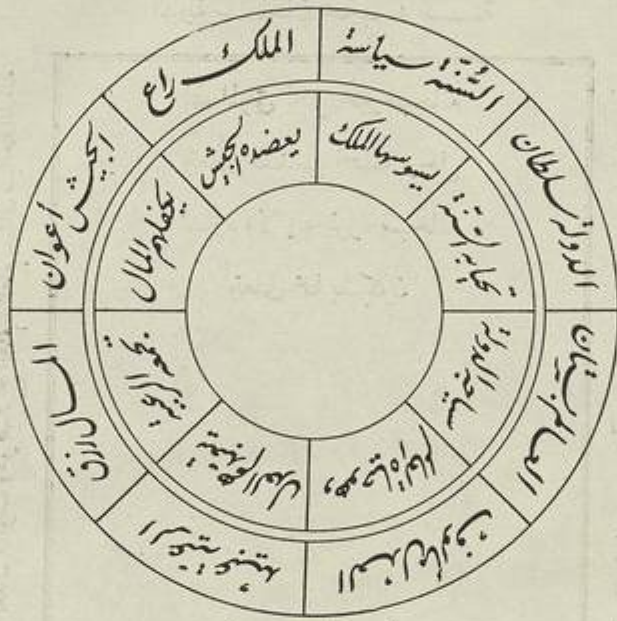
وهذه الصورة ، يا إسكندر ، زبدة هذا الكتاب وحامدة[(٧)] مطلبك . ولو لم أبعث إليك فيما رغبتَه غيرَها ، لكانت كافية لك . فتدبرها بنظر صادق ، يسلَسْ لك قِيادَ أمرِك ومُرادِك ، ويتمّ لك جميعُ محابِّك[(٨)] إن شاء الله تعالى .

---

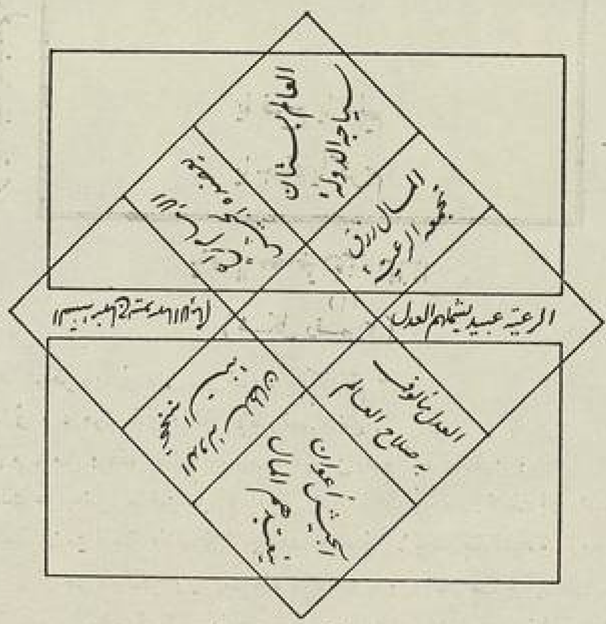
(١) س : فكذلك يجب أن يثبت فى أفعاله ... ص : تنتسب أفعاله ... (٢) كذا : فى س . وفى ص : معتبا . وفى م : متقنا . (٣) ص : انفعال . (٤) ص : انقساما .

(٥) س : صورة كريمة (ولهذا رسم صورة على هيئة دائرة) . ى : وأنا أمثل لك .

(٦) ثمانية : ناقصة فى ص . — وقد ذكر هذا الموضع ابن خلدون فى « المقدمة » (ص ٢٩ طبع مصر . عبد الرحمن محمد) فقال : « وقد أشار فى ذلك الكتاب إلى هذه الكلمات التى نقلناها عن الموبذان وأنوشروان وجعلها فى الدائرة الغريبة التى أعظم القول فيها وهو قوله : العالم بستان سياجه الدولة ... الخ الخ » . (٧) س : وفائدة . (٨) س : وكل ماذكرته فى هذا الباب مطولا مفسراً فهو فى هذا الشكل مجمل مختصر — ثم يأتى بالشكل الدائرى الذى أوردناه هنا برقم ١ . ولم يرسم شكل فى ن .



(شكل رقم ١)



(شكل رقم ٢)

الدولة سلطان تحجبه السنة

الرعية عبيد يتعبدهم العدل، العدل مألوف وهو صلاح العالم، العالم بستان سياجه الدولة

الله الموفق لكل خير سبحانه
وتعالى تقدس اسمه وجل
ثناؤه ولا إله غيره سبحانه
وتعالى عما يشركون

يا فتاح يا عليم
يا جواد يا كريم

السنة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعضده الجيش، الجيش أعوان يكفلهم المال

[illegible] ١٢٦٢

(شكل رقم ٣) (١)

---

(١) هذا الشكل ورد فى م . أما فيورد الشكل رقم ٢ .
وفى ق كما فى م ، دون ما فى داخل الإطار فهو أبيض .
ووردت فى م ، ص : هذه الفائدة ، وواضح أنها من وضع أحد المعلقين :
فائدة : نقلت عن بعض العارفين عن الإمام على رضى الله عنه أنه قال : لاملك إلا بالرجال ، ولا رجال إلا بالمال ، ولامال إلا من الرعية ، ولا رعية إلا بالعدل ، ولاعدل إلا بالسياسة الشرعية . وبهذا يدوم الملك .
ولم يرد رسم فى ص ، ولكن ورد بعد هذه « الفائدة » : « وهذه صورة ارتباطها بعضها ببعض : « الدولة سلطان تحجبه السنة ، السنة سياسة يسوسها الملك ، الملك راع (ص . ذراع) يعضده الجيش ، الجيش أعوان يكفلهم المال ، المال رزق تجمعه الرعية ، الرعية عبيد يتعبدهم العدل ، العدل مألوف وهو صلاح العالم ، العالم بستان سياجه الدولة » .

المقـالة الرابعـة

فى الوزراء وعددهم ووجه سياستهم وتجربة آرائهم وصورة العقل المركب فيهم

يا إسكندر! تفهم هذه المقالة، واعلم أن قدرها عظيم. فوحقك لقد نصصت(١) فيها جُملاً من علوم الفلسفة وماهية العقل وتركيبه، وفضحتُ فيها أسراراً إلهية لم يكن بدٌّ من إيرادها لإيقافك على حقيقة العقل، وكيف وَضَعه اللهُ فى عباده، وكيف يتوصل إلى معرفة ذلك منهم. فهو عليك آكد ما تحتاج إليه، فكن به موفقاً إن شاء الله.

واعلم(٢) يا إسكندر أن أول شىء اخترعه(٣) البارى جل جلاله جوهرٌ [٢٨ أ] بسيط روحانى فى غاية التمام والكمال والفضل، فيه صور جميع الأشياء، فسمى(٤) **العقل**. وأن من ذلك الجوهر جوهراً آخر دونه فى الرتبة سمى **النفس الكلية**. وأنه اندفع

---

(١) كذا فى ص. وفى س: قصصت. وفى م: تصلقت (!)

(٢) هذا الفصل فى غاية الأهمية لأنه يدلنا كيف دخل مذهب أفلوطين والأفلاطونية المحدثة العالم الإسلامى قبل ترجمة كتاب "أثولوجيا" بوقت غير قصير.

(٣) م: اختاره. ى: أخذه الله عز وجل جوهراً بسيطا روحانيا فى غاية الكمال والتمام.

(٤) س: وسماه. ى: «والتمام، صور فيه جميع الأشياء وسماه العقل، وأن من ذلك الجوهر فاض جوهر آخر دونه فى الرتبة يسمى النفس الكلية. ثم ركبها — بلطفه وتدبيره — فى الجسم المرئى المحسوس فجعل الجسم مدينة والعقل ملكها والنفس وزيره الخادم لهذه المدينة، المدبر لجميع أجزائه، وأسكن العقل فى الدماغ. فإذا عرض فى النفس شىء فسد العقل والجسم؛ وإذا عرض للعقل شىء وسلمت النفس بقى الجسم سليما، إلا أن يأذن الله تعالى بفساد الكل عند نفاد العمر المقدر. فتفهم يا اسكندر هذا الكلام وتدبره واقتد بفعل الله تعالى فى جميع أمورك. وليكن وزيرك واحدا تشاوره فى جميع تدابيرك. وملْ من آرائه إلى مايخالف هواك فإنه أصح الرأى. ولهذا قال هرمس، لما قيل له: لم كان رأى المستشار أفضل من رأى المستشير؟ قال: لأن رأى المستشار معرى من الهوى ...».

ثم يتفق بعد ذلك مع ما يرد فى نصنا. والخلافات فى هذا الموضع مهمة وفى حاجة إلى تدبر. وفى ق: التمام والكمال، وفصل فيه صور جميع الأشياء، يسمى العقل وان من ذلك ...

من تلك النفس جوهر آخر يسمى الهيولى قَبِل المقدار الذى هو الطول والعرض والعمق فصار بذلك جسما مطلقاً . ثم إن الجسم قبِل الشكل الكرى الذى هو أفضل الأشكال وأصلحها نُصْبَةً وأدومها بقاءً فكان من ذلك الأفلاك والكواكب : ماصفا منها ولطف ، الأول فالأول من لدن الفلك المحيط إلى منتهى فلك القمر، وهى تسع أُكَر بعضها فى جوف بعض . فأولها وأعلاها الفلك المحيط ، ثم دونه فلك الكواكب الثابتة ، ثم دونه فلك زُحَل ، ثم دونه فلك المشترِى ، ثم دونه فلك المِرّيخ ، ثم دونه فلك الشمس ، ثم دونه فلك الزُّهَرة ، ثم دونه فلك عُطارِد ، ثم دونه فلك القمر ، ثم دونه فلك الأركان التى هى : النار والهواء والماء والأرض . فالأرض فى وسط المراكز كلها . وهى أغلظ الأجسام جوهراً وأكثفها جرماً . ولما ترتبت هذه الأُكَر بعضها فى جوف بعض ، كما اقتضت حكمة البارى جل جلاله فى لطف نظامها وحسن ترتيبها ، ودارت الأفلاك بأجرامها وكواكبها على الأركان الأربعة المتقدمة الذكر ، وتعاقب عليها الليل والنهار ، والصيف والشتاء والحر والبرد ، واختلط بعضها ببعض ، وامتزج اللطيف منها بالكثيف والثقيل بالخفيف والحار بالبارد والرطب باليابس — تركب منها على طول الزمان أنواع التراكيب التى هى المعادن والنبات والحيوان . فالمعدن هو(١) كل ما انعقد [٢٩ ا] فى باطن الأرض وقعور البحار وأجواف الجبال من البخارات المحتقنة(٢) والدخانات المتصاعدة والرطوبات المنعقدة(٣) فى المغارات(٤) والأهوية ، والترابية عليها أغلبُ ، كالذهب والفضة والحديد والنحاس والقزدير والجواهر واليواقيت والمرجان والتوتيا والزجاج وغير ذلك مما هو معلوم وموجود .

وأما الحيوان فكل جسم يتحرك ويحس وينتقل من مكان إلى مكان بجسمه ، والهوائية عليه أغلبُ . فالنبات أشرف تركيباً من المعادن ، والحيوان أشرف تركيباً

(١) هو : ناقصة فى ص . وفى م : فالمعادن هو.

(٢) كذا فى م . وفى ص ، س : المتحقنة .

(٣) ص : المتحقنة . (٤) س : المفازات والهواء والترابية ...

من النبات ، والإنسان أشرف تركيباً من جميع الحيوان ، والنارية عليه أغلب . وقد اجتمع فى تركيب الإنسان جميعُ معانى الموجودات من البسائط والمركبات ، لأن الإنسان مركب من جسد غليظ جسمانى ومن نَفْس بسيطة جوهرية وروحانية (١) .

فينبغى لك يا إسكندر ، إن كنت عازماً على معرفة حقائق الموجودات ، أن تبتدئ أولا بمعرفة نفسك (٢) إذ هى أقرب الأشياء إليك ، ثم بعد ذلك بمعرفة سائر الأشياء . واعلم أن النفس الكلية هى قوة روحانية فاضت (٣) من البارى جل جلاله. واعلم أن لها قوتين ساريتين فى جميع الأجساد كضوء الشمس فى جميع أجزاء الهواء : فاحدى قوتيها علَّامة ، والثانية فعَّالة . وأيدها الله تعالى بسبع قوى : وهى القوة الجاذبة ، والقوة الماسكة ، والقوة الهاضمة ، والقوة الدافعة ، والغاذية ، والمصوِّرة ، والنامية . فأما فعل هذه القوى فى تركيب جسد الإنسان عند حصول النطفة فى الرحم وتدبيرها لها تسعة أشهر فانها إذا تمت هذه المدة التى قدرها الله تعالى نُقِلَتْ قوة النفس الحيوانية الجسمانية [٢٩ ب] باذن الله تعالى من ذلك المكان إلى فسحة هذه الدار ، واستأنفت تدبيراً آخر إلى تمام أربع سنين . ثم تَرِدُ القوة (٤) الناطقة المعبرة لا سيما المحسوسات ، ثم تستأنف (٥) به تدبيراً آخر إلى تمام خمس عشرة سنة . ثم ترد القوة العاقلة المميزة لمعانى المحسوسات وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام ثلاثين سنة . ثم ترد القوة الحكمية المستبصرة لمعانى المعقولات وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام أربعين سنة . ثم ترد القوة الملكية (٦) المؤيدة وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام خمسين سنة ، ثم ترد القوة الناموسية الممهدة للمعاد (٧) وتستأنف به تدبيراً آخر إلى آخر العمر. فان تكن النفس قد تمت واستكملت قبل مفارقة الجسد نزلت قوة النفس الكلية

---

(١) وروحانية : ناقصة فى م . (٢) نفسك ... بمعرفة سائر : ناقصة فى ص .

(٣) هنا نظهر نظرية «الفيض» الأفلوطينية لأول مرة فى العالم الإسلامى .

(٤) م : النطقة . (٥) تستأنف : ناقصة فى م . (٦) الملكية : ناقصة فى م .

(٧) كذا فى س . وفى م : للمباد ؛ وفى ص : للمداور .

ورقيت بها إلى الملأ الأعلى واستأنفت به تدبيراً آخر حتى تصل إلى فلك العقل مرضياً عنها .

فلما خلق الله الإنسان وجعله أشرف الحيوان وأمره ونهاه ، وعاقبه وجازاه جعل جسمه كمدينة ، وعقله ملكها ؛ وجعل له وزراء خمسة يدبرونها (١) ويوصلونه إلى جميع ما يحتاج إليه وينتفع به ويحذرونه من كل ما يُستضرّ به ، ولا قِوامَ له ولا تمام إلا بهم . وجعل لكل واحد منهم زياً ينفرد به عن صاحبه ، ومعنى خُصَّ به لايشاركه فيه غيره ، وأقام ، باجتماع رأيهم عنده ، تمامَ أحواله وقِوامَ أفعاله .

فالوزراء الخمسة هي الحواس الخمس التي هي العين والأذن واللسان والأنف واليد . فحاسة العين رؤية المُبْصَرات (٢) وهي عشرة أنواع : النور والظلمة واللون والجسم والشكل والموضع والبعد والقرب والحركة والسكون . وحاسة [١٣٠ ا] الأذن السمع للأصوات وهي نوعان : حيوانية وغير حيوانية . فالحيوانية نوعان : منطقية ككلام الإنسان المفهوم ، وغير المنطقية كصهيل الفرس ونهيق الحمار وتغريد الطير ، وما أشبه ذلك . وغير الحيوانية كصرير الخشب وقرع الحجارة وغير ذلك مما لاحياة له كالرعد والطبل والزمر . واعلم أن كل صوت فله نغمة وصنعة وهيئة روحانية ، كل صوت على حدته . فاذا تحرك الهواء الحامل له تحركت معه تلك الروحانية الفاصلة له لئلا يختلط بعضها ببعض إلى أن يصل إلى أقصى مدى غاياتها عند الحاسة السامعة فتؤديها إلى القوة المتخيلة .

والحسّ الذي لِلّسان هو تفريق المذوق والمطعوم (٣) ، وهي تسعة أنواع : الحلاوة ، والمرارة ، والملوحة ، والدسومة ، والحموضة ، والحرافة ، والتفاهة ، والعذوبة ، والعفوصة (٤) .

---

(١) م : يدبرونه ، وكذا في س . (٢) ص : رؤية الأبصار . (٣) ص : الذوق والطعم .

(٤) كذا في ص . وفي م : والفراسة (!) والعذوبة والقبوضة . وفي س : والعفوصة والعذوبة والقبوضة .

والحس الذى للأنف تفريق الشم ، وهو نوعان : الطَّيب والمُنْتِن .

و < أما > الحس الذى لليد فالقوة اللامسة[(١)] ، ومجراها فى الحرارة والبرودة والخشونة والملاسة . وهى قوة مستبطنة[(٢)] بين الجلدين اللذين أحدهما ظاهر البدن والآخر مما يلى اللحم .

فاذا حصَّل[(٣)] كلُّ واحد من هذه الحواس ما أحدثه[(٤)] الله لهذا المَلِك انبثَّتْ من مقدَّم الرأس عَصَبات لطيفة كنسج العنكبوت — وهى كالحُجَّاب للمَلِك — فبلغت ما عند كل حاسة ، ووصل ذلك فى تلك العصبات إلى مقدم الدماغ ؛ فتجتمع آثار المحسوسات كلها عند القوة المتخيلة ، ثم تدفعها إلى القوة المفكرة التى مسكنها الدماغ[(٥)] لتنظر فيها وتتراءى فى معانيها وتتعرف مضارها ومنافعها فتفعل بقدر ما يُتأدى إليها من ذلك .

فقِوام الجسد[(٦)] بهذه الحواس الخمسة المذكورة . وكل شىء يا إسكندر فكماله بخمسة أشياء : فالكواكب التى عليها مدار الأفلاك خمسة[٣٠ب]، وأنواع الحيوان[(٧)] خمسة : الإنسان ، والطير ، والنَّعم ، والدوابُّ ذوات الأربع ، والحشرات التى تنساب على بطنها . والخمسة التى لايتم النبات إلا باجتماعها فيه هى : الأصل ، والعروق ، والفروع ، والورق ، والطعم . والخمسة المنسوبة إلى الموسيقية التى لولاها ما تكيفت نغمة مطربة . والخمسة أيام المُسْتَرَقة من جملة أيام السنة فى آخر آذار[(٨)] .

فتفهم يا إسكندر هذا الكلام وتدبره . واقتدِ بفعل الله فى جميع أمورك كلها . وليكن[(٩)] وزرائك خمسة . ولتكن مشاورتك فى مهم أمورك لكل واحد منهم على

---

(١) م : الملامسة . (٢) ص : مستنبطة . (٣) ص : وصل . (٤) س : أخدمه .

(٥) فتجتمع ... الدماغ : ناقص فى ص. (٦) كذا فى س. وفى ص : ناقص. وفى م : الحواس .

(٧) ص : الإنسان — وهو تحريف . (٨) إلى هنا آخر النقص فى ى .

(٩) ى : وليكن وزيرك واحداً تشاوره فى جميع تدابيرك ، وملْ من آرائه إلى ما يخالف هواك فإنه أصح الرأى ولهذا قال هرمس ...

انفراده فهو أنفذ لأمرك وأكتم لسرك . ولا تُبْدِ لهم ما فى نفسك ، ولا تُعْلِمن أحداً منهم عزيمةَ الرأى عند من كان .. ولا تظهر لهم أنك مفتقر إلى ما عندهم فيستخفوا بك ؛ وامزج عند نفسك آراءهم كما يفعل الدماغ بما تأتى به الحواس . ثم استخر الله تعالى فيما تنفذه ، ومِلْ من آرائهم إلى ما يخالف هواك . ولهذا قال هرمس لما قيل له : لم كان رأى المستشار[(١)] أفضل من رأى المستشير ؟ فقال : « لأن رأى المستشار مُعَرًّى من الهوى » . وهذا كلام صحيح . وإذا جمعتهم على رأى لتُدبِّره بحضرتك فلا تدخل رأياً معهم واسمع مايتراضون عليه . فان أعجلوا الجواب واتفقوا فناقضهم فيه وأرِهِمْ الخلافَ ليطول فكرهم واستنباطهم فلا خير فى الرأى القصير[(٢)] . وإذا ظهر لك صحةُ الرأى فى كلامهم أو كلامِ أحد منهم فسكتهم ولا تُرِهِمْ حيث وقع اختيارك حتى تنفذه ، فالكتمان أنجح لكل مطلوب . ومع التجربة وطول الخبرة يتبين لك من يقول على صحة من [١٣١] الرأى . فعلى قدر محبة الوزير فيك ورغبته فى توجيه رياستك يكون رأيه لك . وإياك أن تؤخر أحداً منهم عن صاحبه ، وسَوِّ بينهم فى عطاياهم ومجالسهم وجميع أحوالهم ، فانه لم يكن سبب فساد الملك على قديم الزمان والأيام إلا لتفضيل بعض الوزراء على بعض . ولا تُراعِ الأسنان[(٣)] إذا كان رأى الشباب فاضلا .

وأنا أقول يا إسكندر إن الرأى تابع للجسم . فاذا هرم الجسم هرم الرأى ، مع أن ذلك وقف على المواليد : فمولود يولد على طالع ما فلا يكون فى صناعته وعمله إلا على طبائع الكوكب الذى فى تدبير مولده ، وإن عرج به والده إلى غير تلك الصنائع صرفه الطبع الأعلى . وقد جرى مثل هذا لقوم من المنجمين اجتازوا على قرية فأضافهم رجل حائك . فأتاه فى تلك الليلة ولد ذَكَر . فأخذوا طالعه وعدلوا

(١) هنا نقص وتحريف فى كل من ص ، م ؛ فأصلحناه عن س الخ .

(٢) أو لعلها : الفطير . والفطير : كل ما أعجل عن إدراكه . يقال هذا رأى فطير — أى بديهى من غير روية . (٣) ص : إلا شاباً إذا ... م : ولا تراع شاباً ، إذا ... والتصحيح عن س .

كواكبه فكان طالعه السنبلة، وعطارد فى الجوزاء فى بيتــه من المشترى، والنحوس غائبة. فدلهم مولده على أن المولود يكون عالماً لطيفاً إليه حسن الرأى يدبر أمر الملوك. فعجبوا من هــذا ولم يعرّفوا والده . فشب الغـلام ورام والده أن يكسبه شيئا من صناعته فأبت طباعه قبول شىء من ذلك ، فيوجعه ضرباً إلى أن أعيـاه ، فتركه لرأيه . فمـال إلى أهل الأدب وتعـلّم العلوم وحفظ التواريخ وعرّف سياسات الملوك حتى صار وزيراً وظهر(١) أمره ونقل هذا عنه . — وضد هذا من عجائب تأثير طباع الكواكب ما جرى فى مولد ابن ملك الهند إذ أعطت نصْبَةُ مولده أن يكون حداداً فستروا هذا عن الملك . فلما شب الولد [٣١ ب] رام الملك تعليمه العلوم(٢) وسِيَر الهند وغير ذلك مما يليق بأبناء الملوك علمه. فلم تنزع به همته ولا قاده طبعه إلا على صناعة الحدّادين . فوجم لذلك الملك وجمع منجمى وقته فاتفق الكل على ما ذهب به طبعه إليه فكان كذلك . — إلى كثير(٣) من مثل هذا وشبهه مما هو معلوم — . وإلى(٤) ابن هذا الملك نسبت السيوف القاطعة الجيدة من سيوف الهنــد . وكانت حجته على من يعيره بهذا أنها عون لأبيه وذخيرة لا يقدر عليها أحد غيره .

يا إسكندر ! لا تحقـر(٥) صغيراً من الرجال . ومن أحسست منه طلباً للعـلم واستقامة فى الطريقة والحلم وتجنباً للرذائل فاستكثر منـه ، ولا سيما إذا انضاف إلى هذه الأحوال عِزّةُ نفْسٍ وشرفُ أصلٍ وطلاقة لسان وحُسْن عبارة وبيان وعلم بأخبار المتقدمين من الأمم الماضية والأجيال الخالية والسير المأثورة — فاغتبط بمؤاخاته . فان انضاف إلى هذا حسن بداهة فى الرأى وكتم للسر ونزاهة نفس وثبات قلب مع اعتقاد صحيح لشريعتك وعمل بها ، فهذا الذى لايصلح للوزارة وتدبير الممالك سواه .

---

(١) وظهر أمره ... وضد : ناقص فى ى .

(٢) العلوم ... فلم تنزع به : ناقص ى ص .

(٣) إلى كثير .. يا إسكندر لاتقدم أمراً ولا تؤخره : ناقص فى ى .

(٤) وإلى ابن ... يا إسكندر : ناقص فى س . (٥) ق : ولا تحتقر .

يا إسكندر ! لاتقدم أمراً ولا تؤخره إلا بعد مشورة . فلم تزل الحكماء تقول : « المشورة عين الهداية » . وفى كتب الفرس أن ملكاً من ملوكهم استشار وزراءه فى سر عظيم كانت عليه أعمدة ملكه متورّكة . فقال أحدهم : لاينبغى للملك أن يستشير منا واحداً فى مُهِمّ من أموره ومُعْضِل شؤونه إلا خالياً ، فانه أموت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى(١) لبعضنا من غائلة بعض ، فان إفشاء السر [١٣٢] إلى واحد واحد أخلص لك وأتم وأكمل . وليس(٢) يجب أن يكون هذا فى كل الأمور ، بل يجب أن يكون هذا فى الندرة . ويجب إحضارهم والخوض معهم فى الدِّقّ والجِلّ على صورة ما قدمناه قبل . فان بعض الفلاسفة المتقدمين قال : يزداد الملك الحازم برأى وزرائه كما يزداد البحر بموادّه من الأنهار ، وإن كان البحر غنياً عن ذلك ؛ وينال بالحزم والرأى ما لاينالـه بالقُوَى والجُنْد . وفى كتاب بعض الفرس يوصى ابنـه : « عليك بالمشورة فانك واحد من الرجال(٣) ، وشاور من يفصح من المشركين ، ولا تَدَعْ لك فى عدوك فرصةً إلا انتهزتها ، ولا لعدوك فيك فُرْضَةً(٤) إلا حَصَّنْتها ؛ ولا تمنع شدةُ رأيك فى ظنك ، ولا علو مكانك فى نفسك من أن تجمع إلى رأيك رَأْىَ غيرك . فان وافق رأيُك رأىَ غيرك ازداد عندك شدة ؛ وإن خالف رأيَك عَرَضْتَه على نظرك . فان كان متغلباً على ما رأيت قَبِلْتَ ، وإن رأيته متضعاً عن رأيك استغنَيْتَ » .

---

(١) كذا فى س . وفى م : ، ص أمناً (لعلها : آمن) .

(٢) من هنا حتى آخر المقالة ناقص فى ى . ويأتى فى ى : وقال بهقم اليونانى : « يزداد الملك الحازم برأى وزرائه كما يزداد البحر بمواده من الأنهار ، وينال بالحزم والرأى مالا ينال العالم وراثة وتجربة ، فالتحفظ منه لازم وفيه واجب . واعلم يا إسكندر أن الحرب جسد وروح تقوم من ضدين يتغالبان : فروحها اعتقاد الظفر من كل واحد (وهذا سيأتى بعد ى ورقة ٣٥ ب مخطوط ص) .

(٣) من : ناقصة فى ص . وفى س : واحد فى الرجال . (٤) الفرضة : الثغرة .

يا إسكندر ! أشدُّ شيء وآكده — عَلَيَّ أن أوصيك به الآن(١) : لاتستوزر أحداً فانه أمر يفسد عليك مُلْكَك ورعيتك وجندك ويدفع بفوائدك(٢) ويصرف الآمال عنك — إلى كثير مما يطول وصفه ويكثر شرحه. فان لم يتجه لك خمسة ترتضيهم على الشريطة المتقدمة فثلاثة ، ولولا الثالث لما كمل ثبات شيء ، فأقل ما تثبت عليه الأشياء ثلاثة ، وأوسطها خمسة ، وأكملها سبعة : فالسموات سبع ، والأرضون سبع ، والسيارة سبع ، والأيام سبعة ، ودوران القمر سبع ، وأيام المسرات سبع ، وأيام الأحزان سبع — إلى كثير غير هذا يطول شرحه وذكره .

ومما تجرِّبُ به وزيرَك أن تريه الحاجة إلى المال . فان [٣٢ ب] حملك على استخراج ما فى خزائنك وسَهَّلَ ذلك عليك فلا رأس مال له فيك . وإن حملك على أخذ أموال الناس فان هذا سَيِّءُ السياسة يُبَغِّضك إلى الكافة . وإن بادر إلى ما عنده وقال : إنَّ هذا(٣) ، وإن لم يف بمطلوبك عندى ، فخذه واستعِنْ به على أمرك — فهذا الذى أرتضيه لصحبتك وآمرك أن تستخلصه لنفسك . فيجب أن تشكر له صُنْعَه وتعلم أنه أراد هلاك نفسه فى طاعتك ، لأن المال مُحَبَّبٌ إلى النفوس ولا يبذل الرجل ماله إلا لمن أحب قَلْبَه وآثره على نفسه .

وتجرِّبُ وزراءك أيضاً بالإفضال عليهم : فكل من رأيت حرصه على أخذ ذلك(٤) فلا خير لك فيه . فكل وزير يذهب إلى الكسب واقتناء المال فلا تعتدَّ به ، فانما خدمته لأجل المال لا لك ، فحب المال يذهب بعقول الرجال ، وهو من الخلاعات التى لادواء لها ، وهو مما لانهاية له ، وهو شيء جبلت النفوس على حبه ، وكلما كثر المال ازدادت الرغبة وكثر الحرص . وهذا مع الوزير سببٌ لفساد المملكة

(١) الآن : ناقصة فى س . وفى ص : أشد شيء وأوكده أن أعرضه عليك وأوصيك به الآن . وفى م : أشد شيء وآكده أن أوصيك به الآن . — أحداً : واحداً مفرداً .

(٢) س : جوائزك . (٣) ص : هذا وراء لم يف ... م : إن هذا فداء لم يف ...

(٤) م ، ص : ذلك يكثر فلا خير ...

من وجوه كثيرة، لأنه ربما حمله حب المال على إتلافك(١) مع من يداخله فى ذلك.
وكذا(٢) يجب أن لا يخرج وزيرك عن حضرتك، وتفقد(٣) عليه أن لا يخاطب ملكاً من الملوك ولا يكاتبه ولا يقرأ له كتاباً. فاذا أحسست بشىء من ذلك فغيّره غاية التغيير، فالنفوس سريعة التحول إلى ما تحال إليه قابلة إلى ما توعد به.

وأفضل(٤) الوزراء من يدين بحياتك وطاعتك ويسخط نفسه والعالم فى مرضاتك ويبيحك ماله وحياته(٥) [١٣٣] فى إرادتك ولا يرغب عنك فى شىء. ولا تظهر افتقارك إليه، وإن كنت إليه مفتقراً. ولا يتخلف عن بابك صباحاً ومساء. وتكون فيه هذه الخصال التى أنا ذاكرها إن شاء الله:

أولها: أن تكون أعضاؤه مؤاتية(٦) على الأعمال التى من شأنها أن يكون بها ومنها؛

الثانى: جودة الفهم وسرعة التصور لكل ما يقال؛

الثالث: أن يكون جيّد الفهم والحفظ لما يسمعه ويحفظه حتى لا يكاد ينساه أبداً؛

الرابع: أن يكون فطناً، إذا رأى على الأمر أقل دليل فطن به على الجهة التى قُصد به؛

الخامس: أن يكون حسن العبارة يوافقه(٧) لسانه على ما فى قلبه وضميره بأوجز الألفاظ؛

السادس: أن يكون نافذاً(٨) فى كل علم، لا سيّما علم الحساب، فهو العلم الحقيقى البرهانى الذى يحذق الطبع؛

السابع: أن يكون صادق القول محباً له، مجانباً للكذب مُبغضاً له، وفيّاً(٩) حسن المعاملة والخلق، لين(١٠) الجانب سهل اللقاء.

---

(١) ص: إتلاف. (٢) ص، س، م: وهذا. (٣) س: وتعتقد. م: وتعقد.
(٤) هذا الموضع ورد فى ى ورقة ٩٥ أ ضمن « المقالة السابعة فى سياسة الحروب » وهو خلط.
(٥) كذا فى م. وفى ص: وحاله. وفى س: ورجاله. (٦) م: متواتية. س: أن يكون تام الأعضاء مواتية ... (٧) ن: يواتيه لسانه على ما فى قلبه بأوجز الألفاظ.
(٨) ق: ثاقباً. (٩) ص: وفيه. (١٠) ص: ولين.

الثامن : أن يكون غيرَ شَرِه فى الأكل والشرب والنكاح ، مُقلِّلاً منهما ، متجنباً اللعب واللذات ؛

التاسع : أن يكون كبير النفس عالى الهمة محباً للكرامة ؛

العاشر : أن تكون[١] الدنانير والدراهم وسائر أعراض الدنيا هيّنة عليه ، ولا تكون همته إلا فيما يقيم جاه رئيسه ويحببه إلى القريب والبعيد ؛

الحادى عشر : أن يكون محباً للعدل وأهله ، مبغضاً للجور والظلم ، يعطى النَّصفة لأهلها ويرثى لمن حل به الجور ويمنع منه ، ولا يمنعه من ذلك مطابقة [٣٣ ب] أحد من خلق الله تعالى ؛

الثانى عشر : أن يكون قوى العزيمة على الشىء الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل ، جسوراً غير خائف ولا ضعيف النفس ؛

الثالث عشر : أن يكون عالماً بخدمة جميع خراجاتك كلها ، لا يخفى عليه وجه[٢] من وجوه مصالحك ، ولا تشتكى رعيتك إليه إلَّا عَلِمَ وَجْهَ تشكيها ومداواتها ؛

الرابع عشر : أن لا يكون كثير الكلام مهذاراً كثير الضحك والمزاح ، مُعرِضاً عن الناس مستخفاً بهم ؛

الخامس عشر : أن يكون ممن لا يشرب الخمر ، ودَارُه موطِنَ للصادر والوارد ، مصغياً إلى أخبار جميع[٣] الناس ، مسدداً لهم ، مصلحاً لأمورهم ، مؤنساً لوحشتهم ، صابراً على تحاملهم .

واعلم[٤] يا إسكندر أنه ما خلق الله سبحانه وتعالى أشرف من ابن آدم ، ولا جمع فى حيوان ما جمع فيه ، ولا فى شىء من الحيوانات خصلة مطبوعة عليه إلا وكلها موجودة فى الإنسان : فهو شجاع كالأسد ، جبان كالأرنب ، سخى كالديك ،

---

(١) ص : أن يكون كبير النفس وتكون الدنانير ...

(٢) كذا فى س . وفى ص ، م : وجه تشكيها ومداراتها .

(٣) م : الناس جميعاً .

(٤) هذه الفقرة حتى آخر المقالة ناقص فى ص ؛ وتأتى فى ى ورقة ٩٦ ب وما بعدها . وفى ق ورقة ٥٣ ب وما يتلوها الخ .

حذر كالغراب ، وحشى كالنمر ، أنيس كالحمام ، خبيث كالثعلب ، سليم كالغنم . سريع كالغزال ، بطىء كالدب ، عزيز كالفيل ، ذليل كالحمار ، لص كالعقعق ، تياه كالطاووس ، هادٍ كالقطا ، ضال كالنعام ، ساهر كالنحل ، شرود كالتيس ، كدود كالثور ، شَموس كالبغل (١) ، أخرس كالحوت ، منطقى كالهزار (٢) ، خمول كالخنزير ، مشؤوم كالبوم (٣) ، مُدَّخر كالنمل (٤) ، حقود كالجمل ، نؤوم كالفهد ، حفوظ كالكلب ، خائن كالهر ، قَتَّالٌ كالحية ، مُضِرٌّ كالعقرب ، نَفَّاعٌ كالفَرَس ، مؤذٍ كالفار .

وبالجملة ، يا إسكندر ، فما من حيوان ولا نبات ولا معدن ولا فلك ولا كوكب ولا موجود من الموجودات له خاصية إلا وتلك الخاصية توجد فى الإنسان . ولهذا سموه عالما صغيرا .

ولا تشاور فى أمرك يا إسكندر ولا تستوزر من ليس من الإلٰهيين المعتقدين الربوبية (٥) ، ولا تثق من الإلٰهيين إلا بمن يدين بناموسك ويعتقد شريعتك . واحذر أن يعتريك ما اعترى الرجلين اللذين ذُكِرَ أنهما اصطحبا فى طريق ، أحدهما مجوسى والآخر يهودى (٦) . وكان المجوسى راكباً على بغلة قد ربَّاها على خلقة وعليها كل ما يحتاج إليه المسافر . واليهودى راجِلٌ ليس معه زاد ولا أثاث . فبينما هما يتحدثان ، إذ قال المجوسى لليهودى : ما مذهبك وما اعتقادك ؟ فقال اليهودى : أعتقد أن فى السماء إلٰهاً وأنا أعبده ، وأريد منه الخير لنفسى ولمن يوافقنى فى دينى ومذهبى .

---

(١) م : متمرس . (٢) س : كالصرار .

(٣) م : مسرف . (٤) مدخر ... نفاع : ناقصة فى س .

(٥) هذه العبارة محرفة فى م هكذا : ولا تشارك فى أمرك يا إسكندر من الإلٰهيين (!) ولا من لم تختبر دينه وأمانته إلا من يدين ...

(٦) هذه القصة يظهر أنها من وضع شعوبى يفضل المجوسية على الأديان السماوية أو على اليهودية على الأقل ؛ مما يكشف عن أصلها . وهى قطعا مما أضيف إلى « أصل » الكتاب ، بيد أنها توجد فى الترجمة اللاتينية : إذ توجد فى نشرة استيل Steele ص ١٤٤ — ١٤٧ ؛ وفى مخطوط باريس اللاتينى رقم ٦٥٨٤ (من القرن ١٣) ورقة ٢٧ ، ومخطوط المتحف البريطانى رقم IA. 10756 فصل ٦٨ .

وأعتقد أن من يخالفنى فى دينى ومذهبى حَلالٌ دمه وماله وعِرْضُــه وأهله وولده ، وحرام علىّ نُصْرته ومذهبــه ونصيحته ومعاونته والرحمة له والشفقة عليــه . — ثم قال اليهودى للمجوسى : قد أخبرتك بمذهبى واعتقادى ، فخبرنى أنت عن مذهبـك واعتقادك ؟

فقال المجوسى : أما اعتقادى ودينى فهوأنى أريد الخير لنفسى ولأبناء جنسى ، ولا أريد لأحد من خلق الله شراً : لا لمن هوعلى دينى ولا لمن خالفنى . وأعتقـد الرفق بكل حيوان ولا أرى شيئاً من الجور ، وأرى أن ما يصل إلى الحيوان كله من الآلام يؤلمنى ويؤثر فى نفسى ، وأود أن الخـير والعافية والصحة والمسرة تصـل إلى جميع الناس كافة .

فقال له اليهودى : وإن ظُلِمْتَ وتُعُدِّى عليك ؟

فقال له المجوسى : أعلم أن فى السماء إلهاً خبـيراً عادلا حكيما ، وهو يجـازى المحسنين بإحسانهم ويكافىء المسيئين باساءتهم .

فقال له اليهودى : ما أراك تنصر مذهبك ولا تحقق اعتقادك .

فقال المجوسى : وكيف ذلك ؟

قال : لأنى من أبناء جنسـك وأنت ترى أنى أمشى راجلا تعباً جائعـاً وأنت راكب شبعان مُرَفَّه .

قال : صدقت — فنزل المجوسى عن بغلتــه وفتح سُفْرَته وأطعمه وسقاه . ثم أركبه البغلة .

فلما تمكن اليهودى من الركوب واطمأن (١) غمز البغلة وهمز بها بعَقِبــه وحَرّك عليها ومضى وترك المجوسى . فجعل المجوسى يصيح : ويحـك ! ارفق بى لئلا أَهْلِكَ فى هـذه المفازة وأموت جوعاً وعطشاً — واليهودى يقول له : أليس قد أخـبرتك عن

---

(١) ناقصة فى س . س : أدخل الهمز إلى البغلة .

مذهبي ؟ وجعل يُحرّك البغلة ويزيد فى سَوْقها ، والمجوسى فى أثره وهو لايلتفت إليه ولا يحنو عليه ولا يعبأ بكلامه حتى غاب عن نظره .

فلما أَيِس المجوسى منه ذكر تمام اعتقاده وما وصف له بأن فى السماء إلٰهاً عادلا لاتخفى عليه خافية من أمر خلقه . فرفع رأسه إلى السماء وقال : يا إلٰهى ! قد علمت أنى قد اعتقدتُ مذهباً ونصرته ووصفتُك بما سمعتَ ، فحقِّقْ عند اليهودى ما وصفتُك به .

فما سار المجوسى إلا قليلا حتى رأى اليهوديَّ قد رمَتْ به البغلةُ فاندقت ساقه وعنقه ، والبغلة واقفة بالبعد منه . فلما تحقق المجوسى أمره ولحق به ، تكلم فميزته البغلة وحنت إليه لما عَهِدَتْه من رفقه بها . فركبها ومضى لسبيله وترك اليهودى يقاسى الجهد ويعالج الموت . فناداه اليهودى : ويحك يا مجوسى ! أنا الآن أولى بالرحمة منى قبلُ ، وأنا الآن بُضْعةٌ ملقاة فارحمنى وانصر مذهبك الذى قد نصرك وأظفرك ! — فجعل المجوسى يعاتبه . فقال : لا تعاتبنى على شىء أعلمتك أنه ديانتى ومعتقَدى ومذهبٌ نشأتُ عليه ووجدت آبائى وأشياخى يعتقدونه . — فرحمه المجوسى وحمله حتى جاء به إلى المدينة ودفعه إلى أهله مكسوراً . ثم إن اليهودى مات بعد أيام يسيرة . ثم إن ملك تلك المدينة سمع بالمجوسى فاستقربه وأدناه ورفعه ، لما رأى من كثرة عقله وعلمه واعتقاده لمذهبه وحسن سيرته ، واستوزره .

فتأمل كيف جازى الله — عز وجل — المجوسى بجميل اعتقاده وحُسْن مذهبه . والله تعالى يجازى كُلًّا بمذهبه ، ويقارض كلَّ امرئ على صنعه : إما فى دنياه ، وإما فى آخرته ، فهو الحَكَم العدل الذى لايجور .

يا إسكندر[(١)] ! أعظم ما أوصيك به وأحذرك منه ألا تستوزر أحداً من قرابتك ولا تثق إليهم بشىء من أعمالك ، وأن تتحفظ منهم كتحفظك من الأفاعى

(١) هذه الفقرة وردت فى هامش س .

الهندية التى تقتل بالنظر. وكلما قَرُبَتْ قَرَابتُهم كانت أشد عليك ، فان سائرهم إنما يحسدونك فى مالك ، وقرابتك إنما يحسدونك فى جميع حالاتك ، ولا يقنعهم منك إلا روحك . وهذا يا إسكندر لازم فى الطبيعة ، ثابت فى الجِبِلَّة ، وقد أبرزَتْه التجربةُ على قِـدَم الأيام إلى التحقيق . وكان فى أصل الخلقة من حسد ابن آدم قابيل أخاه هابيل حتى قتله . والله وَلِيُّ كَفالَتك .

المقالة الخامسة

فى كتاب سجلاته[١] ومراتبهم

ويجب[٢] عليك يا إسكندر أن تختار لكتاب سجلاتك — التى هى أقوى دليل على مقدار عقلك ونفوذ فهمك وموقع غرضك عند المتأملين لها — من[٣] لا يوقعك موقع نَقْص فى شىء من عقلك وفهمك وغرضك، التى هى صفاتك التى تستحق بها اسم الرياسة عند جميع الخاصة. فمعنى الكلام هو رُوحه، وألفاظه هى جسمه، والخطّ هو حِلْيته. فكما يجب أن تكون حياً ناطقاً حسن الصورة والحلية، كذلك يجب أن تَستعمل منَ الكُتّاب مَنْ يأتى بالمعنى الكامل فى اللفظ الجميل الحسن. وكما أنه يترجم عن إرادتك ويطلع على أسرارك — فكذلك يجب أن يكون من الأمانة والثقة والمعرفة بإرادتك وعواقب أمورك والترقب لمصالحك بمنزلة الرضا، فإنه إن لم يكن كذلك أفسدك. وكذلك يجب أن تتجسس أموره كلها لئلا يُدْخِلَ داخلة فى كتابك. ويجب أن ترعى من أموره مقدار ما يجده[٤] من إرادتك ويتحمله من أعباء [١٣٤] رياستك، وأن تنزله منزلة الجزء منك، الذى صلاحُه بصلاحك وفسادُه بفسادك[٥].

---

(١) ى : باب صفة كاتبه وكتاب سجلاته.

(٢) ى : ويجب لك أن تختار لكتاب كتبك وسجلاتك التى هى ... — ن : ويجب أن تختار كتاب سجلاتك التى هى ...   (٣) مفعول به للفعل : «تختار».   (٤) س : تخدمه. ص : تجد به.

(٥) يضيف ى هنا : وإن أمكنك أن يكون كاتبك وزيرك فهو أرفع لحاله وحالك وأكتم لتدبيرك وسرك.

المقالة السادسة

فى سفرائه وهيآتهم ووجه السياسة فى بعثهم[(١)]

اعلم ، وفقك الله يا إسكندر، أن الرسول يدل على عقل المُرْسِل ، وهو عينه فيما لايرى ، وأذنه فيما لايسمع ، ولسانه عند من غاب عنه . فيجب أن تختاره أفضل مَنْ بحضرتك عقلا وبصيرة وهيئة ومنظراً وأمانة وتجنباً لجميع الرِّيَب . فان وجدته كذلك فأَرْسِلْ به وفَوِّض إليه بعد أن يعرف غرضك . ولا توصه بما يأتى به، إذا اختبرت عقله وفصاحته وأمانته؛ فربما رأى هو عند المشاهدة الصوابَ فى غيره. وإن لم يكن بهذه الصفة ، فليكن أميناً ، ثقة، ولا يزيد ولا ينقص فيما أرسلته به، ويكون حافظاً لوصيتك ، وواعياً لما يسمعه من الجواب عليها . فان لم تجده كذلك فليكن أميناً فقط ، يؤدى كتابك إلى مَنْ وَجَّهته <إليه> ، ويأتى عنه بجوابك. وإذا أحسست من رُسُلك حرصاً على المال فى الموضع الذى توجهه إليه فلا تستعمله فربما أُعْطِى مالا فى مصالحك . ولا توجه من يشرب الخمر : فقد كانت الفرس إذا ورد عليها رسول كلفته أن يشرب ، فان فَعَل عَلِمَتْ أن أسرار ملكه مفتضحة عندهم ، وتَعْرِضُ عليه المالَ الكثير ، فإنْ حَرَص عليه عَلِمَتْ أن ذلك الملك فى كفهم .

وإياك يا إسكندر أن ترسل وزيرك ؛ ولا تخرجه عن حضرتك ، فان فى ذلك فساد مملكتك .

فجميع صفات رسلك قد ذكرتها لك . ومدارها على الثقة والأمانة . فمتى لم تكن كذلك ، غَشَّك بقبول الهدايا [٣٤ب] والرُّشَى[(٢)] ، وخانك فيما قلدته ، ودخل من النقصان فى تدبيرك بمقدار ما أدخل عليك بخيانته .

---

(١) ن : فى سفرائه وهياتهم (!) ووجه السياسة فى تعيينهم .

(٢) الرشى (بضم الراء وفتح الشين) جمع رشوة .

المقالة السابعة [١]

فى الناظرين على رعيته وخراجاتها [٢]

قد علمت يا إسكندر أن الرعية بيت مالك المأمون تلفه الغير موجود خلفه ، الذى تقيم به رياستك . فأنزل رعيتك منزلة البستان فيه ضروب من الأشجار ، ولا تنزلها منزلة الزرع الذى يأتيك فى الحول مرة وتستأنف بذره فى حول ثانٍ [٣] ، فان الأشجار قائمة الأصول لاتستأنف لها بذراً . فعلى قدر منزلة بيت مالك من نفسك وأنه قوام ملكك وسلطانك ، يجب أن تكون رعايتك لأمورها ، وسعيك فى دفع المضرة عنها . ولا تستكلف [٤] لرعاية أحوالها واجتناء ما عندها إلا واحداً يكون مجرباً للأمور غنياً ثقة أميناً يجتنى لك الثمرة ولا يهلك الشجرة ، ويكون حسن الخلق محتملا صبوراً . فانه إن لم يكن بهذه الصفة نفّر النفوس المستأنسة منه ، وأفسد الضمائر الخالصة . ولا تكثر من المتولين لخدمة خراجاتك ، فيدخل الفساد عليك . وذلك أن كل واحد منهم يريد الظهور على صاحبه بافساد حاله ويسعى فى إظهار الفائدة بادخال الداخلة على الرعية . وكل واحد يجتنى لنفسه ما يقيم به حاله ، ومنهم من يصنع به معروفاً إلى من يؤيده فى حاله ويعضده فى باطله .

---

(١) جاءت فى ى ورقة ٩٨ ب مع اختلاف ، وقد أولج فيها «باب فى الرتبة الحسنة فى تدبير الجسم» وهو الذى ورد من قبل (فى ١١ ب من مخطوط ص) .

(٢) ق : فى الناظرين على رعيته وخراجاته .

(٣) س : وتستأنف تدبيره . ص : وتستأنف لها بداراً .

(٤) ص : تستكنف من رعاية . م : ولا تستأنف لرعاية . س : ولا تستكف لرعاية .

المقالة الثامنة

فى سياسة قواده والأساورة من أجناده

يا إسكندر! الأجناد زُبْدَة المملكة، وبهاء الدولة. ومدار أمرك على[1] الرتبة [١٣٥] الفاضلة فى ترتيب الأجناد حتى لايخفى عليك حال البعيد والقريب منهم، وتخف مؤونة ترتيب البعث والمدد واستدعاء أى عدد يجب دون مرج[2].

وذلك أن أقل الأمراء أربعة. وإنما قلت أربعة لأن كل موضع فى الأرض أربع نواح: خلف وقدام، ويمين وشمال؛ وكذلك نواحى العالم أربع: شمال وجنوب وقبول ودبور. فيتولى كل أمير سدّ رُبعه[3]. فان أردت أكثر فليكونوا عشرة، لأن العشرة[4] هى الأربعة الكاملة، لأن فى الأربعة[5] واحداً واثنين وثلاثة وأربعة — فاذا جمعْتَ ذلك كان المجتمع عشرة وهو كمال ما أحاطت به الأربعة من الأعداد. — ويتبع كل أمير عشرة نقباء، ويتبع كل نقيب عشرة قواد، ويتبع كل قائد عشرة عُرفاء، ويتبع كل عريف عشرة رجال. فجميع ذلك مائة ألف مقاتل. فمتى احتجت إلى سد[6] ناحية بعشرة آلاف أمرت بركوب أمير واحد فانجذب معه عشرة نقباء، وينجذب مع كل نقيب عشرة قواد، وينجذب مع كل قائد عشرة عرفاء — فذلك ألف، وينجذب مع كل عريف عشرة رجال — فذلك عشرة آلاف. وإن احتجت إلى ألف أمرت نقيباً فانجذب معه عشرة قواد، مع كل قائد عشرة عرفاء، مع كل عريف عشرة رجال — فذلك ألف مقاتل. فان احتجت إلى مائة أمرت قائداً واحداً فانجذب معه عشرة عرفاء، مع كل عريف عشرة رجال — فذلك مائة، وإن احتجت إلى عشرة أمرت عريفاً واحداً فانجذب معه عشرة رجال.

---

(١) س، ص، م: على الرتبة الفاضلة فى...

(٢) المرج (بفتحتين): اضطراب الأمر والتباسه وفساده.

(٣) ص، م: أربعة (!).

(٤) هنا تأثر ظاهر بالفيثاغورية.

(٥) كذا فى النسخ. ولعلها: العشرة.

(٦) ص، م: مس.

فتخف عليك المؤونة [٣٥ب] وتقف على ما تحب من أمورك، ويقل تعبك فى الجند لأن كل رجل مدبر عشرة ممن دونه ، فيخف الأمر عليهم ، ويكون أمرك حاضراً مرتبـاً .

ولا بد للأجناد من كاتب حازم عالِم ثقـة مأمون بصـير بالصفات ناقد[١] فى الفراسة لئلا تَدخل على الجنـد داخلةٌ فى أعطياتهم فتفسد بذلك ضمائرهم . ومتى اطلعت على شىء من ذلك فاطرحه عنهم ، واجمعهم لذلك[٢] مخبرا لهم أنك لما اطلعت على داخلةٍ تطرقهم لم ترضها[٣] . ويجب أن يكون سمح الخلق سهل اللقاء لا يغضب ولا يشتغل بغير خدمة أحوالهم .

ويجب أن تكون معك[٤] الآلة التى تحتاج إليها الملوك فى السلم والحرب والأحوال حيث أقمت وحللت .

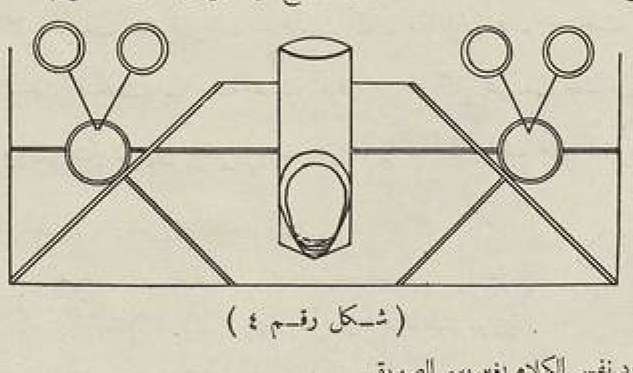
---

(١) م : نافذ فى البصيرة بفراسة .

(٢) س : واجمعهم لذلك مخبراً لهم أنك ... ص : مخبراً عنهم أنك إنما اطلعت على داخلة تطرحهم لم ترضاها .

(٣) هنا يأتى فى ى : ويجب لك أن تكون عليهم منك رقبة تبعثهم على مهابتك والتعظيم لك ، ولا تمكنهم من القرب منك عند السلام عليك ، ولا تجعل لهم سبيلا إلى مكالمتك جهراً — فكيف سراً ! — فإن هذا سبب الانبساط عليك والاستخفاف بك ، وربما كان فى ذلك الهلكة ...

(٤) س : ويجب أن يكون معك الآلة التى أقامها بايسطيوس للأنذار ، وهى آلة مفزعة تتصرف فى كثير من الأمور . لأنك ربما احتجت إلى إنذار جميع بلادك وتهيىء الأجناد فيها ليوم أو لتقليع أو غير ذلك مما يحتاج إليه ، وفى العساكر الثقال ، وصوتها يسمع من ستين ميلا . وهذه صورتها :



(شـكل رقـم ٤)

وفى ن ورد نفس الكلام بغير رسم الصورة .

المقالة التاسعة

فى سياسة الحروب وصورة مكائدها والتحفظ من عواقبها وترتيب لقاء الجيوش والأوقات المختارة لذلك

يا إسكندر! لاتباشر الحروب بنفسك ، ولازم أكابر خواصك ، ولا تستعمل ما يصنعه الهياكلة(١) من الاجتماعات ، فوالله ما اجتمع ملك بآخر إلا(٢) ودبر أحدهما الغدر بصاحبه ؛ وهذا موجود فى الطبيعة . وتفكر فيما صنع قابيل بهابيل أخيه ؛ وقد صح أنه على الحسد وحب الدنيا صَنَعَ ذلك . واعلم يا إسكندر أن الحرب جسد وروح تقوم من ضدين يتغالبان : فروحهما اعتقاد الظفر من كل واحد من الفريقين ، وجسمهما تلاقى العينين(٣) . فمتى لم يقع اعتقاد الظفر منهما ماتت الحروب . وبقاء الحرب ما دام التكافؤ ، وفناؤه بغلبة [١٣٦] إحدى الطائفتين . فليكن همك فى إقامة همة جيشك والإيقاع فى نفوسهم أنك غالب ، وأن عندك دلائل على ذلك . وأرِهِمْ برهانات علمية تقوى بها النفوس . وألِّفْ كلمتهم ، وعِدْهم بالحباء والخِلَع ، وَفِ بذلك لهم . واعلم أنك لاتقاتل إلا مفصحاً(٤) أو متحصناً . فان لقيت من أفصح إليك ، فليكن همك فى التحصن على نفسك بالآلات والمتحرسين(٥) والمتطلعين والرّقب كل حين من ليل أو نهار . ولا تنزل إلا فى موضع تستند فيه إلى

---

(١) كذا فى ص ، م ، ق . وفى س : الهياكرة — وفى هامشها شرح : المستسلمون . ولعل صوابها : الهياطلة (بالطاء) وهم الملوك الترك الذين حاربهم الفرس .

(٢) كذا فى س . وفى ص : م ، ميز . (٣) س : الفئتين .

(٤) فى بعض النسخ : مفحصاً . ومعنى مفصح : متكشف ، ظاهر للعدو . ص : الطور الجبلية ونرى تصحيحه : الصور الحيلية ، أى التمويهات (الكاموفلاج) Camouflages . راجع ابن النديم « الفهرست » فى باب « الكتب المؤلفة فى الفروسية وحمل السلاح وآلات الحراب » (ص ٤٣٦ — ص ٤٣٧ فى الطبعة المصرية) ففيه أسماء كتب فى الحيل والعمل بالنار والنفط والزراقات فى الحروب والدبابات والمنجنيقات والحيل والمكايد . (٥) س : والمحترسين .

جبل أو بقرب منه ، وفى موضع ماء . واستكثر من الأزواد وإن لم تحتج إليها . وكثّر من الآلات الهائلة والأصوات المفزعة فانها قوة لنفوس مَن معك وإقامة لهممهم وفزع وفرَق لمن تلقاه .

واستعمل فى أجنادك خلاف الهيئات : فأمّة بالدروع ، وأمة بالجواشن ، وأمة بالمجانيق . وإذا بعثت طائفة للقتال فوجه معهم الصور الجيلية (١) والأبراج الخشبية فيها أصحاب السهام والزراقات المحرقة ، فان رابهم رَيْبٌ قويت نفوسهم باستكانتهم إلى تلك الجُنَن ، وقامت السهام والحرّاقات فى وجوه أعدائهم .

ورتّبْ أجنادك على ما قدمنا ذكره . واجعل ميمنتك أهل الضرب والمخالفة (٢) ، وميسرتك أهل الطعن ، والقلب أهل المزارقة والرمى بالسهام والحرّاقات والأصوات الهائلة والحركات المختلفة . ولتكن مشرفاً بحيث تطلع عليهم ، فانهم متى علموا بذلك راقبوك ؛ ومتى راقبوا حذروا . وتأمل أحوال العدو ، فحيث رأيت تخلخلا فاجعل الصدمة فيه [٣٦ب] . واستعمل الثبات (٣) فهو المعاون ، فقلما ظُفِرَ بمقدّمة أمة إلا غُلِبَتْ بانكسار نفوسهم ودخول الرعب عليهم . واستكثر من الكمائن بالأصوات المفزعة فانها من العُدَد والقوى الحادية (٤) لنشاطك . واستعمل المهاوى والربى فى طرقاتك أعداءك إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، فالحروب بالمكائد ؛ وحذر منها أجنادك واستكثر من الدواب الحمالة الخراسانية البخاتى (٥) فانها مفزعة للخيل وملجأ عند الآفات وحصن . وإن قاتلت متحصناً فاستعمل الآلات الرامية للأحجار الثقال كالمنجنيقات والفرادات والآلات النطاحة ورماة السهام المسمومة . فان ظفرت لهم بمشرب أو نهر فصُبّ فيه السموم المهلكة والعقاقير المتلفة ، واحتفر فى حصونهم الحفائر . وتحفظ من البيات وكبسات الليل ، فانها محذورة مفرّقة للجماعة مبدّدة للجيوش مُذْهِبة للأموال والسلاح والدواب . ولا تتبع مهزوماً إلى مسافة بعيدة ، فانه من البغى والجبروت .

---

(١) س : الصور القلبية (!) . (٢) س : المجالدة . (٣) س : البيات .
(٤) ص : الحادثة . س : المنادية . (٥) س : والنجاتى . — والبخاتى : الإبل الخراسانية .

وإن أمكنك أن تكون أمورك كلها خدائع فافعل ، واجعل الحرب آخر أعمالك فانه[(١)] أسلم للحرمة وأبقى للجاه وأحفظ للأجناد . واختر من جنوس[(٢)] الأمم وأخلاط العالم من اشتهرت شجاعته ومصابرته فى الحروب ، فاجعل اعتمادك عليه وتحفظ به فى الأماكن المخوفة ، واجعله قريباً منك محيطاً بك : فالهند أصحاب خدائع وتهاويل ولا بأس لهم ، والروم[(٣)] أصحاب إذهاب ورهج ولا ثبات لهم ، والصقالبة أصحاب عزائم ولا قوة لهم ، والديلم أصحاب [١٣٧] صدمات وفيهم ضجر ولا بأس لهم ، والترك أصحاب بأس عظيم وجهل كثير ، ولكن[(٤)] لهم فى الحروب هيبة وموقع فاستكثر منهم واجعلهم أقرب أجنادك إليك . وقابل كل طبقة من هذه بما يشاكلها ، ولا تترك صغير أمر يكبر ، وتلافاه قبل استفحاله[(٥)] وتفاقمه . واجعل مدار أمرك كله : ظاهره وباطنه ، فى هذا المعنى — على اختيارات علم النجوم ، على ما قدمت لك ذكره .

يا إسكندر[(٦)] ! إذا أردت عقد الألوية فاجعل الطالع الأسد وأصلح القمر وصاحبه ، وليكن فى موضع جيد من الطالع . واجعل صاحب الطالع فى بيوت المريخ . ولا تخلين منه نظر المريخ من التثليث . وانظر كل عمل تريد طبيعته من الكواكب والبيوت . فأصلح الكوكب والبرج الذى من تلك الطبيعة فانه رأس الأمر . وعليك بالحزم والعزم وامتثال الأمر — ترشد .

---

(١) جمع جنس — وهو جمع غير مشهور ؛ اللهم إلا إذا كان صوابها : جيوش .

(٢) فإنه ... وأهل الهند : ناقص فى س .

(٣) والروم ... ثبات لهم : ناقصة فى ص ، س . والصقالبة ... والترك : ناقصة فى س . — والرهج (وبالتحريك) : الفتنة والشغب .

(٤) م : ولكلامهم فى الحروب ...

(٥) ص : لحافه وتفاخمه ، م : لحاقه وتفاخه (!) . س : قبل لحاقه ومدار ...

(٦) فى ن فصل بعنوان : عقد الألوية . إذا أردت عقد الألوية ...

اختيار(١) فى الخروج إلى السفر : إذا أردت ذلك فاجعل الطالع الطريق، والسابع البلدة والموضع الذى تسافر إليه ، والعاشر للعمل الذى تطلب ، ووتد الأرض عاقبة ذلك . واحذر أن يكون القمر منحوساً أو تحت الشعاع أو فى السادس أو فى الثانى عشر . واحذر أن يكون عُطارد تحت شعاع الشمس أو راجعاً . فان كان سعد فى الطالع دل على الصلاح ، لاسيّما إن كان المشترى . وإن كان فى وسط السماء دل على وفاء العمل وتمامه . وإذا كان فى السابع دل على قبول الأمر والفرح والسرور وقضاء الحاجة . وإن كان فى وتد الأرض دل على تمام الأمر وحسن العاقبة . واحذر أن [٣٧ب] يكون القمر عند الخروج فى تربيع الشمس ، — فترجع سلماً سريعاً مقضى الحاجة . فان خرجت لحرب فاجعل صاحب الطالع فى بيت المرّيخ فى وسط السماء والمريخ ينظر إليه نظر مودة ، واجعل المشترى فى الرابع وأصلح القمر ، فهو فى الأسفار كلها أعظم دليل إن شاء الله تعالى .

القول فى الغالب والمغلوب(٢) : ومما(٣) لاغناء بك عنه يا إسكندر أن تعلم اسم الذى تقاتل ، فلا تولى لقاءه إلا من يشاكل أن يغلبه . وهذا من بعض أسرارى التى كنت أعمل بها معك لما كنت فى الصحبة الكريمة وكتمته عنك ، وها أنا مفشيه

---

(١) عنوان فى ن . وناقص فى سائر النسخ .

(٢) هذا الفصل ورد فى مخطوطات أخرى مستقلا بعنوان : «كتاب الغالب والمغلوب» إذ ورد فى المخطوط رقم ٦٦٦ بالمكتبة الأهلية بباريس ورقة ٥٩ إلى ٦٩ ، وفى المخطوط رقم ٢٧١٨ بالمكتبة الأهلية بباريس ورقة ١٥٦ إلى ١٦٠ ، وفى المخطوط رقم ٢٧٦١ بالمكتبة الأهلية بباريس ورقة ٥٧ ب إلى ٦٤ ا .

وهذا الفصل لم يرد فى الترجمة اللاتينية التى قام بها فيلبس الطرابلسى ، بل ورد عند هذا الموضع الفصل الخاص بالفراسة الوارد من قبل (ص ١١٧ — ص ١٢٤) .

وقد ورد فى هذه المخطوطات تكلة لما ورد تحت أبواب الأعداد هنا ، فأضفناها فى الهامش ، وإن كان لاحاجة إليها لأنها وردت مكررة من قبل فى أبواب سابقة .

واستهلها أصحابها بمقدمات خاصة لاتتفق مع ما ورد هنا ، وذلك ليفردوها كتباً مفردة غير منتزعة من غيرها .

(٣) م : أن تعلم اسم صاحب الجيش ومدار أمرك الذى تقاتل ، فلا يتولى لقاءه إلا ...

لك على شريطتنا ، وهو من أسرار العلوم الخفية التى ألهمنى الله (١) عز وجل وهدانى إليها بلطفه وحكمته :

أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ

يا إسكندر (٢) ! احسب اسم أمير الجيش الواحد واسم أمير الجيش الثانى بهذا الحساب . واحفظ ما يجتمع من كل واحد منهما . ثم اطرح ما اجتمع لكل اسم من العددين تسعةً تسعةً ثم احفظ ما تبقى بيدك دون تسعة من الاسم الواحد . ثم افعل بالاسم الثانى كذلك . فما بقى من الاسم الثانى دون تسعة احفظه أيضاً . ثم اعمد إلى الحساب الذى أصنعه لك ، فهو صحيح مطرد لا يخالفك إن شاء الله تعالى — فافهمه (٣) .

باب الواحد

واحد وتسعة : الواحد يغلب التسعة . واحد وثمانية : الثمانية تغلب الواحد . واحد وسبعة : الواحد يغلب السبعة . واحد وستة : الستة تغلب الواحد . واحد وخمسة : الواحد يغلب الخمسة . واحد وأربعة : الأربعة تغلب الواحد . [١٣٨] واحد وثلاثة : الواحد يغلب الثلاثة . واحد واثنين : الاثنين يغلب الواحد . واحد وواحد : الطالب يغلب المطلوب .

باب الاثنين

اثنان وتسعة : التسعة تغلب الاثنين . اثنان وثمانية : الاثنان تغلب الثمانية . اثنان وسبعة : السبعة تغلب الاثنين . اثنان وستة : الاثنان يغلب الستة . اثنان وخمسة : الخمسة تغلب الاثنين . اثنان وأربعة : الاثنان يغلب الأربعة . اثنان وثلاثة : الثلاثة يغلب الاثنين . اثنان واثنان : المطلوب يغلب الطالب (٤) . اثنان وواحد : الاثنين تغلب الواحد .

(١) ن : التى ألهمنى الله إليها (!) مقالة عجيبة (عنوان) أبجد هوز حطى ...

(٢) يا إسكندر : ناقصة فى ن . (٣) فافهمه : غير موجودة فى ق ونسخ أخرى .

(٤) كذا فى م ، س ، ن . وفى ص : الطالب يغلب المطلوب . اثنان وواحد ... الواحد : ناقصة فى ن .

باب الثــلاثة

ثلاثة وتسعة : الثـلاثة تغلب التسعة . ثلاثة وثمانية : الثمانية تغلب الثـلاثة . ثلاثة وسـبعة : الثلاثة تغلب السبعة . ثلاثة وسـتة : الستة تغلب الثـلاثة . ثلاثة وخمسة : الثـلاثة تغلب الخمسة . ثلاثة وأربعـة : الأربعة تغلب الثـلاثة . ثلاثة وثلاثة : الطالب يغلب المطلوب[1] .

باب الأربعــة

أربعة وتسعة : التسعة تغلب الأربعة . أربعة وثمانية : الأربعة تغلب الثمانية . أربعة وسبعة : السبعة تغلب الأربعة . أربعة وستة : الأربعة تغلب الستة . أربعة وخمسة : الخمسة تغلب الأربعة . أربعة وأربعة : المطلوب يغلب الطالب[2] .

[٣٨ ب] باب الخمسة

خمسة وتسعة : الخمسة تغلب التسعة . خمسة وثمانية : الثمانية تغلب الخمسة . خمسة وسبعة : الخمسة تغلب السبعة . خمسة وسـتة : الستة تغلب الخمسة . خمسة وخمسة : الطالب يغلب المطلوب[3] .

باب الســتة

سـتة وتسعة : التسعة تغلب الستة . سـتة وثمانية : الستة تغلب الثمانية . ستة وسبعة . السبعة تغلب الستة . ستة وستة : المطلوب يغلب الطالب[4] .

---

(١) فى مخطوطات « الغالب والمغلوب » التكلة هكذا : « ثلاثة واثنين : الثـلاثة تغلب الاثنين . ثلاثة وواحد : الواحد يغلب الثلاثة » .

(٢) فى مخطوطات « الغالب والمغلوب » التكلة هكذا : « أربعة وثلاثة : الأربعة تغلب الثلاثة . أربعة واثنين : الأثنين تغلب الأربعة . أربعة وواحد : الأربعة تغلب الواحد » .

(٣) التكلة هكذا : « خمســة وأربعة : الخمسة تغلب الأربعــة . خمـة وثلاثة : الثـلاثة تغلب الخمسة . خمسة واثنين : الخمسة تغلب الاثنين . خمسة وواحد : الواحد يغلب الخمسة » .

(٤) التكلة هكذا : « ستة وخمسة : الستة تغلب الخمسة . ستة وأربعة : الأربعة تغلب الستة . ستة وثلاثة : الستة تغلب الثلاثة . ستة واثنين : الاثنين تغلب الستة . ســتة وواحد : الستة تغلب الواحــد » .

باب السبعة

سبعة وتسعة : السبعة تغلب التسعة . سبعة وثمانية : الثمانية تغلب السبعة .
سبعة وسبعة : الطالب يغلب المطلوب[(١)] .

باب الثمانية

ثمانية وتسعة : التسعة تغلب الثمانية . ثمانية وثمانية : المطلوب يغلب الطالب[(٢)] .

باب التسعة

إذا وافق تسعة وتسعة[(٣)] فالطالب يغلب المطلوب[(٤)] .

فتدبر هذا العلم يا إسكندر ودبره بعقلك وجودة فهمك — تَكُنْ الظافر والمنصور إن شاء الله تعالى[(٥)] .

---

(١) التكلة هكذا : « سبعة وستة : السبعة تغلب الستة . سبعة وخمسة : الخمسة تغلب السبعة . سبعة وأربعة : السبعة تغلب الأربعة . سبعة وثلاثة : الثلاثة تغلب السبعة . سبعة واثنين : السبعة تغلب الاثنين . سبعة وواحد : الواحد يغلب السبعة » . (٢) التكلة هكذا : « ثمانية وسبعة : الثمانية تغلب السبعة . ثمانية وستة : الستة تغلب الثمانية. ثمانية وخمسة : الثمانية تغلب الخمسة . ثمانية وأربعة : الأربعة تغلب الثمانية . ثمانية وثلاثة : الثمانية تغلب الثلاثة . ثمانية واثنين : الاثنين تغلب الثمانية . ثمانية وواحد : الثمانية تغلب الواحد » . (٣) وتسعة : ناقصة فى م . (٤) التكلة هكذا : « تسعة وثمانية : التسعة تغلب الثمانية . تسعة وسبعة : السبعة تغلب التسعة . تسعة وستة : التسعة تغلب الستة . تسعة وخمسة : الخمسة تغلب التسعة . تسعة وأربعة : التسعة تغلب الأربعة . تسعة وثلاثة : الثلاثة تغلب التسعة . تسعة واثنين : التسعة تغلب الاثنين . تسعة وواحد : الواحد يغلب التسعة » .

(٥) هنا ورد فى م : فائدة : ضابط لهذه الأعداد — شعر :

وفى الزوج والافراد يسمو أقلها … وأكثرها عند التخالف غالب
ويغلب مطلوب إذا الزوج يستوى … وعند استواء الفرد يغلب طالب

يااسكندر دبره بعقلك ....

وفى هامش س : وقال الشاعر ، قيل هو على بن أبى طالب :

فى الزوج والافراد يسمو أقلها … وأكثرها عند التضادد غالب
ويغلب مطلوب إذا الزوج يستوى … وعند استواء الفرد يغلب طالب

واعلم أن الأفراد كلها تغلب ما فوقها من الأفراد وما تحتها من الأزواج ، والأزواج كلها تغلب ما فوقها من الأزواج وما تحتها من الأفراد ، والفرد مع الفرد إذا اتفقا فالطالب يغلب المطلوب ، والزوج مع الزوج إذا اتفقا فالمطلوب يغلب الطالب ، وقيل : يغلب الأصغر سناً ، وقيل : صاحب السيف يغلب صاحب القلم عند التساوى من دونه ، وصاحب القلم يغلب عند التساوى من دونه . والله تعالى أعلم . — انتهى .

المقالة العاشـرة (١)

فى علوم خاصية من (٢) علم الطلسمات وأسرار النجوم

واستمالة النفوس وخواص الأحجار والنباتات [١٣٩] وغير ذلك

يا إسكندر! قد علمت بما تقدم تقريرى إياك عليه غير ما مرة أن جوهر العالم بأسره : أسـفله وأعلاه وأدناه وأقصاه — واحدٌ لا اختلاف فيه بالجوهرية ، وإنما اختلافه بالأعراض ، وثبـاته بالصور والأشكال . وإذ لا يختلف شىء من ذاته فاختلافه إذن من غيره . فما تراه فى العالم الجسمانى من التباين الذى أوله أربعة أقسام وهى الأربع طبائع وما تولد منها من المعادن والنبات والحيوان — فعلّة ذلك من العالم المحيط ، <إذ> بازاء كل قسم جسمانى قسم علوى روحانى هو علة كونه ومدبره . فاذن قد تبين أن جميع الصـــور الأرضية تدبرها الصور الفلكية العلوية الروحانية . وهذه هى العادة الموجبة لأعمال الطلسمات . وهذه الصور الفلكية ثابتة فى درج الفلك ؛ والسبعة المدبرات العلويات تقبل أشكالها فى أنوارها كما يقبل البصر والمرائى العقلية أشباح الأشياء وصورها وتَنقلها (٣) إلى العـالم السفلانى بتقـدير صورها ، ومركبها ، فيقبل كل شىء من المعادن والنبات والحيوان منها ما فى (٤) قوته أن يقبله . — واعلم أن قبول كل واحد من العلوية لتلك الصـــور بقدر مكنه فى مقابلتها ، وكذلك ما يبقيه

---

(١) ورد فى ى ورقة ١٠٣ ا وما بعدها ، مع خلاف شديد أهمه أنه ورد فى ثنايا الكلام فصل مأخوذ عن « تاريخ » الطبرى . جاء فى نسخة ى (ورقة ١٠٤ ا) : « ذكر الطبرى فى تاريخه وذكر الأصبهانى فى كتابه المسمى « زهرة الأدب » أن الحارث بن كلدة الثقفى وفد على كسرى فاستأذن عليه فأذن عليه بالدخول فدخل وانتصب بين يديه . فقال له كسرى : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن كلدة الثقفى . قال : أعرابى أنت ... » وبعد إيراد هـذا الحديث يأتى « باب فى الفراسـة » ثم باب الغالب والمغلوب .

وإذن فهذه المقالة فى الرواية المغربية التى تمثلها نسخة ى ناقصة جداً لايكاد يرد فيها إلا أسطر قليلة مما ورد هنا .

(٢) من : ناقصة فى ن . (٣) ص : وتقلبها . (٤) مافى ... يقبله : ناقص فى م .

فى السفل من تأثيرها . فأقوى الطلسمات وأمضاها(١) ما رصد له كيوان(٢) الشيخ والأب ، ثم ما يليه : الحكم العـدل الزكى المشهور بالفضل ، ثم ما يليها إلى النيّر الأصفر السريع الحركة صاحب العجائب الكثيرة . ويجب أن يكون الرصد لذلك فى حين [٣٩ ب] لايقطع باتصال نور الكواكب ، ومطرح شعاعه يحسن فيما تريد إصلاحه ، وبخلاف ذلك فيما تريد إفســاده . وأنا أضرب لك أمثلة فى ذلك وأنت غير غنى عنها ، وأبيّن لك وجه العمل فى ذلك إن شاء الله تعالى .

واعلم أن الذين لطفوا للفهم وصَفَتْ أذهانهم لقبول العلم ، واستدلوا بما ظهر لهم على ما خفى عنهم : فما صح عندهم علمه أثبتوه ، وعلى قدر بُعْد مرامه وشمول نفعه وبقائه وثباته كتموه ، وبخلوا به لئلا يشاركهم فى علمهم من ليس له إدراك ما أدركوه ولا علم ما علموه ، لتكون أقسام(٣) البــارى ومواهبه فى خلقه جارية على حكمته وعلى ما شاء من خصوصيته . ولست(٤) أنت — بفضل الله عليك — منهم ولا ممن يصان هذا العلمُ عنه ، إذْ أنت من أهله . ومن رغب فى الشىء طلبه ، ومن طلبه كان حقيقاً بالظفر : إما بقصدٍ منــه إلى مطلوبه ، وإما بتهيؤ المطلوب له . فكم فى هـذا العالم من سر خفى كلى وجزئى يمر الناس عليها وتمر عليهم صفحاً لايعرفونها ولا يفهمون(٥) عليها ، ذلك لأن رغبتهم فى غيرها ومطلبهم سواها !

والآن أخبرك أن ماتشاهده فى هذا العالم بحواسك فمن شيئين : جسم وصورة . فجميع صوره دائمة الوجود ، لازائدة ولا ناقصة ؛ وجميع جسمه كون ليس بموجود فى وقت من الأوقات . ألاترى صور الحيوان والنبات والمعادن دائمة الوجود لايدخلها فساد ولا انتقاص بزيادة ولا نقصان ، وأنها تنعدم بفساد الجسم الحامل لها الذى هو ما تألف ضروباً [٤٠ أ] من التأليف من أجزاء مفترقة بحركات غير مستقرة .

---

(١) م : وأمضاها مادة تدله كيوان .　　(٢) ص : ليوان .

(٣) أقسام جمع قسمة : نصيب ، رزق .　　(٤) ص : ليس .

(٥) م : يفقهون إليها .

فالجسم ، أيام كونه ، فى اجتماع وتفريق ؛ والتصوير دائم باق . فالعلة إذن فى وجود[١] الصور دائماً أنها من كواكب ثابتة[٢] ، والعلة فى فساد الكون بالاجتماع والافتراق أنها من كواكب مختلفة لاتبقى على حال .

فقد بان لك ما قلته إن الصور الفلكية إنما قبلتها أنوار الكواكب المتوسطة بينها وبين الأركان : قبلت الأخلاط منها ما لها أن تقبل وكان دوامها[٣] لذلك الخلط أن يلزم ، وكانت حركات الصورة وقواها وأفعالها بحسب المزاج الكوكبي ، وكان الأغلب فى أفعال كل صورة الأغلب على المزاج كما شاء بارؤها جل وعزّ .

فقد وجب عليك ما قلت وبينت حقيقته : أن تعرف حركة الفلك وبروجه وكواكبه الثابتة وما يطلع مع كل برج من الوجوه من الصور الشخصية الروحانية الفعالة ، وأن تعرف حركات السبعة والعقدتين إلى أن تحقق ذلك ، وأن تعرف أحوالها فى الاجتماع والاستقبال والتثليث والتربيع والتسديس والأوجات[٤] والجوهرات والحدود والوجوه وكيف يقع تعاديها واتحادها وقبول النور وردّه ، والطالع على التحقيق بذات الخلق والأوتاد ، وما مال عليها من إيمانها وشمائلها ، وكم عاشرة[٥] بلغ الكواكب فى كل برج بوسطه وتعديله ومطرح شعاعه على غاية التحقيق والرصد ، وأكثر مداركه عليه فى أوقات السعود والنحوس ، وما لكل واحد من الطول والعرض والمطلع والمنير . فاذا علمت جميع ذلك ، مع ما تقدم لك من علم الأحجار والنبات ، وما لكل كوكب منها [٤٠ ب] . وأن كان[٦] لكل كوكب شركة فى كل واحد من الأشخاص الحجرية والنباتية والمعدنية والحيوانية وكل عضو من أعضائها ، فلا بد أن تكون بالجملة منسوبة إلى الأغلب عليها ، كالإنسان الذى هو منسوب إلى الشمس بالجملة وعند التفصيل فرأسه منسوب إلى الشمس أيضاً . وكذلك

---

(١) ص : موجود . (٢) ثابتة ... وأنها : ناقصة فى ص .وفى سائر المخطوطات : ثمانية .
(٣) م : وامها . (٤) م : الأرجات . (٥) م : ولم بلغ الكواكب .
(٦) كان : ناقصة فى م .

المعدن المنسوب إلى زحل بالجملة ، والرصاص الأسود منسوب إليه عند التفصيل. ثم كذلك كل شخص وكل عضو من الأعضاء الموجودة فيه، لأن كل ذلك مُرَكَّب على ما بيناه (١) .

فاذا أردت < أن > يُحِلَّ اللهُ سبحانه رَبْطَ تلك القوى العلوية الحية الفعالة بهذه الأجسام المركبة — وأنت قد علمت ما لكل كوكب منها بالجملة والتفصيل — فانظر إلى حال الفلك عند كل طالع من طوالعه، ولما تروم حال طلوعه عليه إلى تمام أى وجه من وجوه أى طالع أَرَدْتَ، والصورة الطالعة فى ذلك الوجه التخطيطية الروحانية وما تؤدى إلى النُّصْبة من الولادة والإنسانية أو سائر البهائم أو النبات أو الأحجار. وليكن رُبُعُ (٢) الطالع فيه، ويكون زحل يقبله أو ينظر إليه نظر مودة ، ويكون مطرح شعاعها على الإقليم الذى أنت فيه (٣) ولا تخطئ موضع عملك ، ويكون القمر متصلا مع الكوكبين والرأس فيما تريد إصلاحه ، وارسم تلك الصورة الطالعة فى الفلك فى جسم من الأجسام الموافقة لرد الطالع على ما يظهر من الصورة حرفاً بحرف — فانك ترى من ظهور أفعالها وقواها ما يعجبك إن شاء الله تعالى .

الطلسم المعروف بطلسم المَلِك (٤)

وهو الطلسم الذى يعطى المَلِكَ المهابَة ، والجميعَ الانقيادَ والطاعة، ويدفع الأعادى بالرعب والرهبة، ويُمرِض الحساد [١٩٦ ا] ويحبب ويبغض ويفعل أفعالا غريبة عجيبة بديعة يطول شرحها ، وله فى دفع المضار والانذار بالكائنات على طرق الوحى شىء عظيم . وأنا أبيّن لك على حسب ما أودعتنى الفلاسفة الفضلاء علمه ، وورثه أكابر عن أكابر ، ودفنتُ علمَه فى أسراب الأرض ومكنون الرمز وصوانه ، وبخلوا على أنفسهم بعلمه فضلا عمن سواهم . وقد رأيتك موضعاً لهذا السر ، فكن به سعيداً موفقاً إن شاء الله تعالى :

---

(١) ن : ما ينشأ . (٢) كذا فى ن . وفى ق ، ص ، س ، الخ : رب الطالع .
(٣) فيه : ناقصة فى ص . (٤) هذا الطلسم لم يرد إلا فى نسخة ن .

اجمع جوزهر زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، وغلب المستعلى منها ، وهو زحل ، بمثل زنة [٩٦ ب] الجميع . واجعل من الذهب بمقدار ما بين الشمس وطالع الأسد ، والشمس فى الحمل قوية صاعدة مشرقة فى تسعة وعشرين درجة منه ، وزحل فى الدلو . وأصلح القمر وزنه ، وليكن فى الثور فى ثلاثة درجات منه ، والمشترى فى القوس ، والمريخ فى الجوزاء ، والزهرة فى الثور ، وعطارد فى الجوزاء ، وسهم السعادة فى الطالع ، والجوزهر فى الجوزاء فى شرقه . وأجود ما ترتضيه أن يتصل القمر بالشمس والمشترى من مواضع مقبولة . وإن أمكنك أن يكون الاستيلاء المشترى والمنير زحل ويتناظران نظر مودة [٩٧ ا] ويطرح كل واحد منهما شعاعه على صاحبه بعد قبول النور . وتحفظ أن يكون صاحب وسط السماء مسترخى الوتر . وضع الكواكب السمائية فى درجات سعودها .

وإذا صح لك هذا كله فاجمع الجواهر بالمثيل[1] فى صبيحة يوم الخميس فى ساعة المشترى . ثم اصنع من ذلك خاتماً ، واجعل فيه فصاً مربعاً من ياقوت أحمر وتنقش فيه صورة أسد عليه شخص رجل أمرد وبيده لواء وله جناحان ، على رأسه تاج ، وبين يديه ستة رجال مُرْد لهم أجنحة قد سجدوا بين يديه . ثم تصنع سبع فراشات من جوهر كل كوكب ثم تضعها تحت الفص [٩٧ ب] على ما فى أولها زحل ، ثم ما يليه إلى القمر ، بعد أن تنقش فى كل فراشة اسم صاحبها ومايستجاب به روحانيته وهى :

زحل	ليوش	طاش	طوش
المريخ	طش	أهيا	هوش
الزهرة	درهطوش	مانخوش	أنوش
عطارد	باديغاش	أنواش	أهياشراهيا
والمشترى	أهياشراهيا		قدوس

(١) ص : بالمسل .

الشمس عنواراش ديداغوش طِهِ

القمر مسرعيوِش طليغاش هصمطروش

[٩٨ ا] ثم تنقش فى دور الخاتم هذه الأسماء :

بترِيموش أنواس دراشِ

ستماواشِ هيطنوبِ

طانوش بتّهريوش

ثم تنجمه بالبخور والمومات[1] والمقامات على ما أفسره لك . وتحفظ من النجاسات والتهزئ والتفريط فى كل ما يلزمك ، إن شاء الله تعالى .

أدب المقامات : طَهِّرْ نفسك ، وصَحِّحْ فكرك ، وصُمْ سبعة أيام أولها يوم القمر وآخرها يوم الشمس . وأخرجه ليلة القمر ليلة صومك . ونَجِّمْه وبَخِّره بالعود الواصلى إلى الأثر (!) ، وطُفْ حواليه منادياً بأسماء القمر [٩٨ ب] سبع مرات وهى هذه :

طاطليوش مدراهش أنوش ياهدبوش فعلموش برناش سماهون

ثم اتركه للختوم، وبخره الليلة كلها ، ولا تفتر عنه البخور . وإذا كان فى الليلة القادمة ليلة المريخ فبخره بالبخور المركب المثنى بالحيوانية والنباتية وطف حواليه منادياً بأسماء المريخ وهى :

جبار شديد البطش ذى القوة والقهر شهباطوش

[٩٩ ا] فاتركه . فاذا كان ليلة عطارد فبخره بالمثلث والحيوانى والنباتى والمعدنى < و > طف سبعاً منادياً بأسماء عطارد وهى :

قدوس صاباوث رب القوات هيوِه زيوِه

طيوب طاطوب طوب

---

(١) ن : وأمومات .

فاذا كان ليلة المشترى فبخره بالمربع الحيوانى والمعدنى والنباتى ، وطف سبعاً منادياً بأسماء المشترى وهى هذه :

دريوش هايوش باسمخ شماخ العالى على كل براخ تقدست ياقدوس .

[٩٩ ب] فاذا كان ليلة الزهرة فبخره بالمخمس وطف سبعاً وناد بأسماء الزهرة وهى :

عشيقلوش باهليوش دردنوش غيراخ سملاخ

طاش طوش

فاذا كانت الليلة الزحلية فبخرها بالعود الشفاف النباتى النارى السيال ، وطف سبعاً منادياً بأسماء زحل وهى :

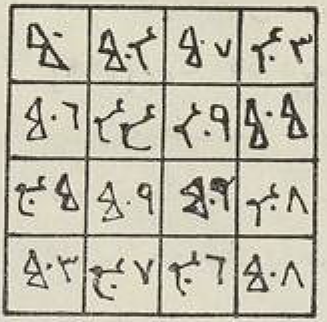
[١٠٠ ا] ظلموش تاهموش أنوخ بنوخ سميال

ياموّرث الأحزان !

وبخره باقى الليلة واتركه . فاذا كان فى ليلة الشمس فابرزه للنجوم وبخره بالبخور السباعى الجامع لما تقدم ذكره من البخورات وطف به سبعة وأربعين مرة وناد بأسماء الشمس وهى :

[١٠٠ب] دبيداغوش(١) طيمطاغوش شبهرموت طليقاش

انوهاش شمليخات



(شكل رقم ٥)

(١) هنا يرد الجدول التالى : وحوله : "هذا وفق : "سلام قولا من رب رحيم" — وهو لإبطال السحر ، ويقرأ عليه : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، — كل منها سبع مرات" .

ثم اتركه ليلة كاملة والبخور لاغير ، وليكن حطبك من النبات الذى لاعروق له وعمره عشرة آلاف عام. فاذا كان فى صبيحة تلك الليلة وطلعت الشمس [١٠١ ا] فالبس ثياباً مكسوة بالذهب وتطيب وضَعْ الخاتم فى يدك واستقبل المشرق بوجهك وقـل :

السلام عليك أيتها الشمس المضيئة الباهرة الطاهرة الزكية ! يا ينبوع الغد وأساس القوة وبهجة الحياة وعماد المعالى ! بحق من أودع فيك [١٠١ ب] السر المكنون ظاهراً وباطناً ، وهـو الله الإله القـدوس ، علة العلل ، وأزلى الأزل أهيا شراهيا اصباوث ال شدادى ألوهيم مالخ ملخاهم لوخيم — إلا ما أفضْتُ(١) من نورك البهى [١٠٢ ا] على هذا الخاتم ، وأمرت روحانيتك بالحلول فيه والتوكيل بحامله يحفظونه من كل آفة وعَرَضٍ ومَرَضٍ ، وينصرونه على كل عدو وعلى كل من [١٠٢ ب] حاربه وقاتله ، وينصرونه على جميـع العالمين ويُذِلُّون له كلَّ الملوك من جميـع أقطار الأرض ، ويهدمون له الحصون والقلاع ، ويملكونه الأرض شرقاً وغرباً ، ويكونون معه ليلا ونهاراً فى سفره وحضره بحق اه يوه طنواش اش(٢) » .

[١٠٣ ا] فاذا تم هذا فقد تم لك جميع ملك الدنيا . وعلامته لك نزول الروحانية عليك فى منامك ، وإعلامك بقبول عملك . فاذا أردت ابتداء عمل فصُمْ يومك ذلك ، وأفطر بما لادَسَم له ، ونَمْ على أيسارك ، وعلق الخاتم فى عنقك منها مقابل قلبك ، وادع بالروحانية أن تريك بما تؤمله ، فانك ترى أما <ما> تستخير إما شخصاً وإما قوة ، فأمُرْ على ماتراه فلست تبعد الصواب . ولايتقلد هذا الخاتم قائد جيش منادياً فى كل وقت بأسماء المريخ ويقابله أحـد — إلا كان الغالب والظافر . ولا يُطْبَع به [١٠٣ ب] فى قضية وإن صعبت إلا وتكيفت ، ولا يمسه بشر إلا أعطى العدة والسلطان .

---

(١) بالتاء والياء بعدها فى المخطوط .   (٢) فى الهامش هنا : تم وكل .

وأنت يا إسكندر ! محتاج من علم الطلسمات إلى هذا وحده ؛ ولذلك لم أُفْضِ لك بسواه فانفذ به فى مذاهبك كلها — وفقك الله (١) !

وغرائب الطلسمات [١٤١ أ] يا إسكندر كثيرة . ولولم يكن من بدائع عملها (٢) إلا طلسم الزرزور الذى (٣) برومة الزيتون الذى دبره هرمس الأكبر ! فرومة لا زيتون فيها وهى أكثر بلاد الله زيتوناً دون غرس ولا جنى ولا نصب ولا تعب ؛

والطلسم الذى صنعه باليناس (٤) لداريوس ملك الفرس لما هبت عليهم الريح العاصفة حتّى كادت تهلكهم فسكنت (٥) الريح باذن الله وذهبت . — وطلسمه المشهور الذى أطفأ به نار أهل فارس فلم يقدروا على وقودها حتى استغاثوه فأطلقها ؛

والطلسم الذى صنعتُه لك فى دفع مضار الحيات والثعابين والعقارب والأسود والنمور حتى لم ير فى أرض أنت فيها شىء من ذلك لما أردت غزو الهند وكان حصنهم المنيع بينهم وبين مناوئهم ، فَخَرَقْتَ هذه الأرضَ (٦) وجُزْتَ على هذه المخاوف ولم تضرك باذن الله تعالى (٧) . والمرآة التى أقمتُ لك بالاسكندرية التى هى إحدى غرائب الدنيا . والمرآة التى أقمتُ لك عند باب إيوانك التى تخرج الخبايا والسرقات حتى يرى المرء فيها ما ذهب له وموضعه ؛

---

(١) هنا آخر الزيادة الواردة فى مخطوط ن (= ٦٥٠ منشن فى ألمانيا) . وانفراد هذا المخطوط بإيراد هذا الطلسم يدل على أنه من الإضافات الخاصة. (٢) كذا فى ص . وفى م : علمها. وكذا فى س.

(٣) س : الزرزور من النحاس الذى بهيكل رومية الزيتون الذى دبره . . . — وفى ص : برومة الزيتون.

(٤) بالناس : بالیناس الطوانى Apollon de Tyane (المتوفى سنة ٩٧ م) وفى س كما أثبتنا . وفى م ، ص : بالياس أداريتوس ملك الفرس (!) . راجع عن بالیناس الطوانى عند العرب ما كتبه باول كراوس فى كتابه « جابر بن حيان » ج ٢ ص ٢٧٠ — ص ٣٠٣ (بالفرنسية) . القاهرة سنة ١٩٤٢ ؛ مطبوعات المعهد المصرى . (٥) س : فسجن الريح وذهبت .

(٦) كذا فى ق ، س . وفى م ، ص : على هذه الأرض .

(٧) باذن الله تعالى : غير موجودة فى س — ويلاحظ أن هذه المخطوطة لاتورد أبداً أمثال هذه العبارات التى تدل على أن يداً متدينة هى التى أضافتها .

والطلسم الذى أقمتُ لك فى الصعيد يحمل بين يديك على رأس بعض الرماح فلا يراه وحش إلا أتى بين يديك ؛

والطلسم الصنم النحاس الذى أقمته لك على الصخرة بساحل البحر بمدينة الاسكندرية تأتيه الحيتان من كل مكان فتؤخذ بالأيدى من غير صيد ولا مشقة .

ولى عندك غرائب من هذا يطول ذكرها .

وقد عاينت ، يا إسكندر ، ما جرى لك فى الطلسم الذى عقد على حراسة الدفين الذى أعلمت به فى هرم جاناطل (١) الذى لما أمرت بالحفر عليه غلبهم النعاس [١٤٠ب] حتى صنعت لك الطلسم فى إبطال حركته وحلها حتى بلّغتَ مرادك منه .

وزعم المورخون أنه وجد فى هذا الدفين الذى كان عليه الطلسم قبر من ذهب طوله عشرة أذرع فى ارتفاع ذراعين فى سمك شبر له طبق مصمت فيه شخص صحيح جسمه وشعره وعيناه ، وعلى رأسه تاج زنته عشرة أرطال قطعة واحدة من ياقوت أحمر ، وتحته مفروش أكيال عظيمة من الدر الجليل وعلى صدره لوح زمرد طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراع واحد ، وفيه منقوش بالخط السريانى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . إذا كان ابتداء كان له انتهاء . ملكتُ الربْعَ المسكون من الدنيا ألف عام ، وانتهى خراجه إلىّ فى اليوم الواحد زنة قبرى هذا وقيمة ما فيه . وأطاعنى الشمس والقمر وملكت (٢) الريح وعلمت سر الطبيعة ومنتهى الخليقة . وصعدت إلى الملإ الأعلى بالجوهر البسيط الملكوتى عند الرضا عنه وقبول عالمه ؛ وتركت هذا الهيكل المركب الأرضى يفسد ويفنى ، ويعتّبر به بعدى من أتى .

« لا مُلْك إلا لمن لا يفنى ، ولا سُلْطان إلا لمن انفرد بالحكمة العظمى . تبارك اسمه وتعالى ! »

---

(١) كذا فى س . وفى م ، ص : حباطل .

(٢) ملكت : ناقصة فى ق ، م ، ص ؛ وواردة فى س .

إنباء عن التصعيد

أعنى [١] تصعيد الأجساد الصلبة والأرواح [٢] التى منها العُقاب — وهو أحد أصناف الطير الآكل اللحم — وكذلك جميع ما فى الأحجار التى ذكرتها لك هنا فهو على نحو ما وصفت لك . وأنا أعطيك ها هنا السر الأعظم ، وفقك الله لكتمه وأصلحك بعلمه إن شاء الله تعالى .

خذ الحجر الحيوانى النباتى المعدنى الذى ليس هو بحجر ولا على طبع [١٤٢] الحجر ، وهو حجر [٣] متولد يشاكل بعد التدبير حجارة الجبال والمعادن ويشبه النبات والحيوان ؛ وهو موجود فى كل مكان وكل زمان وكل إنسان ؛ وهو متلون بكل الألوان وموجود فيه جميع الأركان . وهو العالم الأصغر . وأنا أسميه لك باسمه عند العامة :

خذ البيضة ، أعنى بيضة الفلاسفة ، فاقسمها أربعة أقسام ؛ كل قسم منها طبيعة . ثم ركبها على السواء والاعتدال حتى تقترن ولا تتعادى فيتم لك مرادك بحول الله وقوته ومشيئته .

وهذا تدبير كلى أنا أفصله لك : لا ينقسم أربعة أقسام إلا بنار غير مفسدة . فاذا تخلص لك الماء من الهواء ، والهواء من النار ، والنار من الأرض — فقد أحسنت التدبير بعون الله عز وجل . فدبّر الجوهر [٤] النارى بالتبريد ، ودبر الجوهر الأرضى بالترطيب والتسخين حتى يتشاكلا فيتواخيا ولا يتعاديا ولا يفترقا . واحمل عليهما القوتين الفاعلتين : الماء والنار — فيتِمّ لك . فان حملت الماء وحده بيَّضْت ، وإن حملت النار وحده حمَّرْتْ .

ولقد أحسن أبونا هرمس المثلث حين قال : « حقاً يقيناً لاشك فيه أن الأسفل من الأعلى والأعلى من الأسفل . عمل العجائب من واحد بتدبير واحد .

---

(١) أعنى : وردت فى ن . (٢) س : بالأرواح . (٣) حجر : ناقصة فى ص .

(٤) هذه العبارة محرفة فى جميع النسخ ، فأصلحنا بينها .

كما نشأت الأشياء من جوهر واحد أبوه الشمس وأمه القمر ، حملته الريح فى بطنها ، وغذته الأرض بلبانها . أبو الطلسمات ، خازن العجائب ، كامل القوى . — فان صارت أرضاً اعزل الأرض من النار اللطيف ، أكرم من الغليظ برفق وحكمة تَصْعَدْ من الأرض إلى السماء وتهبط إلى الأرض فتقبل قوة الأعلى (١) والأسفل لأن معك نور الأنوار فلهذا [٤٢ب] تهرب عنك الظلمة ، قوة القوى تغلب كل شىء لطيف يدخل على كل شىء كثيف على تقدير العالم الأكبر .

هذا فخرى ولهذا سميت هرمس المثلث بالحكمة اللدنية (٢) » .

< أعاجيب الأحجار >

(٣) ومن بدائع الأحجار وأفعالها وغرائبها فعل الحجر الذى يغالب الماء والريح : تراه يذهب فى وجه الماء إذا مر الماء منصرفاً مع الريح ، وتجده ناشئاً فى البحر المسلوك (٤) ، وخاصيته أنك إذا أخذته وجعلت منه فى لوائك حجراً زنته أربعة دوانق فلا تلقى بلوائك عسكراً إلا هزمته .

ومنها حجران تجدهما قريباً من الظلمة المقيمة ، وهما حجران : أحدهما أبيض والثانى أحمر، تجدهما فى بحر ماء عذب . وفعلهما أن الحجر الابيض يبدأ بالظهور على وجه الماء من حين تغرب الشمس ، فلا يزال يظهر إلى نصف الليل فيكمل ظهوره ثم يبدو ويغيب ، فلا تطلع الشمس إلا وهو قد غاب كله . — والحجر الأحمر بضد ذلك : يبدأ بالظهور من حين تطلع الشمس حتى تستوى فى القبة ، ثم يبدأ يغيب حتى تغيب الشمس . — وخاصيتهما أنك إن علقت من

(١) الأعلى : ناقصة فى ص . (٢) اللدنية : ناقصة فى ن .

(٣) هنا ترد فى س دخائل عن الأشجار ، وفى الهامش كلام عن الأحجار الرئيسية : العقيق والزمرد والبهت والفير و زج والز برجد والياقوت والباذهر والمرجان والسنباذج ، ثم « نبذة فى خواص بعض الأحجار من أقوال الحكماء » : حجر خزق وحجر الديك وحجر النار وحجر الحمام وحجر البقر وحجر الحوت وحجر الزمرد الخ . — وقد ورد بعضها وهو عن : الباذهر والبهتة والفير و زج فى مخطوط ر .

(٤) تراه يذهب ... وتجده : ناقص فى ص .

الأحمر زنة دانق على نواصى الخيل لم تزل تصهل ما دام عليها ؛ وفعل الأبيض بضد ذلك : لاتصهل أبداً ما دام معلقاً عليها . وهذا يصلح للبيات والكمائن . ومن خاصية هذين الحجرين أيضاً : إذا تخاصم إليك شخصان فَدَعْ الحجر الأبيض على فم أحدهما ، فان كان الحق بيده نطق ، وإن لم يكن على الحق سكت ، فلا ينطق بحرف واحد ما دام على فمه . وستعرف خواص أحجار أذكرها لك فى الطلسمات (١) .

القول فى النبات

قد علمت ، يا إسكندر ! بما تقدم توقيفى لك عليه من فعل الطبيعة وسر [١٤٣] الخليقة أن مرتبة النبات بعد مرتبة الأحجار فى الكون ، وأنها قبات صورة ذاتية على التجسم الذى للمعدن ، إذ الغالب على النبات المائية ، والغالب على المعدن الأرضية ، فقَبِلَ النباتُ ما يقبله الماء من التمدد بتحريك الرياح له مع ثبوت مركزه . فلو نفخت نقطة ماء لتمددت وتشعبت وبقى مركزها ثمّ بعد ذلك على شكل قواعد النقطة : فان كانت مستديرة تمددت مثلثة كشكل بعض الحشائش ، وكذلك المربع والمخمس وسائر الأشكال الموجودة فى النبات . ولما كان الغالب على النبات الماء ولا يستمد إلا ذائباً (٢) ، وكان الفاعل فى تذويب الماء دائماً قوة الفلك الذى هو المشترى ، وبالجملة أن كل كوكب يوجِدُ ما يشا كله : فزحلُ يوجِد الأرض ، والمشترى يوجِدُ الماء ، والمريخ يوجد الهواء ، والشمس توجد النار —

---

(١) فى الطلسمات : ناقصة فى ص . . ولأرسطو كتاب فى « الأحجار » منسوب إليه عند العرب ، وأشار إليه قسطا بن لوقا . ويظن روسكا أن الكتاب ذو أصل سريانى وفارسى . ويرى روزه Rose أنه كان الأساس لكل ما أتى به العرب من بعد فى المعادن والأحجار . وقد نشر روسكا كتاب أرسطو فى الأحجار سنة ١٩١٢ فى هيدلبرج مع الترجمة اللاتينية الواردة فى مخطوط مدينة ليج (بلجيكا) ؛ والترجمة العربية قام بها لوقا بن سرابيون ، ثم ترجمة ألمانية . ومخطوط هذه الترجمة العربية موجود فى المكتبة الأهلية بباريس برقم ٢٧٧٢ . راجع : J. Ruska : Das Steinbuch des Aristoteles, Heidelberg 1912.

(٢) ص ، م : ذاتياً .

وليست توجد أجسامها إنما توجد أفعالها التى هى لها دائماً بمعونة القوة الكلية التى هى فوق قوى هذه الأفلاك . وليس هذا موضعاً (١) يتبين فيه مثل (٢) هذا ، ولكنى ذكرت هذه الجملة لما لاغناء بك عنه فيما أريد <أن> أوضحه لك من خواص هذا النبات ، ففى معرفة خواص الأشياء تتفاضل مراتب الفلاسفة ، وفى معرفة فعل طبائعها تتفاضل الأطباء .

وأنا أعلمك أن كل مالا نور له من النبات فهو من قسم زحل ، وكل ماله نور فهو من قسم المشترى . ثم تتراكب وتتداخل هذه الأقسام : فما يحمل ولا ينور كالنخل : فمن قسم زحل والشمس (٣) ، وما ينور ولا يحمل فمن قسم المشترى والمريخ . ثم إن منها ما يغرس فرعه ، ومنها ما يبذر حبه ، وما ينبت بلا غرس ولا بذر .

فقد بان مما قلت أن [٤٣ ب] كل أنواع النبات : منها ماله خاصية تشاكل قوة كوكب ، وخاصية تشاكل قوة كوكبين (٤) وأكثر على قدر قبولها ، وتعين (٥) كل خاصية منها ما يشاكلها من قوى طبيعة (٦) ذلك النوع كاللون والطعم والرائحة والشكل . والنفس الكلية تنظم جميع هذه الخواص والقوى والطبيعة لأنها جزئياتها ، وهى تعينها وتمدها بالزمان الذى هو قوتها العلامة ، إذ لا تفعل إلا بحركة ولا علم إلا بمحدود . ولذلك — أرشدك الله — تجد نوعاً من النبات يُمْرِض ، ونوعاً يبرئ من الأسقام ، ونوعاً منه يولد الفرح ، ونوعاً منه يولد الحزن ، ونوعاً منه يحبِّب (٧) ، ونوعاً منه يبغِّض ، ونوعاً منه يُكْسِب حامله مهابة وعزاً ، ونوعاً منه مهانة وذلا ؛ ومنها ما يُرِى أحلاماً صادقة ، ومنها ما يكسب نشاطاً ، ونوعاً يكسب كسلا وفتوراً ، ونوعاً يفسد الجسم بكليته ، ونوعاً يصلحه ويبرئ من السموم المؤذية .

---

(١) موضعاً ... الجملة : ناقص فى ص .
(٢) مثل : ناقصة فى ل .
(٣) والشمس : ناقصة فى م .
(٤) ص : كوكب — وهو تحريف .
(٥) م : تعيين .
(٦) ص : طبيعية .
(٧) ونوعا منه يبغض ... مهانة وذلا : ناقصة فى ص .

وأنا أذكر لك من كل وجه جملة تقف عليها مشاهدة إن شاء الله تعالى :

فمن أنواع النبات التى تكسب المهابة والعزة شجرة لها وَرَق ملتف شكله مخروط وثمرته مخروطة وقضبانها رطبة ورائحتها طيبة ؛ فمن اقتلعها على اسمه وأمسكها كسته مهابة وعزة ، وتنفع أيضاً من نهش الهوام .

ومنها شجرة تقوم على ساق مستطيلة (١) لها ورقة مستطيلة لينة فيها خطوط بيض من حمل من ساقها الرقيق فعل مثل ذلك أيضاً .

ومنها شجرة لها ورق مصبغ تمتد فروعها على الأرض ، لها (٢) حمل ورائحة طيبة ، من يحملها كان نشيطاً مقداماً شجاعاً لايخاصمه ولا يقاتله أحد إلا غلبه وكان ظاهراً فى جميع أحواله (٣) .

[٤٤ ا] ومن أنواع النبات ماله بصل (٤) ، يغرس ، وله ورق مستطيل يبدوكله قبل نواره ، له نورة واحدة وفيها ثلاث نورات مستطيلة حُمْر طيبة الرائحة من أكلها أحدثت له فرحاً وضحكاً ؛ ومن مَسَّ بنوراته — مقلوعةً مع بصلها وورقها — امرأةً مالت إليه وأحبّته وهى قَبولٌ لكل أحد .

ومن أنواعه نبت يفعل ضد هذا ، وحشيشة يقال لها دروقنيون (٥) تنبت بأرض الصين متشعبة لها ورق كَمِدٌ صغير جداً ولها أفنان متداخلة مثلثة قوية لها بزر أصفر مستدير وصغير جداً وداخلها مائل إلى البياض — هذا إذا كان طرياً ليناً . فان أخذت منها سبع حبات على اسم أحد والطالع للثور والزهرة ، والنحوس غائبة عنها

(١) م ، ص : مستطيل . (٢) لها : ناقصة فى ل . (٣) ص : أنواعه — وهو تحريف .

(٤) يضيف ص : وكان ظاهراً فى جميع أنواعه — وهو تكرار منقول عن موضعه . — ن : ماله أصل يغرى .

(٥) م : درومسون . وفى س : دروفينون . وفى ل : ذروفسعق ! ن : درفينون . — دروقنيون : يسميه ديسقوريدس وقراطون باسم العفاين ، ويسميه أيضا قلاه : وهوشبيه بشجرة الزيتون فى أول مايغرس وله أغصان طولها أقل من ذراع ، وورق بلون ورق الزيتون ، وزهر أبيض وفى أطرافه غلف كثيفة كأنها غلف الحمص . وباليونانية δορύκνιον وباللاتينية Convolvus Dorycnium راجع « منتخب جامع المفردات للغافقى » تحت رقم ٢٤٧ .

والقمر(١) فى الطالع مع الزهرة وكل واحد منهما يقبل نور صاحبه — فاذا أطعمته الحبات السبع فى شىء يؤكل، ثبتت محبتك(٢) فى نفسه وقلبه، ولم نزل مؤثراً له مابقى .

ومن أنواع النبات الذى يمرض نبت يغرس بصله ، له عسلوج قدر ذراع ونوار أبيض لايحمل ، يسبق عسلوجه نبات ورقه وخاصيته مريخية وعطاردية ، وطبيعته نارية وهوائية . من يحمله أول بزور عسلوجه لم يزل مريضاً حتى يجف عسلوج ذلك النوع(٣) .

ومن أنواعه نبات يبرئ الأمراض وهو نبت يبذر حبه ، أغصانه مربعة ، وأوراقه مدورة الشكل ، له نور أزرق وبزر أحمر رائحته طيبة ، خاصيته شمسية مشرقة ، وطبيعته مائية هوائية — ومن شمه أبرأه من الصداع والزكام والدوار والهم والفزع والصرع وغير ذلك من أنواع الآلام .

وقد أكملتُ لك يا إسكندر جميع ما رغبتَ على حسب ما شرطت ، وقمتُ لك بحق الخدمة . وذلك بعضُ ما يجب لك علىَّ .

فكُنْ به مؤيداً موفقاً سعيداً إن شاء الله تعالى .

وقد(٤) كمل كتاب « سر الأسرار لتأسيس السياسة وترتيب الرياسة » .

---

(١) والقمر ... الزهرة : ناقص فى ص .

(٢) ص : محبته . س : فى قلبه ولم يزل فى طاعتك مؤثراً لك ما بقى . — وهنا فى ل زيادة .

(٣) ومن أنواع النبات الذى يمرض ... ذلك النوع : وردت هذه الفقرة فى ن وحدها .

(٤) ص : تم الكتاب بعون الملك الوهاب . م : «إن شاء الله عز وجل . وقد كمل كتاب « سر الأسرار لتأسيس السياسة وترتيب الرياسة » بعون الله وتوفيقه ، وذلك فى يوم الاثنين المبارك مستهل شهر شعبان المكرم قدره من شهور سنة ١١٠٣ الهلالية وحسبنا الله ونعم الوكيل . كتبه لنفسه دون غيره العبد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير راجى عفو ربه القدير محمد بن الفقى موسى بن عبد السلام بن محمد بن صالح بن رضوان بن محمد — عفى الله عنه — من ورثة العارف بالله تعالى سيدى أبى مدين التلمسانى الكائن ضريحه بالمغرب ، نفعنا الله به وغفر الله لنا ولوالدينا ولمن قر إليه ودعا لنا بالمغفرة . تم والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

فهـرس الكتاب

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع كتاب " الأصول اليونانية " على آلة المونوتيب . وهذا الكتاب هو ثانى ما طبع على هذه الآلة الحديثة بمطبعة دار الكتب المصرية . وذلك فى رمضان سنة ١٣٧٣ (مايو سنة ١٩٥٤)

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٣/٤٣/٢٠٠٠)

ISLAMICA

— 15 —

FONTES GRAECAE

DOCTRINARUM POLITICARUM ISLAMICARUM

Pars Prima

1. *Testamenta Graeca (Pseudo-) Platonis*

Et

2. *Secretum Secretorum (Pseudo-) Aristotelis*

Edidit et prolegomenis instruxit

'ABDURRAḤMĀN BADAWI

CAHIRAE

Ex Typis Bibliothecae Aegyptiacae

1954